وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم التاريخ

الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين

(٥٢٤ ه – ٦٦٧ ه) – (١١٢٦ م – ١٢٦٨ م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط

إعداد الطالبة:
شرقي نوارة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد العزيز محمود لعرج

السنة الجامعية
٢٠٠٧ -٢٠٠٨ م
١٤٢٨ – ١٤٢٩ ه

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الإهداء

ĸǯǵƸǯǕ Ǽə Żł ğĸǍǫ ǰǿǯǽƸǦǩł ǰǽƴǩłǸǩł ǺǩƑ

Ǽơƹƽǫ Ǩǥ ǺǩƑ

ƉÊǬƺǩł Ǩǥ ǺǩƑ

ǨǯǖǩłłƶǵƝƸǯƥ ǻƴǵǫ ƤƒĸƛƊ ǬǫǕ ł ǩĸǍ Ǩǥ ǺǩƑ

مقدمة

مقدمــــــــــة:

لقيت الدراسات الاجتماعية في الفترة الأخيرة عناية كبيرة من الباحثين ،وذلك لأهمية الموضوع وعلاقته بتفسير كثير من الظواهر الاجتماعية السائدة في أيامنا هذه،والتي تعود جذور كثير منها إلى فترات موغلة في القدم،وذلك أن هذا النوع من الدراسات يمكن من إماطة اللثام عمّا كان يجري في تلك الفترة،وكيف كانت العلاقات الإنسانية بين العناصر السكانية ،التي تسكن منطقة الغرب الإسلامي ،وعلى الرغم من أنّ الباحثين اتجهوا للدراسات الاجتماعية إلا أنّ أغلبها كانت شاملة وغير معمقة،إذ تطرقوا إلى بعض الظواهر الاجتماعية دون غيرها،باستثناء بعض الدراسات ،ومنها دراسة الباحث المصري جمال أحمد طه الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي "عصري المرابطين والموحدين"،ودراسات الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين" و"تاريخ المغرب الإسلامي :قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة "،وقد تطرّق هذا الباحث إلى فترة المرابطين .

لقد كان الموضوع الذي وقع عليه اختياري وهو الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي المغرب والأندلس معا،لأنهما في تلك الفترة ارتبطا ببعضهما إداريا ،سياسيا وحتى اجتماعيا،فأحيانا لا يمكن تفسير إحدى الظواهر بفصل العُدوتين عن بعضهما لأنّ الكثير من الظواهر الاجتماعية انتشرت عند احتكاك العدوتين ببعضهما البعض.

ويعود نقص الدراسات في هذا المجال إلى تخوف الباحثين من الخوض فيه،لنقص المصادر المتطرقة للتاريخ الاجتماعي،فكلّ المصادر التي تعود للفترة الوسيطة ركزت على التاريخ السياسي والعسكري،وما حققه المسلمون من انتصارت ونجاحات ،وما ألّم بهم من أزمات وانهزامات،وما ورد فيهم عن الحياة الاجتماعية لا يتعدى اشارات متفرقة،وردت عَرَضَا عند سرد المؤرخ للأحداث،وهذا ما يزيد من صعوبة البحث في التاريخ الاجتماعي ويثمنه ،وهنا تكمن أهمية دراستي .

عند بداية بحثي فرضت بعض الإشكاليات نفسها على الدراسة وسأعمل من خلالها على الإجابة عليها،ومن هذه الإشكاليات :

لقد غزى الموحدون الأندلس سياسيا وعسكريا ،وفي المقابل غزى الأندلسيون المغرب حضاريا وثقافيا،فإلى أيّ مدى يُعد هذا صحيحا؟

إنّ أوضاع أهل الذمّة بالغرب الإسلامي أسالت الكثير من الحبر،وأغلب المصادر والمراجع تشير إلى أن هذه الفئة عرفت أحلك أوقاتها في عهد الموحدين،حيث عانت الكثير على أيدي خلفائها،فإن صحّ ذلك فلماذا أقام الموحدون ذلك،وهل كانوا بالقساوة التي صوّرتها المصادر والمراجع؟

و ما كان قصدهم من وراء معاملة أهل الذمة بتلك الطريقة؟

قامت دولة الموحدين على الكثير من الأسس والمبادئ التي التزم بها المهدي بن تومرت،ومنها حياة الزهد والتقشف والاكتفاء بما هو ضروري ،والابتعاد عن البذخ والإسراف،فهل سار من جاء بعده من الخلفاء الموحدين على نهجه والتزموا بمبادئه؟

اتبعت في بحثي المنهج التاريخي القائم على استقاء المعلومات من المصادر والمراجع،ثم العمل على تحليليها،ومقارنته النصوص ببعضها البعض.وترجيح إحداها على الأخرى ،واعتمدت على المنهج الإحصائي في الفصل الثاني من الدراسة أمّا في الفصل الثالث والرابع فقد اتبعت المنهج الوصفي.

وقد قسمت بحثي إلى مدخل وأربعة فصول .وبدأت دراستي بمقدمة ،عرفت فيها بأهمية الموضوع وإشكالياته والمنهج المتبع،وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها،أما المدخل فقد كان نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية ،وفي الفصل الأول تحدثت عن التركيبة السكانية بالغرب الإسلامي ،وكيف تبدلت مواطن البعض منهم عند قيام دولة الموحدين ،كما تحدثت عن العناصر الداخلية في البلاد،ومنها الأغزاز و العرب،كما تحدثت عن العبيد وأوضاعهم الاجتماعية في عهد الموحدين واغتنمت هذا الفصل بالحديث عن أهل الذمة وعن أوضاعهم الاجتماعية والتأثيرات الاجتماعية المتبادلة بينهم وبين المسلمين في المغرب والأندلس.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن فئات المجتمع في عهد الموحدين ،فذكرت الفقهاء ومكانتهم عند الخلفاء الموحدين،ففي البداية عمل الخلفاء على تقليص نفوذ الفقهاء،وعوّضهم بطبقة مستهدفة في دولة الموحدين هي طبقة الطبقة الذين كان لهم المكانة الرفيعة والمناصب العليا في الدولة الموحدية،وقد استرجع الفقهاء والقضاة مكانتهم بعد الخليفة عبد المؤمن ،فأصبحت المجالس لا تقام إلا بوجودهم،وعمل الخلفاء على تقريبهم وتبجيلهم،ومنحوهم

الهبات والعطايا،وعملوا على جلب الكثير منهم إلى حاضرتهم وتكلمت عن طبقة المتصوفة ودورهم الاجتماعي ،وعن العامة والأوضاع التي كانوا عليها وعن أصحاب المهن.

وقد كان للمرأة جزء مهم من هذه الدراسة،حيث تحدثت عن المرأة الموحدية ،وعن اهتماماتها ،وعن المكانة التي صنعتها بعض النسوة لأنفسهن،وتفوقهن في مجالات عدة،وعنى مشاركتها الفعالة في الحياة العلمية والثقافية في عهد الموحدين.

وفي الفصل الثالث تطرقت إلى العادات والتقاليد التي كانت سائدة بالبلاد،فبدأت بعادات الزواج،وما كان يحدث داخل الأسرة ،والأفراح وكيف تقام،كما أن أنس العادات الجنائزية ،وعن المجالس العلمية التي كانت تقام آنذاك،وعن الاحتفالات والمواسم الدينية كعيد الأضحى وعيد الفطر والمولد النبوي الشريف وغيرهم ،والاحتفالات الرسمية التي كانت تجرى عند تولي خليفة جديد،وكذلك عند خروج الجيش إلى الجهاد،وعند عودته مظفرا،ثم تحدثت عن الأمراض التي كانت منتشرة ومتفشية بين الناس،وعن طرق العلاج التي كانت متبعة في تلك الفترة،وفي آخر الفصل تحدثت عن وسائل التسلية واللهو من ألعاب وجلسات لهو لا تخلو من الغناء والطرب وكؤوس الخمر،وتحدثت عن الأطعمة التي كانت متداولة وكذلك المشروبات التي كان أكثرها انتشارا الخمر،على الرغم من أنها كانت محرمة ،وختمت بالحديث عن الألبسة التي ارتداها الناس،وخصصت في ذلك ،فذكرت لباس الخاصة والعامة، وحتى المتصوفة منهم.

أمّا الفصل الرابع فقد أفردته للحديث عن العمران،الذي عرف ازدهارا كبيرا في عهد الموحدين،حيث أقاموا الكثير من المدن والقصور والمساجد،فتطرقت في البداية إلى المدن التي أقاموها كرباط الفتح وجبل الفتح،ثم تحدثت عن المنازل والقصور ،وبعدها أشرت إلى المنشآت العسكرية التي أقامها الموحدون ،وعن المساجد والمدارس والفنادق والمستشفيات ،وغيرها من المنشآت العامة التي كانت من إنشاء الموحدين.

عرض وتحليل أهم المصادر:

اعتمدت في دراستي حول الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين على مجموعة من المصادر التاريخية الهامة،والتي أفادني كل واحد منها بجانب من الجوانب ،أو بالعديد منها،ومن أهم هذه المصادر:

أولا كتب المناقب:

مناقب أبي العباس السبتي لأبي القاسم على الهواري ،هذا الكتاب عبارة عن ترجمة لشخصية واحدة هي المتصوف أبو العباس السبتي،وقد استفدت منه كثيرة ،إذ أن الكتاب يفصل في تقديم معلومات عن أبو العباس السبتي ،وعن حياته اليومية وعن علاقاته الاجتماعية ،ويذكر المشاكل التي كان الناس يعانون منها،وكلها يلجؤون إلى هذا المتصوف،طالبين منه النصح والدعاء وهو ما يبرز الدور الذي لعبه المتصوفة في المجتمع ،وشدة ارتباط الناس بهم والتفافهم حولهم.

ثانيا ـ كتب الطبقات والتراجم:

١-كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي ،وهذا الكتاب هو تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي،وكتاب الصلة لابن بشكوال ،وتتمة لمن جاء بعد ابن شكوال من أئمة واستدراك لما فاته ،وفات ابن الفرضي والكتاب يتضمن تراجم لرجال الأندلس ،ومن حل بها من المغاربة والمشاركة، وحتى تراجم لنساء أندلسيات، وأخريات مغربيات كن قد زرن الأندلس، وذلك حتى أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي ،والكتاب تسع أجزاء، سبعة منها لأهل الأندلس، وثنان للغرباء الداخلين إليها وقد استفدت من بعض أجزائه كالاول والثاني،،في الفصل الثاني من بحثي، عندما تطرقت إلى طبقة الفقهاء وعن علاقتها بالطبقة الحاكمة ،والأوضاع التي تعيشها هذه الطبقة وكنف الخلفاء الموحدين.

٢-كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار محمد بن عبد الله(ت ٦٥٨/١٢٦٠م) وهو تكملة لكتاب الصلة لابن شكوال، وهو في جزء،يحوي تراجم لأسماء علماء الأندلس وأمرائها مرتبة بالترتيب الهجائي وقد استفدت من هذا الكتاب في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء.

٣ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب للمقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، وقد استفدت من بعض أجزائه إذ به إشارات طيبة حول الفقهاء والعلماء الرجال منهم والنساء و ورد أيضا الكثير عن الحياة الاجتماعية بالمغرب والأندلس.

كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ((ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) وهو كتاب في أربع مجلدات تحوي على تراجم لشخصيات أندلسية لها

صلة بتاريخ غرناطة وقد استعملت جزئيه الأول والثاني حيث استفدت منهما في معرفة بعض العادات والتقاليد الخاصة بلاد الأندلس.

رابع:كتب الجغرافيا والرحلات:

١- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمجهول من القرن السادس للهجرة، ويفهم مما ورد في المخطوط أن صاحبه عاش في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور ،ويحوي هذا الكتاب معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية وخاصة عن تلك المتعلقة بأهل الذمة وأوضاعهم بالمنطقة وخاصة اليهود منهم.

٢- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٨٦٦ هـ /١٤٦١ م) ،ويعد هذا الكتاب معجما جغرافيا لمدن الأندلس والمغرب ما، لما يتضمنه من أخبار تاريخية وجغرافية هامة لها اتصال مباشر بتاريخ المدن ،وقد استفدت منه في تحديد مواقع المدن وكذلك ما اشتهرت به وما عرف به أهلها.

٣- كتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس للشريف الادريسي (ت ٥٦٠ هـ/١١٦٤ م) وهو جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،وتكمن أهمية هذا الكتاب في ذكر للمدن بكثير من التفصيل ،حيث يذكر موقعها وما يوجد بها، وما اشتهر به أهلها ، وبعض عاداتهم وتقاليدهم ،العادية منها والمستهجنة، وهذا ما أفادني كثيرا ففي موضوع بحثي.

وبالإضافة إلى هذه المصادر اعتمدت ألفيا على كتب الفتاوى والنوازل الفقهية التي كان لها دور كبير في إماطة اللثام عن الكثير من الأمور حول الحياة الاجتماعية بالغرب الإسلامي،ومن أهمها كتاب المعيار ومعرفة بعض الحيثيات حول الحياة الاجتماعية من خلال بعض التراجم .

٣- كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم (ت ١١٠٤ هـ /١٦٠٥م) هو الآخر عبارة عن تراجم حيث تضمن اثنتين وثمانين ومئة ترجمة للأولياء والعلماء بتلمسان،وقد استفدت منه في معرفة بعض العادات التي كانت سائدة آنذاك، والعلاقة التي كانت تربط المتصوفة باقي فئات المجتمع.

٤-كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني(ت٧٠٤هـ/١٣٠٦م)،وهذا الكتاب يحوي تراجم لعلماء وصلحاء

المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بالإضافة إلى تراجم العلماء الذين نزلوا بالمنطقة وقد استفدت منه.

ثالثا :الموسوعات وكتب المعارف التاريخية العامة:

١-كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م) وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة شملت التاريخ لعدة دول منها الدولة الموحدية ،وقد استفدت كثيرا من جزئيه السادس والسابع ،في المدخل ،وفي الفصل الأول،حيث اعتمدت عليه في معرفة القبائل البربرية ببلاد المغرب وأماكن توضعها.

٢-المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ،ويعد هذا المصدر من أهم المصادر التاريخية للفترة الموحدية، لأن صاحبه عاش في كنف هذه الدولة وعاصر كثير من أحداثها وهذا ما يزيد في مصداقية ما يذكر من روايات ،بالإضافة إلى الأدبية العظمى النابعة من كونه مصدرا تاريخيا وحضاريا للمغرب والأندلس معا.

٣-نظم الجمان في أخبار الزمان لأبي الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان (ت ٦٢٨ هـ /١٢٣٠ م). فعلى الرغم نمن التحيز الواضح لهذا المؤرخ للخلفاء الموحدين إلا أن هذا لا ينقص من أهمية ما جاء فيه من معلومات لأنهنه أورد في مصنفه معلومات عاصرها وكان قريبا من مكان حدوثها.

٤- كتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر علي الصنهاجي المعروف بالبيذق الذي كان من أتباع المهدي بن تومرت،وصاحب هذا الكتاب عمل على رصد كل ما قام به المهدي بن تومرت في رحلته إلى المغرب ،وقد استفدت به في المدخل كما أنه لم يخل من بعض الإشارات عن التاريخ الاجتماعية .

٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس احمد بن عذارى المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢ هـ/١٩١٢م)، يعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ المغرب و الأندلس في العصر الإسلامي، وحتى في الفترة التي تسبق نهاية دولة الموحدين، وقد استفدت كثيرا من الجزء المخصص لتاريخ دولة الموحدين والذي يتحدث فيه عن تاريخ هذه الدولة بأدق التفاصيل ،وهذا ما ساعدني على استقاء أكثر قدر من المعلومات حول الحياة الاجتماعية بالمنطقة ،وقد استعنت به في كل فصول بحثي.

٦- المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة (ت أواخر القرن ٦ هـ/ ١٢ م) والكتاب عبارة عن ثلاثة أسفار ، وصلنا واحد منها فقط ،و هو السفر الثاني، ويبدأ هذا الأخير بأحداث ٥٥٤ هـ وينتهي بحوادث ٥٦٨ ه، وهي فترة قصيرة من الناحية الزمنية ،غير أنها حافلة بالأحداث الهامة، ويتضمن هذا الكتاب معلومات هامة عن الآثار المعمارية والحضارية، حيث يتحدث عن أجهزة الدولة المختلفة ،وعن نظمها ،وفيه وصف للتشريفات الخاصة بالأعياد ،وتنصيب العمال وخروج الخبليفة للغزو ،وتكمن أهمية الكتاب في كون صاحبه عاصر الأحداث التي ذكرها في مصنفه.

٧- كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية لمجهول من القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ،ويتضمن هذا الكتاب تفاصيل تاريخية عن دولة المرابطين والموحدين ،وقد اعتمدت عليه في أغلب فصول بحثي

٨- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لأبي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبي زرع ،وفيه تناول تاريخ المغرب الأقصى ،وقد استفدت منه كثيرا في المدخل ،ومن الإشارات الكثيرة التي وردت في ثناياه عن الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب ، وعما أنشأه الخلفاء الموحدون من مباني كثيرة، وعن علاقتهم بالمتصوفة والصلحاء. المغرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي الذي يحوي في الكثير من الاشارات حول الحياة الاجتماعية بالمنطقة، ومنها المتعلقة بالزواج وعاداته، والأطعمة وحتى الألبسة وأمور أخرى.

ولا ننسى أن نذكر كتب الأدب كديوان ابن قزمان الذي عاش صاحبه في عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين حيث توفي سنة(٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهذا الكتاب عبارة عن ديوان أدب شعبي تضمن معلومات كثيرة عن العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج والأفراح وبعض العادات الشاذة كما يذكر بعض الألبسة المغربية والأندلسية.

وبالإضافة إلى هذا الكتاب استخدمت أيضا كتاب أمثال العوام "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام" للزجالي، وهذا الكتاب هو مرآة صادقة للمجتمع في تلك الفترة، لأن الكتاب عبارة عن مجموعة الأمثال الشعبية التي كانت متداولة بين الناس في تلك الفترة، والتي يحمل كل واحد منها جانبا من جوانب الحياة الاجتماعية كالعادات والتقاليد ،والأطعمة والألبسة ،وحتى المعاملات بين الناس.

وبالإضافة إلى المصادر التي اعتمدت على الكثير من المراجع كان أهمها مؤلفات إبراهيم القادري بوتشيش ومنها مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين (دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت ،ط١ ، ١٩٩٨) ،وكتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط١ ، ١٩٨٠ وكتاب الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصري المرابطين والموحدين)لجمال أحمد طه، (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية ،ط١، ٢٠٠٤) ومراجع أخرى

المدخل:

نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية.

I- مرحلة الدعوة والتأسيس.

II- توسعات عبد المومن بن علي.

III-أحوال الأندلس قبل الموحدين وانضمامهم إليهم .

IV- مرحلة التطور والازدهار.

V- تراجع أحوال دولة الموحدين وسقوطها.

نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية :

١ـ مرحلة الدعوة و التأسيس :

قامت الدولة الموحدية على أسس إصلاحية دينية بحتة ، و كان ذلك بزعامة رجل بربري مصمودي هو محمد بن تومرت الذي ولد في النصف الثـاني مـن القـرن السـادس للهجـرة (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) [١] ، و هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام ابن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه [٢] . و هو بهذا يدعى النسب الشريف [٣] ، و ينتسب ابن تومرت إلى قبيلة هرغة المصمودية القاطنة بجبل السوس إلى أقصى بلاد المغرب ، عرف عنه منذ صباه حبه لطلب العلم ، و قد عرف باسم أسافوا البربري و التي تعني بالعربية الضياء ، لأنه كثيرا ما يعمل سرج القناديل بالمساجد [٤] ، و يدل هذا على ملازمته للمساجد منذ صغره .

تلقى العلم بالحواضر المغربية في البداية و منها سبتة[٥] ومراكش[٦] التي كانت تضاهي عاصمة العباسيين بغداد في التطور والازدهار[٧] ، وبعدها انتقل إلى المشرق

١ـ ابن قنفد القسنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم و تحقيق محمد الشادلي النيفر ، عبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٩٩ .

٢ـ ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمد علي مكي ، المطبعة المهدية المهدية ، تطوان ، المغرب ، د ت ط ، ص ٣٤ .

٣ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، ج ١ ، دار المنصور للطباعة ، الرباط، المغرب ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠٥ .

٤ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، مج ٧ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د ت ط ، ص ٤٦ .

٥ـ سبتة :مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر وهي مقابلة للجزيرة الخضراء:أنظر الإدريسي نزهة المشتاق ص٢٤٩،في إختراق الآفاق ج١ تحقيق حاج صادق ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر .١٩٨٣

٦ـمراكش مدينة بالمغرب الأقصى بناها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بعد أن إشترى أرضها من أهل اغات ،انظر الإدريسي :نفسه ص .٨٣

٧ـعلي عبد الله علام : دعوة الموحدين بالمغرب ، دار المعرفة ، الرباط ، المغرب ، ١٩٦٤ ، ط ١ ، ص

للاستفاضة في طلب العلم و كان ذلك سنة (٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) [1] ، و انطلقت رحلته هـذه من الأندلس، و كانت البداية من قرطبة[2] حيث أخذ العلم عن أفاضل علمائها ، ومـــن ميناء المريـــة [3]شد الرحال إلى المشرق ، فنزل أولا بالإسكندرية ، وأخذ بها العلم على أبي بكر الطرطوشي[4] و آخرين[5] ، و منها اتجه إلى مكة و بها أدى مناسك الحج[6] ، و خرج منها لينزل ببغداد التي التقى فيها بالإمام أبي حامد الغزالي و أخذ العلم عنه ، و أمر التقائه بحجه الإسلام لم يكن مؤكدا في مصنفات المؤرخين فقد انقسمت مواقفهم فمنهم من

١- البيدق : أجبار المهدي ابن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦، ص ٢٩ .

٢- قرطبة:تقع على نهر ببلاد الأندلس فقام فيها الأمويون فيما سبق، أنظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس ، مطابع هيدلبرغ ،بيروت ،ط٢ ،١٩٨٤ ، ص ص ٤٥٦-٤٥٨.

٣-ألمرية :عبارة عن جبلين يفصل بينهما خندق معمور،أنظر الإدريسي :القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ،تحقيق إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،١٩٨٣، ص.١٦٤

٤-الطرطوشي :هو ابو بكر بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي ولد بثغر طرطوشة بالأندلس سنة(٤٥٠هـ/ ١٠٥٩م) وكان من اكابر عصره، شغف بدراسة الفلسفة والفلك والرياضيات، اشتهر بورعه وزهده ،وهو الذي أدخل علم القراءات إلى مصر، إستقر بمدينة الإسكندرية وبها أقبل طلبة العلم ينهلون من علمه في الحديث و الفقه ومسائل الخلاف ،وكان من بينهم إبن تومرت ،توفي بالإسكندرية سنة(٥٢٠هـ/ ١٠٧٢م) ومن مصنفاته سراج الملوك وكتاب الحوادث و البدع ،أنظر: إبن فرحون :الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب ،تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ط١ ، ١٩٩٦.ص .٣٧١

٥- مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، دار الرثاء الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٤ .

٦- ابن خلدون عبد الرحمن : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج ٦ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١ ، ص ٢٢٦ .

شكك فيه ومنهم من نفاه وهناك من أكده[1]، فالمراكشي وابن خلدون كانا من المشككين فيه فالأول يقول في كتابه ما يلي" وقيل انه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده"[2] .

ومن الذين نفوه نجد ابن الأثير حيث يقول :"الصحيح انه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى إلى المغرب[3] "وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك بقولهم أن رحلته إلى المشرق لم تتجاوز الإسكندرية المصرية[4].

المثبتون لهذا اللقاء كانوا أيضا كثر وذلك بناء على أدلة اعتمدوا عليها ومنهم ابن القطان[5]، وصاحب روض القرطاس إذ يقول :" لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الإمام الأوحد بحامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه لازمه الاقتباس العلم ثلاث سنين"[6].

وبناء على تحليلات منطقته فإن هذا اللقاء بين بن تومرت والغزالي لم يتم لأن هذا الأخير كان ببغداد ما بين (٤٨٤هـ/٤٨٨هـ)(١٠٩١/١٠٩٥م)وبعدها بقي متنقلا بين دمشق والقدس والمدينة إلى غاية سنة(٤٩٩هـ/١١٠٦) [7]وحل بنيسابور سنة(٥٠٥هـ/١١١١م)،فمتى كان لقاء الغزالي ومحمد بن تومرت؟،[8] وهذا يقر أن الأرجح هو عدم التقاء المهدي بالغزالي.

١- ابن القطان : المصدر السابق ، ص ص ١٧ ، ١٨ .

٢- المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ط ١ ، ص ١٧٨ .

٣- ابن الأثير :الكامل في التاريخ، ج٨ ،تحقيق محمود يوسف الدقاق ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط ٣ ، ١٩٩٨ ،ص .٢٩٤

٤- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و حضارته ،دار ومطابع المستقبل بالفجالة ،القاهرة ،ط١ ،١٩٨٠، ص١٧٧-.١٧٨

٥-إبن القطان:المصدر السابق، ص.١٨

٦-إبن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،طبعة حجرية، ص.١٢٠

٧- أبو حامد الغزالي:المنقذ من الضلال ، تحقيق عبد الكريم المراق ،الدار التونسية للنشر،الجزائر، ١٩٨٤،ص ١٩.

٨- المعموري الطاهر : الغزالي و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩٠ ، ص ص : ١٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

وتذهب بعض الروايات إلى أن هذا اللقاء قد تم ونذكر تفاصيله حيث أن الغزالي سأل بن تومرت عن كيفية استقبال أهل المغرب والأندلس لكتاب الأحياء الذي ألفه و ذلك بعد أن علم أنه من المغرب فاستحيا ابن تومرت أن يجيبه فألح عليه فأجابه بأن المرابطين أحرقوه ، فدعا الغزالي عليهم بقوله : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، و اذهب دولتهم كما أحرقوه [١] و أشار الغزالي إلى أن ذلك سيكون على يد رجل مغربي [٢] .

فبعد رحلته في طلب العلم عاد بن تومرت إلى المغرب متشبعا بأفكار الغزالي والأفكار الشيعية أيضا [٣] التي كانت قد لقيت في بلاد المغرب موطنا من قبل، وانتشرت فيه وتبنى أفكارها الكثير من أهله وتأثروا بها ومنهم المهدي بن تومرت.

وفي طريق العودة نزل بالإسكندرية بعض الوقت ، و في تلك المدة بدأ في ممارسة دعوته القاضية بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فاشتكى الناس منه و هذا ما دفع واليها إلى طرده . و منها خـــرج فـــي سفينة متجهة إلـــى المغـــرب سنـــــة (٥١٠ هـ / ١١١٦ م) فنزل أولا بطرابلس [٤] بعدها اتجه إلى المهدية التي كان وليا عليها يحيى بن تميم المعز الصنهاجي ، و بها راح كعادته يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر غير أنه تمادى في ذلك و هو ما أزعج صاحبها و جعله يخرج ابن تومرت منها ، ليتجه إلى بجاية التي كان عليها العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن عماد سنة ٥١١ ه / ١١١٧م و بها تحول أسلوب ابن تومرت في الدعوة إلى استعنال العنف لتغيير المنكر حيث ضرب الناس بالعصي لرؤياه يوم العيد مختلطين نساء و رجالا ، و هذا ما أثار الناس ضده فخرج إلى ملالة التي بقي بها مدة من الزمن و بملالة لقي عبد المـؤمن بـن عــــلي [٧]

1- Charle Andrée Julien : Histoire de L'Afrique du Nord (des ou gimes a 1930), édition Payot a Rivages , Paris , 1994 , P 441 .

٢- ابن القطان: المصدر السابق، ص ١٨.

٣- المراكشي : نفسه ، ص ١٧٩ .

٤- البيدق : المصدر السابق ، ص .

٥- الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق و تعليق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦ ، ط ٢ ، ص ٠٤ .

٦- ابن القطان: المصدر السابق، ص ٢١ .

٧- أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، مج ١ ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، د ت ط ، ص ١٨٠ .

الذي خرج في طلب العلم قاصدا المشرق الإسلامي، إلا أن لقاءه بالمهدي كان سببا في تحويل مجرى حياته كما سنرى. إذ بقي معه مساندا له في دعوته [١] و خرجا معا متجهين إلى المغرب الأقصى وكان معهما الونشريسي صاحب المهدي [٢] و في طريقهما نزلا بتلمسان بمسجد العباد ، وفي مدة إقامته بها تمكن من كسب ثقة الأهالي و حبهم [٣] ، و منها اتجه إلى فاس[٤] حيث لقن العلم لطلبتها ، و هي الأخرى طرد منها للأسباب ذاتها دوما . وخرج المهدي منها متجها إلى مراكش و في طريقه مر بسلا[٥] ومكناسة[٦] و بمراكش لقي المهدي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، و كانت له بها مناظرة مع فقهاء المرابطين ، و فيها تمكن المهدي من إثبات جدارته بتغلبه عليهم ، و هو ما كان السبب في إخراجه من المدينة هذه المرة [٧] .

و بعد هذه المرحلة من الحواضر المغربية يعود بن تومرت إلى مسقط رأسه بإيجليز و فيها أعلن المهدي عداءه للمرابطين و حث الناس على محاربتهم و إبراز مناطق ضلالهم[٨] ، وفي سنة (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) اتخذ المهدي من تينمل مقاما له و لأصحابه الذين بايعوه بالمهدوية [٩] ، و بعدها يأخذ صراع المهدي و أصحابه من الموحدين مع دولة

١- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ العصر الاسلامي، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٧٧٥ .

٢- البيدق : المصدر السابق ، ص ص : ٣٩ ، ٤٠ .

٣- المراكشي :المصدر السابق ص ص ١٨١-١٨٣

٤-فاس :تقع ببلاد المغرب ،يشقها نهر كبير يقسم المدينة إلى عدوتين ،القرويين والأندلس ،بينها وبين سجلماسة مرحلة ،أنظر الإدريسي ،المصدر السابق ،ص.٩٤

٥-سلا: مدينة على ساحل المحيط الأطلسي بينها وبين مراكش تسع مراحل على ساحل البحر ،أحدث بها الموحدون عمائر كثيرة ،انظر الحميري، المصدر السابق، ص.٣١٩

٦-مكناسة :هي المدينة المسماة تاقرارت ،يجري في شرقها نهر صغير تتصل بها جنات وزرع، وأرضها طيب للزراعات انظر الإدريسي، المصدر السابق ص.٩٦

٧- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، ج ٤ ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٩٧ ، ط ١٤ ، ص ٢٨٢ .

٨- المهدي بن تومرت : أعز ما يطلب ، مطبعة بير بر نطان ، الجزائر ، ١٩٥١ ، ص ٢٥٨ .

٩- محمد أحمد الفضل : شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥ / ٦٨٦ هـ) ، دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٥٣ .

المرابطين منحى جديد تميز بالدموية و العنف و الصراع من أجل البقاء و الأصلح [١] ، وقـد أطلــق اسم الموحدين على جماعته لأن مـذهب التوحيد كان أساســا فــي عقيدته [٢] وفـــي سنـــة (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) كانت مرقعة البحيرة التي انكسر فيها الموحدون ، وبعد هذه المعركة لم يعش المهدي طويلا إذ توفي بعدها بأربعة أشهر [٣] ، و قد أخفى خبر وفاته قرابة السنتين بويع لعبد المؤمن قبلهما بيعة خاصـة مـــن أهل العشرة و فـــي سنـــة (٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م) أخذت له البيعة العامة [٤] .

عند تولي عبد المؤمن أمر الموحدين عمل جاهدا على تنظيم شؤونهم و توحيد صفوفهم وبقي بتينمل إلى سنة (٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م) و بعدها سار و استولى على الجبال المجاورة له ، وبهذا بدأ مسيرته في السيطرة على الحواضر المغربية و تأسيس دولة مترامية الأطراف .

II-توسعات عبد المؤمن بن علي :

بدأ عبد المؤمن توسعاته على حساب الأراضي المجاورة له بالمغرب الأقصى وبعدها عمل على ضم المغربين الأوسط و الأدنى و حتى الأندلس [٥] .

بعد مبايعة عبد المؤمن قام بالتوجه إلى تادلا[٦] سنة (٥٦٢ هـ / ١١٣١ م) و سيطر عليها ثم سيطر على درعة[٧] ، و دخل الموحدون تارودنت[٨] . وإيجلي سنة (٥٢٩ هـ /١١٣٤).

١- صالح بن قربة : عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩٦ ، ص ١٨ .

٢- عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوي (ت ٥٢٤ ه ١١٢٩م) ، حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره في المغرب ، دلر الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٠٢ .

٣- السد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٧٨٠ .

٤- ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة تونس ، ١٩٦٣ ، ط ٣، ص ١٢٤ .

٦-تادلا:تقع ببلاد المغرب وهي مدينة قديمة حصنها منيع بناها المرابطون أنظر الحميري،المصدر السابق ص.٥٧

٧-درعة: تقع بالمغرب وتبعد عن سجلماسة بثلاث مراحل، أنظر الحميري، نفسه ،ص ص ٢٣٥-.٢٣٦

٨-تارودنت: تقع بالسوس وأهلها يتبعون المذهب المالكي،أنظر الإدريسي القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص.١٣١

٩- مقلد النغيمي : موسوعة المغرب العربي مج ٢ ، ج ٤ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ط ١ ، ص ١٩٦ .

ومنه سنة (٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) لم تتوقف المصادمات بين الموحدين و المرابطين [١] و قد ذهب ضحية هذه المصادمات الكثير من الأرواح من الجانبين الموحدي و المرابطي وفي سنة (٥٣٥ هـ /١١٣٩ م) خرج عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط فأطاعته غمارة، [٢]و بعدها بسنتين توفي علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي [٣] ، و خلفه ابنه تاشفين وفي تلك الفترة حصل خلاف بين لمتونة و مسوفة المرابطتين ، و قد انضمت الأخيرة إلى صفوف الأولى[٤] . و قد قصد عبد المؤمن سبتة إلا أنه لم يتمكن منها ، إلا أنه أخضع ملوية و بلاد زناتة ، و قبائل مديونة شرقا [٥٣] ، و في سنة (٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) دخل الموحدون إلى تلمسان بعد محاصرتهم لها،وفي تلك الفترة غادرها الأمير المرابطي تاشفين بن علي متجها إلى وهران قصد الفرار إلى الأندلس وغير أن الموحدين علموا بذلك فتبعوه وفي أثناء محاولته للفرار تعثر به فرسه من حافة الجبل فسقط ومات سنة(٥٣٩هـ/١١٤٤م) [٦].

أخذ الموحدون مدينة فاس سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) و دخلوا طنجة[٧] و مكناسة التي استعصى عليهم دخولها فترة من الزمن [٨] ، و بعدها دخلوا سلا و سبتة ، و في نفس الفترة كان جند الموحدين مرابطين على مراكش محاصرين لها ، و تمكنوا من الدخول إليها بمساعدة الجنود المسيحيين و كان ذلك سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) [٩] ، و في هذه السنة قتل إسحاق بن على آخر أمراء المرابطين ، و بموته بسط عبد المؤمن سلطانه على ملك المرابطين .

١-ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٩،ص ٢٠٣.

٢- ابن أبي زرع :المصدر السابق ،ص ١١٨.

٣- المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

٤- صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

٥- ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢٣٠ .

٦- مجهول : المصدر السابق ، ص ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

٧-طنجة :هي على جبل عال مطل على البحر بها أسواق وصناع ،انظر الحميري ،المصدر السابق، ص.٢٤٩

٨- ابن الأثير المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

٩- ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون ، مطبعة النجل الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٥ ، ط ١ ، ص ٢٨ .

و لم يهنأ عبد المؤمن بالانتصارات التي حققها ، و هذا لظهور بعض الفتن التي أفسدت عله فرحة إنجازاتـــه . و منها ثورة محمد بـن هـــود بـــن عبـــد الله المـــاسي سنـــة (٥٤٢ ه – ١١٤٧ م)[١] الذي تمكن من جمع القبائل حوله ، إلا أن عبد المؤمن تمكن من القضاء عليه [٢]،و بعـــد ذلك دخـل عبـد المؤمن سجلماسة سنـــة(٥٣٤ هـ / ١١٤٨ م) [٣] ودخـــل مليانة سنة (٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) و منهـا تقـدم باتجـاه الجزائـر التـــي دخلهـــا صلحا،وبعــــدها أخذ بونــة[٥] وقسنــطينـــة[٦] وبجـــاية [٧]سنـــة(٥٤٧ هـ / ١١٥م)[٨]

استنجد أهل إفريقية بعبد المؤمن لتخليصهم من النورمانديين ، فاتجه الموحدون إلى المهدية[٩] سنة (٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م) [١٠] و في طريقه إليها أخضع تونس[١١].

١- ابن خلدون : العبرج ، ص ٢٣٢ .

٢- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

٣- نفسه : ص ١٢١ .

٤-الجزائر مدينة عامرة بالمغرب الوسط تقع على ضفة البحر، انظر الإدريسي: القارة الإفريقية ،ص .١١٤

٥-بونة: مدينة بالمغرب الأوسط ،يزرع بها الكتان من تجارتها الصوف و الغنم،انظر إسماعيل العربي ،المدن المغربية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،١٩٨٤، ص.١٩٦

٦-قسنطينة:مدينة بالمغرب الأوسط وأهلها مياسير وهي من أحسن المدن انظر الإدريسي نفسه ،ص .١١٦

٧-بجاية: مدينة بالمغرب الوسط بها من الصناع ما ليس بكثير في البلاد وهي عامرة بأهل الأندلس ،أنظر الإدريسي ،نفسه ،ص .١١٦

٨-الهادي روجي إدريس :الدولة الصنهاجية ،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن العاشر ميلادي إلى الثاني عشر ميلادي ،ج٢ ،ترجمة :حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،١٩٩٢ ،ص .٤٢٢

٩-المهدية :بناها عبد الله الشيعي سنة ٣٠٠هـ ، يحيط بها البحر من ثلاث جهات بينها وبين القيروان ٦٠ ميلا ،أنظر الحميري ،المصدر السابق ،ص .٥٦١

١٠-عبد العزيز بن عبد الله ،تاريخ المغرب في العصر القديم والوسيط ،مكتبة السلام ،دار البيضاء، مكتبة المعارف ،الرباط ،د.ت.ط. ص .١١٧

١١- تونس :مدينة قديمة أزلية حصينة بها ثلاث أبواب ،انظر الإدريسي ،نفسه ،ص ١٤٧.

و بقي محاصرا للمهدية التي استعصت عليه في البداية ، و في تلك الفترة دخل سوسة(١) و قفصة (٢)القيروان (٣)، صفاقص(٤) و قابس(٥) ، وتمكن من دخول المهدية (٦).

فطلب النصارى الذين كانوا بها الصلح من عبد المؤمن بن علي و أن يمكنهم من الخروج منها بأمان ، و بدخول عبد المؤمن إلى هذه المدينة ملك المغرب الشرقي كله من برته إلى تلمسان (٧) .

أحوال الأندلس قبل الموحدين و انضمامها إليهم :

عند اضطراب أمور المرابطين بالمغرب ذهبت سلطتهم بالأندلس، إذ راح كل وال يستقل بولايته ليعرف الأندلس بذلك عهد ملوك طوائف ثاني ، و ظهر به العديد من الثوار الرافضين لحكم المرابطين ، و نشبت حركة النصارى في استرداد المناطق المجاورة لهم ، فاستولوا على إفراغه(٨) سرقسطة(٩) وحواضر أخرى (١٠) .

وظهر علي بن عيسى بن ميمون بقادس(١١) الذي كان أول من خطب للموحدين بالأندلس سنـــة (٥٤١ هـ /١١٤١م). ، و ثار بقرطبة أبو القاسم بن حمدين (١٢) .

١-سوسة: من بلاد إفريقية ،إليها تنسب الثياب السوسية انظر الحميري ،المصدر السابق ،ص .٣٣١

٢-قفصة :مدينة من بلاد الجريد وهي كبيرة قديمة ازلية ،انظر إسماعيل عربي ،المرجع السابق،ص .١٧٠

٣-القيروان: هي قاعدة البلاد الإفريقية ومن أعظم بلاد المغرب ،انظر إسماعيل عربي ،نفسه ،ص .٤٨٧

٤-صفاقص :مدينة بإفريقية بها رباطات على الساحل ،وبها أسواق وحمامات كثيرة أنظر إسماعيل العربي ،نفسه ص.٢٦٣

٥-قابس :بها من البربر الكثير ويعمل بها الحرير وبها صناعة الجلود ،انظر إسماعيل عربي ،نفسه ص .٢٦٧

٦- ابن عذاري : البيان المغرب : قسم الموحدين ، ص ٦٤ .

٧- عبد العزيز عبد الله : تاريخ المغرب .ص .١١٧

٨-إفراغة :تقع غربي لاردة بالأندلس ،وتبعد عنها بثمانية عشرة ميلا وهي على ضفة نهر لها حصن منيع انظر الحميري،المصدر السابق، ص.٤٨

٩-سرقسطة:تقع شرق الأندلس سميت بسرقسطة البيضاء لأن أصوارها من حجر الرخام الأبيض ،انظر الإدريسي القارة الإقريقية ،ص .٢٩٧

١٠-المراكشي ، المصدر السابق ،ص .١٢٧

١١-قادس مدينة بإفريقية تنسب إليها الكثير من المنتجات الزراعية ،أنظر إسماعيل العربي ،المرجع السابق، ص.١٢٠

١٢-البيدق ،المصدر السابق ،ص ١٢٧.

أما شرق الأندلس فقد استبد به بن عياض ، و بعد موته خلفه بن مردنيش [١] ، و استبد بنـو غانيـة بالجـــزائــر الشرقية ،أما المرية فقد كان عليها ابن الرميم إلا أن النصارى أخذوها منه و بقيت بيدهم إلى أن استردها الموحدون سنة (٥٥٢ هـ /١١٥٧م) [٢] ، و ثار بن قسى مرتلة[٣] ، و لم يبق تحت سلطة المرابطين سوى غرناطة[٤] واشبيليا [٥] .

و عند انتشار دعوة المصامدة مال ملوك الأندلس إلى مبايعة الموحدين طواعية بارسال مبايعاتهم إلى المغرب ، و كانت اشبيليا أول مدينة أندلسية بايعت الموحدين [٦] أما أول المدن التي استولى عليها الموحدون عند جوازهم إلى الأندلس فكانت الجزيرة الخضراء[٧] وشريش[٨] وطريف سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦م) [٩] بعدها أخذوا باجة[١٠] و بطليوس[١١] غربا ،و تنازل لهم بن غانية عن قرطبة و بياسة[١٢] سنة (٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) وهذا بعد أن كان تنازل عن بياسة و أبدة لصالح النصارى [١٣] .

١-ابن عذاري : البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٣٤ .

٢- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٣٣٤ .

٣-مرتلة :تقع شرق باجة وتبعد عنها بأربعين ميلا انظر الحميري ، نفسه ص .٢٦٩

٤- غرناطة بينها وبين واد آش أربعين ميلا أنظر الحميري ،نفسه ص .٤٥

٥-المراكشي ،المصدر السابق ،ص ٢١١، إشبيلية :مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون ، أنظر الحميري نفسه ،ص .٥٨١

٦- ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٣٤ .

٧- الجزيرة الخضراء :أول مدينة أندلسية افتتحت من قبل المسلمين سنة ٩٠ هـ على يد موسى بن نصير ،انظر الحميري ،المصدر السابق، ص .٢٦٣

٨- شريش:من كور شاذونة وهي على مقربة من البحر نبينها وبين قشتالة خمس وعشرون ميلا ،انظر الحميري نفسه ،ص .٣٤٠

٩- ابن عذاري : نفسه ، ص ٣٤.

١٠- باجة : بينها وبين قرطبة مئة فرسخ ،انظر الحميري المصدر السابق ،ص .٧٥

١١-بطليوس :بالأندلس من إقليم ماردة ،وبينهما أربعون ميلا ،انظر الحميري ،نفسه ،ص .٩٣

١٢- بياسة :من بلاد الأندلس بها زراعات كثيرة ،انظر الإدريسي المصدر السابق، ص .٢٩٦

١٣-- أبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ،ج ١ ،دار السلمي، المغرب ،ط ١ ،١٩٦٥ ،ص ٢٦٥.

و في نفس السنة تمكن الموحدون من الدخول إلى جيان [1]و قرمونة و قرطبة ، أما غرناطة فقد ضمت سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) [2] توفي عبد المؤمن بن علي ، و تولى بعده ابنه أبي يعقوب يوسف الخلافة [3] ، و أبناؤه هم من سيتم إخضاع الأندلس .

مرحلة التطور و الازدهار:

مثلت فترة حكم أبو يعقوب يوسف و ابنه المنصور أزهى الفترات التي عرفتها دولة الموحدين ، و ذلك لأنها عرفت أعظم الإنجازات التي خلدت ذكر هم عبر التاريخ . وذلك في جل الميادين .

عبر يوسف الموحدي إلى الأندلس سنة (٥٦٧ هـ /١١٧١ م) و ولى على غرناطة أخوه عثمان الذي خرج لقتال المتمرد سعد بن مردنيش ، و تمكن منه و أشعار مرسية[4] منه وعمل يوسف الموحدي على مهادنة النصارى وله فتوحات كثيرة أصيب بمدينة شنترين[5] ومات بها متأثرا بجروحه سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) [6] ويتولى بعده ابنه يعقوب المنصور و في تلك الفترة استولى بنو غانية على بجاية و قلعة بني حماد[7]، و هو ما أثار الموحدين وجعلهم يخرجون لمحاربة بني غانيه و بالتقائهما هزموهم إلا أن شوكتهم لم تكسر .

١-جيان :من مدينة جيان إلى مدينة بياسة عشرون ميلا بها قصبة من أمنع القصاب واحسنها ،أنظر الادريسي القارة الافريقية ،ص .٢٩٦

٢-عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

٣- المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

٤-قاعدة أرض تدمير بها أرجاء طاحنة في المراكب مثل طواحن سرقسطة ،انظر الحميري ،المصدر السابق،ص ٢٨٥.

٥-شنترين: على جبل عال ومنها إلى مدينة بطليوس ،انظر الإدريسي القارة الإفريقية ،ص .٢٧٣

٦-الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو ماهر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية ،ج٢ ،بيروت ،لبنان ، د.ت.ط. ،ص ٧٩ .

٧-المراكشي المصدر السابق ،ص ٢٣٠ ،قلعة بني حماد تبعد عن المسيلة مسافة إثنا عشر ميلا وهي قلعة يقصدها التجار كثيرا ،انظر الحميري ،نفسه ،ص ص ٤٦٩-٤٧٠.

وفي هذه الفترة سجل التاريخ انتصارا كبيرا للموحدين ضد النصارى في معركة الأرك سنة (٥٩١ هـ / ١١٩٤ م) و ذلك على يد المنصور الذي توفي سنة (٥٩٥ هـ /١١٩٨ م) [١] و بعد وفاته خلفه ابنه الناصر الذي تمكن من كسر شوكة بني غانية وسترداد ما أخذوه من الأراضي الموحدية.

تراجع أحوال دولة الموحدين و سقوطها :

بدأ تراجع الموحدين بالانكسار الذي لقيه الموحدون في موقعة حصن العقاب ضد النصارى بالأندلس سنة (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) [٣] ، و هذا يعود إلى سوء تسيير من قبل الخليفة الناصر [٤] الذي توفي سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) [٥]. و بعده تدخل الموحدين في دوامة لا تنتهي إلا بنهاية دولتهم .

وبوفاة الناصر خلفه ابنه يوسف المنتصر الذي قام عليه أقرباؤه في الأندلس والمغرب و بدأت في عهده الحروب و الفتن [٦] ، فقد قام بإبعاد مشايخ الموحدين عنه . ومال للدعة و الراحة ، مهملا بذلك أمور الخلافة و الرعية ، وما زاد الأمور سوءا ظهور المرنيين في عهده [٧] و توفي المنتصر سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) [٨] ، و بعد وفاته انغمست الدولة في الانحطاط أكثر إذ امتد الخلاف إلى داخل الأسرة الحاكمة [٩] و ذلك بتصارع أفرادها على السلطة ، و سيطر الأشياخ و الوزراء و الولاة على بعض الخلفاء و هو ما انعكس سلبا على الخلافة التي تراجعت في جل الميادين [١٠] .

١-المراكشي :المصدر السابق ،ص ص ٢٨٢-٢٩٢

٢-نفسه :ص ٣٠٧ وما بعدها.

٣-مجهول : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

٤- عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ ، ص ٥٥ .

٥- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٥٤ .

٦- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، ص ١٣٢ .

٧- محمد عبد الله عنان ،عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ،قسم الثاني ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر ،القاهرة ،ط١ ،١٩٦٤ ،ص ٣٣٦.

٨- عز الدين عمر موسى : نفسه ، ص ٥٥ .

٩- ابن أبي دينار : نفسه ، ص ١٢٤ .

١٠- عز الدين عمر موسى ، نفسه ، ص ٥٦ .

امتد الصراع على السلطة إلى درجة أن أغلب الخلفاء الذين ولوا بعد المنتصر قتلوا بعد فترات قصيرة من مبايعتهم فبعد وفاة المنتصر سنة (٦٢٠ه / ١٢٢٣م) اظطربت أمور الدولة الموحدية إذا تولى الحكم في مراكش أبو مالك عبد الواحد يوسف بن عبد المؤمن ولكن بعد ثمانية أشهر وتسعة أيام خلع،وبايع الموحدون بعده العادل صاحب مرسية،وقد حكم ’لى غاية سنة(٦٢٤ه ١٢٢٧م) قتل ألفيا، وبقي الموحدون منشغلين بالصراع فيما بينهم متناسين بذلك خطر النصارى الذين لم يفوتوا الفرصة ، و قاموا باستخلاص العديد من المدن الأندلسية من أيدي الموحدين [١] .

و لم يفوت الفرصة بعض ولاة الموحدين إذ استقلوا بولاياتهم من الدولة الموحدية وكانت إفريقية أول من استقل عن الخلافة الموحدية [٢] ، و عند تولي يحيى بن الناصر خلافة الموحدين ظهر بن هود و استولى على حصون مرسية و خطب فيها لبني العباس . معلنا استقلاله عن الموحدين [٣] و انتهت بذلك سلطتهم على اقليم غرناطة [٤] و كان أبو العباس إدريس الواثق بالله المعتمد عليه الملقب بأبي الدبوس آخر الخلفاء الموحدين الذي قتـــل سنة (٦٦٨ هـ - ١٢٧١م) و بموته انقرضت دولة الموحدين [٥] . بعد أن كانت قد تمكنت من توحيد بلاد المغرب لأول مرة منذ تواجد الرومانيون فيها [٦] .

١- المراكشي : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

AbdAllah Larawi :L’histoire du Maghreb un essài de Snthése Casablanca , Maroc , 1995 , P 210 .

٣- الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، اعتناء محمد يوسف نجم ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٢٢ .

٤- الحاج محمد بن علي بن محمد الشيطبي : الجمان في أخبار الزمان في مختصر أخبار الزمان ، مخطوط ، المكتبة الوطنية ، ص ١٥٧٥ .

٥- مجهول : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

6- Plusieur écrivains : L’histoire du Monde : le Moyen âge , imprimerie , grafica , éditoriale , Italy , 1997 , P 233 .

:ğpàł ŘdžĂǩł

العناصر المكونة للمجتمع

I-البربـــــــــــر

١- المصامدة

٢ -صنهاجة

٣-زناتـــــــة

٤- بربر الأندلس

II- العـــــــــرب

١-العرب وأماكن استقرارهم بالمغرب الاسلامي

٢-عرب الأندلس

III-الأندلسيون

Ⅳ-**عناصر مختلفة**

١ –الصقالبــة

٢ – الغــــــز

٣-العبيـــــــد

٧أهل الذمة

أ- اليهود

ب- النصارى

جـ-التأثيرات المتبادلة

العناصر المكونة للمجتمع:

إن أي دراسة اجتماعية يجب أن تبدأ بمعرفة الأجناس المكونة، المجتمع لأن ذلك يمهد ويسهل عليه فهم الكثير من الظواهر السائدة، وتفسير الأعراف المتفشية في المجتمع،لأن كل عنصر في المجتمع له ميزات وخصائص يمتاز بها دونا عن غيره،وامتزاج هذه العناصر فيما بينها يساعد على التفاعل السريع فيما بينها وهو ما يكون سببا في ظهور عادات جديدة.

سكن الغرب الإسلامي خليط من العناصر السكانية ،من مختلف المناطق وكان في مقدمتهم السكان الأصليين وهم البربر،الذين ينتشرون في ربوعه ومختلف مدنه وقراه وأريافه،أما بلاد الأندلس فكان مستقرا لعدد كبير من السلالات الأوروبية، السلالات الأوروبية من قوط وبشكنس وعناصر أخرى كثيرة ،وبعد الفتح استقر العرب الوافدين من البلاد الإسلامية ،والذين عمروا البلاد،وأدخلوا إليها أمورا كثيرة ،ساهمت في تطوير البلاد.

البربـــــــــر:

هي كلمة تطلق على شعوب شمال إفريقيا،وكان أول من استعمل هذا الاسم هم الرومان وقد نعتوا بها كل الشعوب الفوضوية الخارجة عن الحضارة[1]، ومن بينهم سكان شمال أفريقيا،ومع ذلك فقد ارتبط لفظ بربر بسكان شمال إفريقيا ويعد هذا العنصر من أهم العناصر المكونة لسكان المغرب الإسلامي وأوفرها عددا، وباقي العناصر الأخرى التي سكنت المنطقة لم تكن إلا أقليات جاءت إلى المنطقة لأسباب متعددة وفي فترات متفاوتة.

ينحدر البربر من أصل واحة لكنهم ينقسمون إلى عدة قبائل قامت على أكتافها أهم الدول التي حكمت المنطقة و من أهمها الدولة المرابطية و الموحدية، وقد اختلف المؤرخون حول أصل نسبهم فابن حزم يقول حول نسبهم"قال قوم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة من المؤرخين أنهم من العين.وبعضهم ينسبهم إلى بر بن قيس عيلان[2]،وتذكر مصادر أخرى أنهم بن افريقش بن صيغي الحميري،ويرجح ابن زيدان أنهم من نســـــــل كنعان تفرقوا

١- يحي هريدي:تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية.ج.مكتبة النهضة المصرية.القاهرة.١٩٦٥. ص.١٣

٢- ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب.تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف.مصر ط١٩٧١.٣.ص٤٩٥

بعده،وقصدت طائفة منهم بلاد المغرب وعرفوا بعدها البربر[١] يتفق النسابة على أن البربر ينقسمون إلى قسمين هما البتر والبرانس فيذكر ابن خلدون "أن شعوب هذا الجيل وبطونهم اتفق العلماء أنه يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماذغيس الذي يلقب بالابتر،ولهذا عرفت شعوبه باسم البتر.ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر[٢]،سكن البرانس المناطق الساحلية وبعضهم استقر في الريف،والكثير منهم سكن الحواضر فعرفوا بالحضر،أما البتر فقد عرفوا ببدواتهم[٣] ويتفرع عن هذين الجذمين شعوبا وقبائل كثيرة ،فيتفرع من البرانس كل من صنهاجة ومصمودة القبيلتان اللتان كان لهما دور كبير في صنع تاريخ المنطقة لأن أكبر دولتين قامتا بالغرب الإسلامي في تلك الفترة ينتسب مؤسسوها وقادتها إلى هاتين القبيلتين،فالأولى قامت على أكتافها الدولة المرابطية،والثانية كان بفضلها قيام دولة الموحدين[٤] موضوع الدراسة وبهذا تظهر لنا صورة جلية حول أهمية القبيلة في المنطقة وبأنها كانت أساس الحكم أي أن النظام القبلى هو الذي كان مسيطرا.فكانت كل دولة تنشأ إلا وكان ذلك بفضل قبيلة معينة .ويتعصب خلفاء الدولة بعدها إلى أبناء قبيلتهم دون سواهم.فيقربوهم ويجعلون منهم حاشيتهم وبطانتهم.ولهذا وجدت العصبية وطنا خصبا لها لتشتد فيه وتقوى[٥]

وسأقوم فيما يلي بدراسة أهم القبائل البربرية التي عاشت بالمنطقة.وعلى رأسها قبيلة مصمودة التي ينتمي إليها كل خلفاء الموحدين.

المصامدة:

تنتمي هذه القبيلة إلى العناصر المستقرة بالمنطقة.وهم أبناء مصـــــــــــمود بن

١- مولاي عبد الرحمن ابن زيدان،اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس.ج١. تقديم عبد الفهادي التازي.١٩٩٠. ط٢.ص٦٢.

٢- ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .منشورات الاعلمي للمطبوعات.بيروت.لبنان.١٩٧١.ص.٩٧

٣-حسين يوسف دويدار:المجتمع الأندلسي في العصر الأموي.مطبعة الحسين الإسلامية مصر.ط١٩٩٤.١.ص٢٥.

٤- حسين علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين .مكتبة الخانجي.القاهرة.مصر ١٩٨٠.ط١. ص.٢٩٢

٥-ابن خلدون: المقدمة مج ٢.تحقيق رجالة .الكس ان بروفنسن.١٩٨٣.ص:٢٠١

برنس.وهم من القبائل الكثيرة العدد.وهذا ما دفع المرابطين إلى العمل على استمالتهم واسترضائهم بشتى الطرق[١] فعبد الله بن ياسين* صاحب دعوة المرابطين أدرك ذلك باكرا وقام باقتطاع جزء مما تجمع لديه من مال الزكاة والعشور وغيرهما ليبعث به لطلبة المصامدة وقضاتها[٢].وقد أثمر الأسلوب الذي اتبعه عبد الله بن ياسين في التعامل مع المصامدة.وكان العداء القديم الذي جمع بين المصامدة والزناتيين سببا آخر دفع بالمصامدة إلى الانضمام إلى جيش المرابطين.واتبع يوسف بن تاشفين نفس سياسته سلفه في التعامل مع المصامدة،وهذا ما جعل المصامدة يلعبون دورا في بناء دولة الملثمين[٣] ولم يكن أمر ترويض المصامدة من قبل الملتحين أمرا سهلا.ومع أنهم اكتسبوهم إلى جانبهم إلا أنهم اتخذوا منهم موقفا حذرا منهم ومما قد يصدر عنهم[٤] وقد بقيت الحياة الاجتماعية لمصامدة درن على حالها ولم تتغير مواطن سكناهم في عهد المرابطين لكن وضعهم تغير بقيام دولة الموحدين.

أما الفرع الثاني فهم مصامدة الريف ويعرفون بغمارة الريف نسبة إلى جدهم غمار بن مصمود ويذكر أنهم عرب غمروا فسموا جراء ذلك غمارة غير أن ابن خلدون نفى ذلك وقد سكنت هذه القبائل المنطقة الريفية.

والفرع الثالث هم مصامدة السهول أوتامسنا وهم على عكس باقي المصامدة لا يشكلون قوة بشرية لأنهم مثلوا الأقلية في فرع المصامدة ،وسكنت هذه الجماعة في المنطقة الممتدة من حاحا إلى وادي العبيد بما في ذلك دكالة والجهة المواجهة لجنوب الأطلس وجميع

١- ابن خلدون:العبر.ج٦.ص ٢٢٥

*- عبد الله بن ياسين:هو القائم بدعوة الموحدين من قبيلة جزولة.عرف بالعلم والخير.استقامت للمرابطين في عهده بلاد الصحراء كلها وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة والسوس استشهد سنة(٤٥٠هـ/١٠٥٦م) في حملته الجهادية على قبيلة برغواطة.أنظرالقاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مـــذهب مالك ج٤.تحقيق أحمد بكير محمود.منشورات دار مكتبة الحياة.بيروت.لبنان. ص ص ٧٨١-٧٨٢

٢- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى دار الكتاب الحديث.مصر .ط٢١٩٩٦ .ص .١٩٨

٣- حسن علي حسن: نفس المرجع السابق. ص٣٠٠.

٤- القاضي عياض: نفسه.ص:.٣٠٠

٥- ابن خلدون:نفسه. ص٢٨١ .

السهول المجاورة، وتشمل أربعة أقاليم هي حاحة،وسوس وجزولة وناحية مراكش(١)
ولأن خضوع المصامدة للمرابطين لم يكن عن طيب خاطر.ولكن لأن مصالحهم ألزمتهم بذلك فسرعان ما ثاروا عليها وكانوا سببا في قيام دولة جديدة تمثلت في دولة الموحدين التي سيعرف تاريخ المنطقة منعرجا جديدا بظهورها.

ويتفرع عن المصامدة الكثير من القبائل منها؛هرغة .هنتاتة..تينمل.كدميوة جنفيسة وريكة.هزميرة.دكالة.حاحة.ركراكة.هيلانة، ويذكرا المراكشى لمطة كقبيلة من القبائل المصمودية.

وقد تغيرت مكانة القبائل المصمودية بعد قيام الدولة الموحدية ونالت بعض منها مكانة كبيرة ،وذلك لمشاركتها في دعوة المهدي ابن تومرت، ومساندتها له بالمال والرجال في بداياته وهم حسب ما تذكر أغلب مصادر الفترة سبع قبائل وهي تينمل القبيلة التي ينتمي اليها المهدي وهرغة وهنتاتة وجنفيسة وهزرجة وكدميوة و وريكة تنضاف إليهم كومية قبيلة كوميةعبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين(٢)

كومية: وتضاف هذه القبيلة إلى القبائل المعمودية،وتنتسب هذه القبيلة إلى البشر،ويعرفون قديما بصظفورة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن ماذغيس الابتر وهم ابناء عم زناتة (٣)،وتتواجد هذه القبائل ببلاد المغرب الأوسط بين تلمسان والبحر المتوسط(٤) ويمتهن أفراد هذه القبيلة الفلاحة ورعي الأغنام ومهن أخرى،وقد تبدل حالهم بقيام دولة الموحدين حيث دخلو بلاد المغرب الأقصى واصبحوا في خدمة خلفاء الموحدين(٤)
ويعود سبب دخولهم إلى المغرب الأقصى أن الخليفة عبد المؤمن بن علي هو من استدعاهم إلى حاضرته ليكون سندا له وعونا في مواجهة القبائل الأخرى،وخاصة بعدما تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة،وعند دخولهم أحلهم عبد المؤمن المكانة الرفيعة وجعل منهم بطانته وحرسه(٥)

١- الحسن الوزان:وصف افريقيا.ج١.ص٥٢
٢- حسن علي حسن،المرجع السابق، ص٣٠٢
(٣)- السلاوي: المصدر السابق.ج م.ص٩٩
(٤)- حسن علي حسن،المرجع السابق، ص٣٠٥
(٥)- ابن ابي زرع: الانيس المطرب.ص:١٣٠

هرغة:

هي قبيلة الإمام المهدي وهي قليلة العدد بالنسبة لباقي قبائل الموحدين،والمكانة الرفيعة التي احتلتها في الدولة الموحدية تعود إلى كون الإمام المهدي منها[1] وقد شكل مجلس الخمسين من بعض أفرادها منهم أبو زكريا يحي بن يومور.وأبو مروان بن عبد الملك بن يحي وآخرون[2]

هنتاتة:

وهي من أوفر القبائل المصمودية عددا ينتسب إليها أحد أهم أصحاب المهدي بن تومرت وهو الشيخ أبي حفص عمر بن يحي العمنتاتي وهي الأخرى كان لها أعضاء في مجلس الخمسين منهم أبو يعقوب يوسف بن وانودين وداود بن عاصم وآخرون[3] وكان

١- المراكشي: المصدر السابق.ص٣٣٩

٢- ابن القطان:المصدر السابق.ص٣٠

٣- البيذق: المصدر السابق. ص٣٤

للشيخ أبي حفص مكانة خاصة عند خلفاء الموحدين، فلم يكن يعين أي خليفة دون استشارته والأخذ برأيه[١]، وسيصبح أحفاده فيما بعد أصحاب دولة مستقلة عن دولة الموحدين وهي دولة الحفصيين.

تينمل:

وهي مجموعة من القبائل سميت كذلك لتواجد أفرادها بمكان واحد اسمه جبل تينمل ومكانتها تعود للمساندة التي لقيها المهدي بن تومرت عندهم وتبنيهم لدعوته ،فأعطوه المضجع والمستقر حيث بدأ دعوته.ولهم العديد من الأعضاء في مجلس الخمسينن كأبي موسى سليمان وأبو عبد الرحمن وآخرون[٢]

جنفيسة:

وهي قبيلة كثيرة العدد انضم بعض أفرادها لمجلس الخمسين كاسماعيل وأبو زيد عبد الرحمن بن رْجو وعبد الله بن الحاج وآخرون[٣]

كدميوة:

كانت تابعة لهنتاتة لقرب مواطنها من مواطن هنتاتة،ومن أفرادها بمجلس الخمسين نذكر أبو محمد العيش بن تماري وابو على كنون بن تماري وآخرون[٤]

وريكة:

هي قبيلة مجاورة لهنتاتة[٥]

من الملاحظ أن كل القبائل لها أعضاء في مجلس الخمسين وذلك لأن هذا المجلس وضع خصيصا ليجمع كل القبائل المساندة للدولة الموحدية،و بذلك فهو يضم أشياخها وشرفائها ليكون لهم بذلك دور في سير الأمور وتحريكها بالإضافة إلى هذه القبائل نجد هسكورة الكثيرة العدد إلا أنها لم تكن من المسارعين لمبايعة المهدي.

١- ابن خلدون.العبر.ج٦.ص٢٦٧.

2-Levi provençal:Document inédits dhistoir Almohade librairie orientaliste .Paris.1928.pp:56-57

٣-البيثق:المصدر السابق.ص٥١

٤- البيذق:المصدر السابق.ص٣٤

٥- أحمد جمال طه: الحياة الاجتماعية.ص٥٠.

لقد كانت مضارب المصامدة محدودة قبل قيام الدولة الموحدية لكن بعد سيطرتها على البلاد انتهج الخلفاء الموحدون سياسة توطين القبائل المصمودية في المدن[١] وتوزيعها على مختلف المدن والأمصار فكومية نزلت مراكش وذلك بأمر من عبد المؤمن بن علي وكذلك تركت كل من هسكورة وصنهاجة أراضيهما لتنزلا بمراكش وسكنوا فاس فنجد أن بني خنوسه من مصامدة السوس اشتهروا بفاس، وكان لهم درب خلوف من حومة الكدان،بالإضافة إليهم سكنت هزميرة فاسا هي الأخرى ،وجاء ذكر غمارة بمدينة فاس في فترة حكم الموحدين،[٢]ويذكر الادريسي أن كل من نفيس وبنو يفرن ودكالة ور جراجة وزودة وهسكورة وهزرجة كانوا يسكنون في مراكش، وسكن غرب أغمات وشرقها قبيلة وريكة[٣].

وسكنت كل من رجراجة و مسوكة ومتوكة و دمسيرة بين وادي سثيشاوة والساحل الأطلسي وبطون فروكة وصودة ولصيقة في المنطقة الممتدة بين وادي شيشاوة و وادي نفيس وسكنت سكتانة و وريكة بين وادي نفيس و وادي غدات، وشرق هذا الوادي سكنت مسكالة،أما تينمل فلم يتغير موضعها كثيرا كما سكنت جدميوة جنوب مراكش وكذلك قبيلة هفتاتة .وجنفيسة فسكنت شمال وادي سوس أما هسكورة فقد استوطنت إقليم السوس ونواحي درعة بالقرب من مواطن المصامدة ولهذا فقد ضمت إليهم وعدت منهم[٤].

إن التغيير الذي عرفته أماكن استقرار بعض القبائل المصمودية.لم يكن اعتباطيا بل كان أمرا مخططا له من قبل السلطة الموحدية وذلك لأنهم من أمر القبائل بتغيـــــــير منازلهم[٥]وأصبحت بذلك نسبة البربر المصامدة الساكنين في المدن والحواضر كبيرة[٦] وهذا التهجير إن صح التعبير كان من أجل أن تضمن الدولة الموحدية أعوانا لها في كل المدن والأمصار التي تمكنت من السيطرة عليها وهذا ما يساعدها على إحكام سلطتها

١- ابن عذارى:المصدر السابق .قسم الموحدين.ص١٥٣ .

٢- أحمد بن القاضي المكناسي:جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ق١.دار المنصورة للطباعة .الرباط.١٩٧٤.ص١٠٩ .

٣- الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق .مج١.عالم الكتب .بيروت..١٩٨٩

٤-جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص٥٣-٥٤

٥- ابن عذارى:البيان المغرب. قسم الموحدين. ص١٢٦

٦- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال ق٦ هـ.دار الشروق ،بيروت ط١ ١٩٨٣.ص٨٠.

على كل المدن.ويعطيها حظا أوفر في القضاء على الفتن والتمردات.

صنهاجة:

تعد صنهاجة من حيث عددها ومكانتها من أهم القبائل البربرية، مثلما يؤكده المؤرخون فهي تمثل ثلث سكان المغرب ، [١] وتنتسب صنهاجة إلى قبيلة حمير اليمنية،[٢] إلا أن الادريسي يذكر أن جد لمتونة المحسوبة ضمن القبائل الصنهاجية،هوترجوت الصنهاجي[٣] أي أنهم ليسوا عربا.غير أن مجموعة أخرى من المؤرخين تذكر أن صنهاجة قبيلة بربرية ولا علاقة لها بالعرب،ولكن المرجح هو أن صنهاجة هي قبيلة عربية في أصولها وتنقسم صنهاجة حسب ما أوردته مصنفات التاريخ إلى قسمين هما مدر وهم سكان المناطق الشمالية[٤]

وتنقسم مدر بدورها إلى صنهاجة العز الساكنة بجبال غمارة وسميت بهذا الاسم لأنها لم تلتزم يوما بأداء الضرائب وإلى صنهاجة الذل الساكنة بآزمور ولقبت بهذا الاسم لتقيديمها الضرائب للدولة دون إحداث أية مشاكل.[٥]

أما القسم الثاني فهو صنهاجة الصحراء أو أهل الوبر وهم قبائل الملثمين القاطنين بالخيام بأقصى الجنوب،وما يميز هذه القبائل عن غيرها من القبائل البربرية هو ارتباط حياتهم بالترحال، حتى أن الحميري في كتابه يقول عنهم:" رحالة لا يستقر بهم مكان،[٦] وما يؤكد قوله هو ما ورد في الكتب الجغرافية عن أماكن سكناهم ،وأنهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا زولا ثمارا،وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن دون سواهما "[٧] ويندرج تحت

١- ابن خلدون:العبر.ج٦.ص:١٥٢

٢- أبي العباس بن علي القلقشندي: صبح الأعشى.ج١.وزارة الثقافة والإرشاد القومي .المؤسسة المصرية .مصر.د.ت.ط.ص٣٦٣

٣- الادريسي: القارة الإفريقية وبلاد الأندلس.ص٧٣ .

٤-ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا.تحقيق إسماعيل العربي.ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر.ط١٩٨٢.٢.ص.٧٣

٥- ابن سعيد المغربي:كتاب الجغرافيا. ص٧٣ .

٦- إبراهيم القادري برتشيش:مباحث في تاريخ المغرب والأندلس.ص ١٦

٧- الحميري:المصدر السابق. ص:٣٠٥ .

هذه القبيلة حوالي سبعين قبيلة منهم مسوفة.لمطة .لمتونـــــــــة،كدالة مسراتة.تكـــــــــلاتة منداسة[١]،جزولة. بنو ابراهيم،.بنو تاشفين ،وبنو محمد[٢]غير أن أهمية هذه القبائل تختلف حسب الدور الذي لعبته كل واحدة منها في تاريخ المغرب.ومن أهم هذه القبائل نذكر:

لمتونة:

وهي من أهم القبائل المغربية التي لعبت دورا كبيرا بالمنطقة خاصة في القرن الخامس للهجرة،[٣]إذ أن قيام دولة المرابطين كان على أكتافها.وكان يوسف بن تاشفين أول أمير للمرابطين أحد أفرادها.وبقيت السلطة في أيدي أبنائه من بعده،أي أن لمتونة كان لها الزعامة والحكم.

حدث تغيير كبير على حالة لمتونة الاجتماعية مع بداية الدولة المرابطية فقد انضموا إلى دعوة عبد الله بن ياسين ،ومساندتهم له أكسبته قوة كبيرة .ولذلك قام بنقل الزعامة من جدالة إلى لمتونة .وراحت لمتونة بعد ذلك تتوسع باتجاه الشمال منذ سنة (٤٤٥هـ/١٠٥٠م) [٤] واختطوا مدينة مراكش ونزلو بها [٥]

وعلى الرغم من أن أفراد هذه القبيلة لا يشتغلون بالزراعة ،ولا أي حرفة أخرى ،فقد كانوا أصحاب أغنام يعيشون من لحومها و لبنها[٦]

إلا أن هذا تبدل وتغير عند توليهم المناصب المهمة والمرموقة في الدولة.فأصبحوا يعملون على تعلم الزراعة، والتجارة، والصناعة ،واحتراف مهن أخرى عديدة[٧]،واستوطنوا أراضي واسعة من منطقة لمطة وجزولة، امتدت من وادي نون على المحيط الأطلسي على رأس بوجادور الحالية إلى الشرق من وادي نون،وقد توغل أفراد هذه القبيلة في الصحراء

١- أبي القاسم ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحبراة.بيروت.دت ط.ص ص ٩٧-٩٨ .

٢- حسن علي حسن:المرجع السابق.ص .٢٩٥

٣- الادريسي :القارة الافريقية وبلاد الأندلس.ص١٢٨ .

٤- حسن علي حسن:نفسه.ص .٢٩٦

٥- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية .ص.٤٢

٦-البكري:المصدر السابق.ص.١٦٤

٧- حسن أحمد محمود: المرجع السابق.ص ٤١ .

حتى أنهم وصلوا إلى الطريق الرابط بين غانة وسجلماسة[١]

قبيلة جدالة:

وتأتي هذه القبيلة في المرتية الثانية بعد لمتونة. كانت لها مكانة رفيعة في عهد المرابطين.وقد سكنت هذه القبيلة بمدينة أوليل وامتدت مضاربها حتى مصب نهـــر السنغال[١].وتعود أهميتها إلى الموقع الجغرافي المهم الذي نزلت به فمدينة أوليل كثر بها الملح المجلوب من بلاد السودان[٢]وازدهرت بها تجارته ولعبت هذه القبيلة أبرز دور في قيام دولة المرابطين.قبل أن تنتزع منها قبيلة لمتونة الزعامة[٣]

قبيلة مسوفة:

وهي قبيلة لها أهمية كبيرة .أكسبها إياه الموقع الجغرافي الذي احتلته في منطقة الغرب.فقد سكنت هذه القبيلة بين سجلماسة وأودغشت وسيطرت بذلك على تجارة الذهب[٤] .وبالإضافة إلى اشتغال أهلها بالتجارة .فقد كان أفرادها بدوا عاشوا بالاعتماد على الرعي وعلى ماشيتهم.

قبيلة لمطة:

وهي من القبائل التي نزلت ما بين جبال درن حتى وادي نول القريب من المحيط الأطلسي، وقد أضيف لمطة على اسم مدينة نول لأن سكانها كانوا من هذه القبيلة فعرفت بنول لمطة[٥] .

إن سياسة الإبادة التي اتبعها الموحدين في بداية دعوتهم لم تأثر على تواجد هذه القبائل على خريطة المنطقة .

١- ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في تاريخ المغرب والأندلس.ص .١٧

٢- حسن علي حسن: نفس المرجع السابق: ص٢٩٨.

٣- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ج٢،تر:محمد عبد الله عنان ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،القاهرة،ط٢،١٩٥٨، ص ص ٢٣٤-٢٣٥

٥- ابراهيم القادري بوتشيش: نفسه.ص١٧ .

٦- الاستبصار: مجهول.مخطوط.ورقة ٣٦.

٣- قبائل زناتة:

تصرح بعض المصادر أن زناتة من العرب، وبالضبط من حمير[١] ويعود أصلهم إلى كنعان بن حام[٢]،وهم فرع البتر[٣] ومن بطونها بنو مغراوة وبنو يفرن وملكاتة [٤] وتاجن ومكلاتة[٥] وبنو سنوس ومكناسة وجراوة وبنو تزجين ومطماطة ومطغرة ومدينة ومديونة ونفزاوة ولواتة وبنو راشد[٦] وسدراتة وكشبانة وملزوزة ومرنسية[٧] وهم قبائل رحالة قليلة العدد[٨] ،عرف عنهم القوة والشجاعة ورباطة الجأش[٩] وكانوا من أكثر القبائل البربرية تقبلا للتعريب وهذا لتواجدهم المستمر بالقرب من العرب واختلاطهم بهم[١٠].

اتخذت زناتة من غرب المغرب الأوسط مقرا لها.فاستوطنت المناطق الشمالية الشرقية خاصة تلمسان ومنطقة تامسنا[١١] وكانت مضاربها مجاورة لمضارب صنهاجة و كان يجمعهم عداء قديم.وبرز هذا العداء واشتد النزاع بين القبيلتين في القرن الرابع الهجري.وفي تلك الفترة ظهرت دولة جديدة قامت على أكتاف كتامة وصنهاجة من البربر وكانت هذه الدولة هي الدولة الفاطمية.وهذا ما لم يرق للقبائل الزناتية التي نظرت إلى هذه الدولة الناشئة بنظرة الشك والحذر،وجمعتها بها العديد من النزالات كانت الغلبة فيها غالبا للفاطميين. وكان هذا وراء خروج بعض الزناتيين من المغرب الأوسط هربا بأنفسهم من ثأر الفاطـــــميين وبطشهم[١٢]

١- أبو العباس القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب .تحقيق ابراهيم الأبياري .الشركة العربية للطباعة والنشر .القاهرة.١٩٥٩ .ص .٢٧٤.

٢- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب.ص .٤٩٦

٣- أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر :النفحة النسرينية واللمحة المرينية،تحقيق عدنان محمد آل اطعمة دار سعد الدين،دمشق،سوريا،١٩٩٢،ص.٣١

٤- ابن خلدون: العبر. ج٧.ص٢٤ .

٥- ابن حوقل: نفس المصدر. ص١٠٩

٦- ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي.ص: ٢٤

٧- مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد حقية. مطابع جول كربونل.الجزائر.١٩٢١.ص١١

٨- ابراهيم القادري بوتشيش: نفسه.ص.٢٥

٩- مارمول كربحال: افريقيا ج١.ترجمة محمد حجي.محمد زنير.محمد الأخضر .أحمد التوفيق

١٠- ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ.ج١.ص.٣٣

١١- مارمول كربخال: نفسه.ص٩٠ .

١٢- ابن خلدون:نفسه.ج٧.ص٥٠.

فنزلوا بسجلماسة وبعض حواضر المغرب الأقصى[١] وغادر الكثير منهم بلاد المغرب قاصدين الأندلس[٢] ،أما الجماعة التي سبق وأن استقرت بالجنوب المغربي وبسجلماسة.فهي من تكفلت بتحقيق حلم الزناتيين في السلطة والحكم،[٣] فالدولة المرينية التي سطع نجمها بعد أفول نجم الموحدين كانت بفضل أفراد هذه القبيلة،التي عادت إلى الساحة السياسية بعد موقعة العقاب(٦١٠ هـ/١٢١٢ م) التي انهزم فيها الموحدون[٤].

وهناك بعض القبائل التي لا تنتمي إلى القبائل التي ذكرناها سابقا سواء كانت مصمودة أو صنهاجة ،ولا حتى زناتة ومنها قبائل كتامة المعدودة من بطون البرانس.إلا أن أفرادها تنكروا لنسبهم ،واندمجوا في القبائل المجاورة لهم كغمارة وصنهاجة[٥]،وهذا التنكر لم ينطبق على كل القبائل الكتامية ،.إذ وجدت قبيلة اعترفت بنسبها لكتامة.وعاشت هذه القبيلة بإقليم الجسيمة شمال المغرب الأقصى، [٦]والتنكر الذي ألتزمته بعض القبائل الكتامية يعود إلى ما كان أفراد هذه القبيلة يأتونه من قبيح الأفعال، استنكرها جل المؤرخين، ومنها أنهم كانوا يعتبرون تسليم أبنائهم للضيوف من الغرباء ليفعلوا بهم ما يشاءون ،حتى ولو كان فعلهم مخلا بالآداب وخارجا عن نطاق الدين من الكرم وحسن وفادة الضيف.[٧]

ونجد أيضا قبيلة أوربة التي تنتمي إلى البرانس أيضا، وكان لهذه القبيلة دور كبير في تأسيس دولة الأدارسة [٨] ،لأن أفرادها كانوا أول من بايع الإمام إدريس سـنة(١٧٢ هـ/٧٨٩م) ، [٩] ومن بطونها رعيوه ولجاية ومزياتة،انضموا إلى ثورة مزدغ الغماري الذي ثار ضد الموحدين إلا أن الموحدين، تمكنوا من إخماد ثورة هذا الزعيم البربري[١٠] وقبائل

١-ابن خلدون:العبر،ج٧،ص.٤٩

٢-نفسه: ص٥٠ .

٣- حسن أحمد محمود: المرجع السابق. ص: ٦٠

٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب . ص ص ١٥٢-١٥٣ .

٥- ابن خلدون:نفسه،.ص .٢٠٠

٦- نفسه: ص ٢٠١

٧- الادريسي: نزهة المشتاق. ص .٢٧٠

٨- ابن أبي زرع: نفس المصدر السابق. ص ٤٦

٩- مجهول: مفاخر البربر،دراسة وتحقيق محمد يعلي،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي،مدريد،١٩٨٦،ص١٨٥. ص .١٨٥

١٠- المراكشي:المصدر السابق. ص ٣٦٤.

بربرية أخرى كلواتة وقبيلة شعب اداسة وقبيلة مطغرة التي تنتمي إلى فرع البتر، والتي دخلت في خدمة الموحدين عند قيام دولتهم.[١]

بربر الأندلس:

دخل البربر إلى الأندلس ضمن حملات الفتح الإسلامي للمنطقة،[٢] وتمكنت الجماعات الأولى التي دخلت الأندلس، من الاندماج في المجتمع الأندلسي بكل شرائحه،[٣] وبعدها جاءت وفود جديدة من البربر إلى الأندلس وكانوا في الغالب من زناتة لأن المنصور بن أبي عامر قام بتجنيد أعداد كبيرة منهم[٤]، وبعد زناتة دخلت الأندلس صنهاجة في أعداد ضخمة، وذلك بطلب من الأندلسيين أنفسهم من أجل مساعدتهم على رد جحافل النصارى التي أغارت على البلاد وكسر شوكتهم،وبعد الانتصار الذي حققه البربر من المرابطين على النصارى بدأوا بالاستقرار بالمنطقة،ونزلوا المدن والثغور.[٥]

لم يكن وجود البربر بالأندلس محببا للأندلسيين اللذين كانوا يعتقدون أنهم الأكثر تطورا وحضارة ،وأن البربر ليسوا إلا بدوا أبهرتهم مظاهر الحضارة بالأندلس، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب ،فكثيرا ما وصف أهل الأندلس البربر بأرذل الصفات وما يدل على ذلك الأمثلة التي تداولوها[٦]،وكان ما ساد بالعدوة المغربية في الفترة الانتقالية من دولة المرابطين إلى دولة الموحدين من فتن وحروب كثرت فيها المجاعات والأوبئة التي ذهب ضحيتها أعدادا كبيرة من المغاربة سببا آخر ليخرجوا من المغرب متجهين إلى الأندلس، مبتعدين بذلك عن الموت والهلاك،وأكبر هجرة للمغاربة تجاه الأندلس كانت سنة(٥٣٥ هـ/ ١١٤٠ م) حيث يذكر أحد المؤرخين أن في تلك السنة كان الجلاء العظيم إلى الأندلس[٧].

١-جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص .٥٤

٢- حسين مؤنس: فجر الأندلس. ص.٣٩٦

٣-عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق. ص.٨٤

٤- أحسن أحمد محمود: المرجع السابق. ص٧٨

٥- عصمت دندش:الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين في عصر الطوائف الثاني(٥١٠ هـ–٥٤٦ ه) بيروت. دار الغرب الإسلامي.١٩٨٨.ص٢٦٠ .

٦- الزجالي: أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه: رى الاوام وبلوغ الحرام في نكت الخواص والعوام.تحقيق محمد بن شريفة .مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية .فاس المغرب .١٩٧١.ص ٤٥

٧- ابن عذارى: البيان المغرب. ج٤.ص:٩٨..

وعند قيام دولة الموحدين لم تتوقف وفود المغاربة المتجهة إلى الأندلس،فالخلفاء الموحدون اتبعوا سياسة توطين القبائل البربرية ببعض الحواضر الأندلسية، فيوسف بن عبد المؤمن ترك في"المشرق- شرق الأندلس- من كل قبيل،فأسكن زناتة والعرب ببلنسية، وأسكن صنهاجة وهسكورة في شاطبة ومرسية،وفي لورقة أنزل أهل تينمل،وفي المرية أسكن برشانة وكومية"[١] ،وفي سنة(٥٧٠ هـ/١١٧٤ م)استعاد الموحدون مدينة باجة من أيدي النصارى وأعادوا إليها أهلها، وأسكنوا معهم جماعة من الموحدين[٢] ،وفي سنة(٦١٦ هـ/١٢١٤ م)أرسلت مجموعة من قبائل كومية إلى الأندلــس لتعزز بذلك تواجد البربر بالأندلس[٣].

امتهن البربرالذين نزلوا ببلاد الأندلس مهنا كثيرة منها الفلاحة ،وحلب البقر، وصنع السمن، والزيت والعسل والصوف، وفي خدمة الفحم والخشب[٤]،وحراسة الدروب[٥] ،وهذا النوع من الحرف يدل على أن البربر استقروا بالبوادي،وأما من سكن المدن منهم فقد عمل بضفر الحلفة، وخدمة الأوعية، وصيد الطيور، وبيع السلع في الأسواق وأعمال أخرى كثيرة[٦].

الــعـــــــــرب:

احتل عنصر العرب ببلاد المغرب المرتبة الثانية بعد البربر، من حيث العدد، ومع أن أعدادهم كانت كبيرة تيسيا بالبلاد إلا أنهم ليسوا من سكانها الأصليين، بل كانوا من الوافدين إليها،دخلوا البلاد كفاتحين يعملون على نشر الإسلام وضم البلاد إلى حضيرة المسلمين.

كان عددهم في البداية قليل جدا ،ولكن بمرور الزمن ازداد وتضاعف وخاصة بمقدم بني هلال .ومع هذا فإنه لم يتفوق طوال فترة العصور الوسطى على عدد السكان الأصليين من البربر،وهذا يدل على أن العرب المسلمين كانوا فاتحين لا محتلين،لأن أول عمل يقوم به المحتل هو إبادة شعوب البلدان المحتلة لتكون له الغلبة والسيطرة،وهذا مافعله الأوربيون بالسكان الأصليين لأمريكا ،وما عمل الاستعمار الفرنسي على تحقيقه في الجزائر طوال مدة تواجده بها (١٨٣٠م – ١٩٦٢م).

١- البيذق: المصدر السابق ص .٣١

٢-ابن عذارى: البيان المغرب.قسم الموحدين.ص.١٣٢

٣- عز الدين أحمد موسى المرجع السابق . ص:.٨٥

٤- ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي.ص:.٣٥

٥- عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق.ص :.٨٥

٦- إبراهيم القادري بوتشيش: نفسه.ص:٣٥.

ويعود تواجد العرب في بلاد المغرب إلى بدايات الفتح الإسلامي للمغرب،وذلك بمجيء عقبة بن نافع إلى المنطقة ،موفدا من قبل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٢٤هـ/٦٤٤م). وكان برفقته عدد كبير من أشراف العرب،غير أنه لم يبق بالمغرب سوى عقبة بن نافع مع مجموعة من الجند[١]،وبعد عقبة جاء موسى بن نصير لإتمام عملية الفتح، وحمل معه أعدادا معتبرة من العرب وفي هذه المرة أيضا لم يبق منهم الكثير،بل استقر منهم من اوكلت اليهم السلطة المركزية بدمشق مناصب رسمية بالبلاد، كالولاة وأُسَرهم وأعوانهم، وبـــــاقي الموظفين[٢] ،وبعد ذلك أصبح المغرب ملجأ لكل المضطهدين والثائرين الفارين من قمع الأمويين،و وجد بعض اللاجئين إلى بلاد المغرب موطنا لبث أفكارهم،وجمعوا حولهم الأنصار والموالين، وعلى الرغم من كثرة الوفود القادمة إلى المغرب من العرب إلا أن عددهم لم يشكل نسبة كبيرة [٣].

ازداد عدد العرب الوافدين إلى المغرب بقيام دولة الأدارسة التي استقطبت الكثير منهم ، وكانوا هم من أسس مدينة فاس،وجاؤوا من بلدان مختلفة منها القيروان والأندلس والعراق[٤] ،ومع بداية القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي برزت إلى الواجهة أهمية المنطقة التجارية لإشرافها على طرق تجارية مهمة منها طريق تجارة الذهب ،المار بسجلماسة التي قصدهما العديد من التجار المشارقة واستقر بها للقيام بأعمالهم، ومباشرة تجارتهم[٥]،وسكن العرب بعض المناطق الشمالية وكانت قبائل:بنو هاشم و بنو تميم وبنو عدي وبنو سهم وبنو أمية وغيرهم السباقين من العرب الذين هاجروا إلى المغرب والسكنى به[٦].

كان قدوم العرب إلى المغرب في جماعات وبشكل متواصل لارتباط المنطقة بالمشرق الإسلامي سياسيا،إلا أن عدد العرب بالبلاد لم يصل إلى الحد الذي يمكنه من تغيير التركيبة السكانية للمنطقة،ولكن في بداية القرن الخامس الهجري حدث أمر هام غير ما كان

١- الحسن الوزان: المصدر السابق. ج٢ ص ٤٦ .

٢-حسن علي حسن: المرجع السابق. ص ص ٣٠٢-٣٠٣

٣- ابراهيم القادري بوتشيش:مباحث في الحياة الاجتماعية ،ص.٢٧

٤- ابن أبي زرع:الأنيس المطرب. ص .٢٩.٣٩.٤٧

٥-ابن حوقل: المصدر السابق. ص.٦٥

٦- ابراهيم القادري بوتشيش: نفسه.ص:٣٧.

عليه العرب ،وجعلهم عنصرا هاما في التركيبة السكانية للمنطقة وتمثل هذا الحدث في الهجرة الهلالية،أو كما يسميها بعض المؤرخين الغزوة الهلالية(١) ،سببا في تعمير العرب لأغلب مناطق المغرب الإسلامي(٢).

أطلق اسم العرب الهلالية على هؤلاء العرب الغازين ،إلا أن بني هلال شكلوا جزءًا من بين العرب القادمين ومن بين القبائل التي حلت بأرض المغرب :بنو سليم وبنو هلال وأحلافهم من الحشم والخلط والمعقل ،وتنتسب هذه القبائل إلى منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، ما عدا المعقل منها، فهم ينسبون أنفسهم إلى جعفـــــر بن أبي طالب (٣).

وكان العرب الهلالية من أهل الحجاز،فبنو سليم سكنوا البحرين وعمان وصاروا بعدها جندا للقرامطة،وعند تمكن الفاطميين من القرامطة بالشام نقلوا معهم أعدادًا كبيرة من هؤلاء العرب إلى الصعيد المصري(٤)،وهناك ألحقوا الضرر الكبير بالبلاد والعباد،أما سبب انتقالهم إلى بلاد المغرب.فهو أنه عندما تولى الحكم ببلاد المغرب المعز بن باديس الزيري أقدم على لعن العبيديين على المنابر،واعمل القتل في شيعتهم بالمنطقة.ودعا للعباسيين وحمل لواءهم ،معلنا بكل هذا خروجه عن طاعة الفاطميين،ولتأديبه وعقابه على ما فعل أباح الخليفة الفاطمي المستنصر جواز العرب الهلالية إلى بلاد المغرب،وذلك بناء على نصيحة وزيره اليازوري الذي أغرى العرب الهلالية بالجواز إلى المغرب،حيث أمر لكل عربي بدينار. وكان هذا سببا في انتقال أعداد كبيرة جدا،وهو ما جعل هذا الانتقال يعرف بالغزوة،خاصة وأن العرب قاموا بعمليات نهب وسطو عند دخولهم البلاد، ولم يمر عبورهم بأي مدينة دون تخليف أثار الدمار والخراب(٥)،وكانت مدينة برقة أول مدينة مغربية دخلوها وعاثوا فيها فسادا ومنها انتقلوا إلى باقي المدن الإفريقية،وتمكنوا من بسط سيطرتهم على

١-شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول.دار العلم للملايين بيروت. ١٩٨١.ط.ص:١٧١ .

٢- عز الدين أحمر موسى: المرجع السابق. ص.٩٣

٣- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،تقديم محمد الميلي،ج٢،مكتبة النهضة،الجزائر ٢٠٠٤ ص:.١٧٨.

٤-السلاوي(أبو العباس أحمد خالد الناصري):كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج٣ نفس المصدر السابق، ج٣،ص ١١٣ .

٥- ابن عذارى:البيان المغرب.ج٤.ص ص ٢٨٨-٢٨٩ .

أجزاء كبيرة من البلاد في وقت قياسي[1]. ومن آثار نزول العرب بإفريقية خروج أهلها منها فرارا من الدمار والفساد. وكانت وجهة الكثير منهم صقلية والأندلس.[2] وقلعة بن حماد التي استقطبت أعداد مهمة منهم،وساهمت في نشاط القلعة فكريا واقتصاديا.إلى أن قامت دولة الموحدين التي جمعتها بالقبائل العربية العديد من المواجهات العنيفة ،كان سببها وعند قيام دولة الموحدين انضمام القبائل بسببها انضمام القبائل العربية إلى بني غانية أعداء الموحدين، وذلك من أجل الحفاظ على ما يملكون من أراضي ورد الموحدين عنها وحصر أيديهم عنها[3] ومن أهم المواجهات التي كانت بين العرب والموحدين تلك التي كانت في عهد عبد المؤمن بن علي بالقرب من سطيف(٥٤٧ هـ/١١٥٢م) والتي كانت الغلبة فيها للموحدين وإنكسرت فيها شوكة هذه القبائل،وجرّاء هذه الهزيمة هرب العرب وتركوا وراءهم أبناءهم ونساءهم ومالهم فاستولى عليها الموحدون[4] وأمر عبد المؤمن بتوزيع السبايا والغنائم في فاس، ومكناس، وسلا أما الحرائر من النساء والأطفال فقد حملهم معه إلى مراكش، واحسن رعايتهم والتكفل بأمورهــم وما يحتاجون إليه[5] ،وأمر بمراسلة زعماء القبائل العربية وأخبارهم أن نساءهم وعيالهم في الحفظ والصون،وردا عليه جاءه وفد شكله ديفل بن ميمون وحباس بن الرومية وابن الرحامس وابن زيان وآخرون[6] فأحسن عبد المومن استقبالهم وأكرمهم ورد عليم نساءهم وأطفالهم[7] وكان بعدها عدد العرب الملتحقين بالمغرب الاقصى أيام الموحدين كبير،وكان عبد المؤمن عندما نزل بإفريقية سنة(٥٥٣ هـ-١١٣٨)م طلب منهم مساندته ومرافقته للجهاد في الأندلس إلا أن نداءه هذا لم يلق صد طيبا

١- الهادي روجي ادريس:الدولة الصنهاجية .ص٢٥٥

٢- موسى مريان: أسباب هجرة بني هلال وبني سليم إلى المغرب ونتائجها وصدى نكبة القيروان في الشعر العربي القديم: بنو هلال وتاريخهم أعمال الملتقى الدولي،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ.الجزائر منشورات الشهاب ١٩٩٦.ص.٢٦٠

٣-مجهول: الحلل الموشية. ص١٥٦

٤- التيجاني: رحلة التيجاني ،قدم لها حسن حسني عبد الوهاب،المطبعة الرسمية ،تونس،١٩٥٧،ص:٣٤٧ .

٥-مصطفى أبو ضيف أحمد:أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين ،مطبعة دار النشر المغربية الدار البيضاء المغرب.١٩٨٢ ط١ ص ٦٩

٦- مصطفى أبو ضيف أحمد: المرجع السابق. ص.٧٠

٧- ابن الأثير : المصدر السابق.ج٩ . ص٣٩١

بين أوساط القبائل العربية [١]، وذلك على الرغم من تلقيه وعودا بالمساعدة .ومعاقبة لهم على ذلك حمل عبد المؤمن ألفا من كل قبيلة، بعيالهم إلى المغرب من بني رياح وجشم وبـنـي عدي[٢]، وعن كثرة العرب الذين أدخلهم عبد المؤمن إلى المغرب يقول ابن صاحب الصلاة" وقد استاق في اتباعه من العرب ورياح جشم وبني عدى من بني هلال وقبائلهم ما يضيق بهم الفضاء على عدد الذباب وعدد الحصى"[٣].

وقد اتبع خلفاء عبد المؤمن سياسته المشي باللين مع العرب ،ليتمكنوا من السيطرة عليهم، واستغلال كل طاقاتهم الحربية التي عرفوا بها لمصلحة الدولة الموحدية، ولضمان مساعد جديد وقوي في عملية الجهاد ضد النصارى بالأندلس،وليتمكن الموحدون من كسب ثقة العرب،اتبعوا شتى الطرق والوسائل،ففي البداية استغلوا وحدة النسب العربي بينهم وبين القبائل الهلالية،وراحوا يذكرونهم بصلة الرحم ومالها من واجبات، ومنها مناصرة بني العمومة على كل الأعداء ،ومساعدتهم في التخلص منهم،وقد كتب الشعراء الموحدون العديد من القصائد سموا فيها القبائل العرب بأبناء العم[٤] ومنها:

بني العم من عليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت إلى الغزو فيه عواقبها منصورة بالأوائـــــــل[٥]

وامتدح شعراء آخرون العرب بالشجاعة والبأس فيقول أحدهم:

أحاطت بغايات العلا والمفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر[٦]

وذلك لنفس الهدف دائما إذ أن المدح يدفعهم إلى الالتحاق بصفوف جيش الموحدين، لمحاربة النصارى في العدوة، ولقد كان طمع العرب الهلالية في المال والعطايا التي يبذلها خلفاء

١- مصطفى أبو ضيف: المصدر السابق .ص:٧١ .

٢- الوزير السراج: الحلل السندبية في الأخبار التونسية،مج ٢،تحقيق وتقديم محمد الحبيب العميلة ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان،ط ١،١٩٨٥ ،ص:١١٣. ص١١٣

٣- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق. ص١٤

٤ -أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس.مؤسسة شباب الجامعة .الإسكندرية مصر. د.ت.ط ص١١١

٥- المراكشي: المصدر السابق. ص.٢٢٤

٦- ابن سعيد المغربي: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة،تحقيق ابراهيم الأبياري،دار المعارف،مصر،ط ٢،١٩٦٧ ، ص١٠٣.

الموحدين للمشاركين في الجهاد تطوعا من أهم الأسباب التي جعلت العرب يتوافدون على بلاد المغربالاقصى والأندلس[١]، والمتتَبع للمسيرة التاريخية للعرب الهلالية يجد أن أهم شيء مسؤول عن توجيههم هو المال.فهم لا يُقدمون على أي حركة دون التأكد من المنفعة المالية،والمنصور الموَحدي يوصي بهم بقوله "إن هؤلاء العرب تدارونهم وتلاطفونهم وتحسنوا إليهم ومن وفد عليكم منهم تعطوه وتحسنوا إليه غاية الإحسان وتشغلونهم بالحركات ولا تتركونهم للعطلة والراحات"[٢] وعرفت فترة حكم المنصور ازدياد عدد الوافدين إلى المنطقة من العرب، وذلك لما كان يبذله لهم من العطايا والأموال.حتى أنهم شكّلوا أهم عنصر في الجيش الموحدي[٣].

ولأنهم أصبحوا يشكّلون أحد أهم شرائح المجتمع في المغرب فقد أمرهم المنصور بدفع الضرائب المفروضة على باقي الرعية في المغرب[٤] وكان يأخذ عددا من أبنائهم للمشاركة في الحملات العسكرية التي يقوم بها الموحدون كسواهم من المغاربة. وكان عبد المؤمن قد أنشأ لهم منذ البداية هيئة أشياخ العرب والتي تماثلها هيئة أشياخ الموحدين[٥] وهذا يدل على أن الخلفاء الموَحدين كان لهم اهتمام خاص ومميز بالعرب. وهذا بسبب ما بناه الخلفاء من آمال على انضمام العرب لهم ومساندتهم في أعمالهم.

وعلى الرغم من أن العرب الهلالية كانوا عناصر شغب دائما إلا أنَ سياسة الخلفاء الموحدين قد أثمرت فكانوا يجزلون لهم الهبات والعطايا وبالمقابل يستفيدون من خبراتهم القتالية فكان لهم دور كبير ومهم في العديد من المعارك الكبرى التي خاضها الموحدون[٦] ولأن الشغب طبع في هذه العناصر فإن الموحدين لم يستطيعوا تغييره فيهم مع أنهم سيطروا عليهم في بعض الفترات ومن اجل التخفيف من حدته أمرت فرق الجيش غير العربية بعدم

١- حسن علي حسن. نفسه المرجع السابق. ص٣١٣

٢- ابن عذارى . البيان المغرب. قسمن الموحدين. ص٢٣٢

٣- عبد الله على علام: الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،دار المعارف ،مصر ١٩٧١،ص٢٤٠ .

٤- السلاوي: نفس المصدر .المصدر نفسه. ج٣.ص ١٧١ .

٥- نفسه. ص: .١٩٩

٦- حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس ،مكتبة الثقافة الدينية،ط١ ،١٩٩٦،القاهرة،مصر ،،ص ٥١.

الاختلاط معهم، لعدم حدوث الفوضى والشغب، وهذا ما حدث مع كومية عندما جاز عدد من أفرادها سنة(٦١٦ هـ/١٢١٩ م) إلى الأندلس للالتحاق بالجيش إذ أمروا بعدم الاختلاط مع العرب.[١]

وفي عصر ازدهار الدولة الموحدية تمكن الخلفاء من إخماد كل الفتن والسيطرة على الفوضى التي كان يحدثها العرب ،وذلك بفصل تمتع الخلفاء في تلك الفترة بقوة الشخصية والحنكة السياسية وشدة التحكم في زمام الأمور، ومعالجتها مع حسن سيرتهم، ومع هذا فإن أقوى هؤلاء الخلفاء الذين عرفت دولة الموحدين في عصره أقصى تطوَر لها، والممثل في شخص الخليفة المنصور قد أعرب عن ندمه واسفه لإدخال عنصر العرب إلى المغرب، وذلك عندما كان يحتضر حيث صرح بأنَه ما ندم على شيء كان قد فعله من قبل كندمه على إدخال العرب إلى بلاد المغرب[٢] وهذا لأنه كان يعرف طبيعة حياتهم وما تعودوا عليه من حياة الفوضى والشغب،ولا قوانين تحكمها ،وتسيرها وكان ندمه في محله إذ في عهد الخلفاء المتأخرين ساءت أمور الدولة وبدأ نجمها بالأفول،وهذا ما أتاح للعرب عودة إلى سابق عهدهم من حياة الفوضى فراحوا يبثون الشغب في كل مكان ينزلون به، حتى أنهم كانوا يقتتلون فيما بينهم عند حدوث أي تضارب في مصالحهم[٣] ،وعندما بدأت الدولة تضعف غفل الخلفاء عن مراقبة ما يجري في أنحاء خلافتهم ومنها مراقبتهم لما يقوم به العرب، فتحيَّن بعضهم الفرصة وامتهنوا الصعلكة. وراحوا يغيرون على طرق التجارة ،وحتى على المحاصيل الزراعية[٤] ،فيذكر صاحب التشوف أنَ المتصوف أبو يلبخت(ت ٦٠٢هـ/١٢٠٥م) رأى الصعاليك وقطاع الطرق ينصبون الناس الذين كانوا بالقافلة التي كان بها وأما هو فقد حفظه الله منهم لكونه رجلا صالحا.[٥]

وبانحدار دولة الموحدين أكثر زاد أذى العرب الهلالية وبطشهم ،إذ لم يقتنعوا بما كانوا يجنوه من وراء سلب القوافل التجارية، والمحاصيل الزراعية، فتجرؤا على الإغارة على القرى.

١- عز الدين أحمد موسى : المرجع السابق. ص٩٩

٢- المراكشي: المصدر السابق.ص: ٢٨٣

٣- ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق. ص.٤٤٣

٤- عز الدين أحمد موسى: نفسه، ص٩٩

٥- التادلي: المصدر السابق. ص٣٨٩

ونهب كل ما يملكه الأهالي من غالي وثمين[١].

وتفاقمت سطوتهم بالمغرب الإسلامي حتى أصبحوا من أهل الحل والربط بالبلاد وبأيديهم أن يولّوا أو يعزلوا من يشاؤون من الخلفاء ،فالقبيلة العربية الخلط ساند زعماؤها يحي بن محمد الناصر المعروف بالمأمون وبايعوه بالخلافة [٢] ،انتقاما من الرشيد الذي قتل كبيرهم مسعود بن حميدان مع جماعة من أتباعه، وقد استولت جموعهم على مراكش التي خرج منها الرشيد فارا منها وبقي كذلك إلى أن مات شريدا سنة (٦٤١ هـ/١٢٤٤ م)[٣]

وعن استخدامهم في الجيش كما سبق وأن ذكر، فإنه على الرغم من أن الموحدين قد استخدموا كل العناصر المكونة للمجتمع في تكوين الجيش وهذا من أجل حفظ التوازن السياسي الداخلي ،وعدم ترك فرصة لقبيلة ما من بين القبائل سواء كانت عربية أو بربرية لأن تكون هي الدعامة الأساسية في صفوف الجيش ،وتشكل بذلك عنصرا فعالا له إمكانية الضغط على السلطة وتوجيهها[٤] ،إلاّ أنّ عنصر العرب تمكّن من الحصول على مكانة مميزة عند خلفاء الموحدين في فترات الازدهار والانحطاط ،وهذا يعود للطبيعة العربية التي يتمتع بها العرب الهلالية، وإقبالهم الدائم على المخاطر، خاصة عندما يكون المقابل سخيا،

ويمكن القول أنّ الذي يتحكم في العرب الهلالية وتوجيه أعمالهم هو قوة الدولة وحكّامها ،فإن كانت الدولة قويّة أمكنها السيطرة عليهم وتسييرهم وفق مصالحها وما يخدمها، وإن ضعفت الدولة سيّروها وفق مصالحهم وما يخدم أهدافهم وهذا الأمر لا ينطبق على العرب الهلالية فحسب بل على كلّ العناصر المتميزة في كلّ دولة وفي أيّ زمن.

لم يكن العرب مصدرا للفوضى والشغب فحسب، بل كانت لهم العديد من التأثيرات الإيجابية بالمنطقة وأهلها،فلهم يعود الفضل الكبير في تعريب المنطقة وذلك لانتشارهم في جلّ المناطق بالمغرب الإسلامي[٥].

١- إبراهيم حركات : المرجع السابق. ص ٣٥٥

٢- الوزير السراج: المصدر السابق. ص١٣٢

٣- السلاوي: المصدر السابق .ج٢٢ ص٢٢٥

٤-سعد الدين إبراهيم: الملل والنحل والأعراف(هموم الأقليات في الوطن العربي)،مطابع سجل العرب، القاهرة، ط ١٩٩٤،٢،ص:.١٠٥

٥-السلاوي : المصدر السابق ج٣.ص٢٠٨

وكانوا سببا في عدم خروج الخلافة من بني عبد المؤمن طوال مدة حكم الموحدين، حيث دبّر عبد المؤمن معهم مكيدة لخلع أبي حفص عمر الهنتاني، وكانت بأن يطالب العرب بتولية محمد بن عبد المؤمن كوليّ للعهد ويتظاهر عبد المؤمن بالرفض في البداية، وبعد إلحاح منهم يوافق متظاهرا في ذلك بأن ليس له سوى هذا الخيار، وتمت البيعة فعلا لمحمد وخلع أبي حفص عمر[١].

وسجّل العرب حضورهم في العديد من المعارك التي خاضها الموحدون في الأندلس لدحر النصارى من أرض المسلمين،وساعدوا الموحدين على التوسع في أراضي جديدة ومع أنّ أعدادهم بالمنطقة كانت كبيرة، إلاّ أنّهم في البداية لم يختلطوا مع البربر من سكان المنطقة لكنّهم اختلطوا فيما بعد وتصاهروا وامتزجت بذلك دماء العرب بدماء البربر ،ومن أهم المصاهرات التي تمت في عهد الموحدين، اصهار يوسف بن المنصور إلى يعقوب ابن زعيم الزاب في أخته[٢] ،وبقي الحال كذلك إلى أن أصبح من الصعب جدا أو من المستحيل الجزم بـأنّ ذلك الفرد من سكان المغرب عربي أو بربري، فإن كان عربيا نجد من بين أجداده بربريا ،وإن كان بربريا نجد أحد أجداده عربيا، ما عدا بعض الأسر القليلة جدا بالمنطقة والتي عملت على الحفاظ على نقاء سلالتها عبر العصور، والذي ساهم في سرعة الاختلاط والامتزاج بين العنصرين الأصلي والدخيل هو التشابه الذي كان بينهما في طريقة الحياة ،حيث إن العرب كانوا رعاة يعيشون على لحوم وألبان ماشيتهم ،وكذلك كان الحال بالنسبة لبعض القبائل البربرية غير المستقرة، بالإضافة إلى التشابه في الصفات الخلقية كالشجاعة وعزة النفس وغيرها من الأخلاق الحميدة[٣] ،التي جمعت بينهما وزادت في أواصر الربط بينهما، وامتزاج العرب بالبربر وغيرهم من الأجناس المقيمة بالغرب الإسلامي،أثرى الحياة الاجتماعية به وذلك بدخول عادات وتقاليد ومنهاج عيش مختلف إلى المنطقة سيكون له أثرعلى الواضح بالمنطقة.

١- ليفي بروفنسال: رسائل موحدية، ص ص ٥٧-٥٨

٢- مصطفى أبو ضيف أحمد : المرجع السابق ،ص .٢٣٣

٣- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ٣١٩ .

العرب وأماكن استقرارهم بالمغرب الإسلامي في عهد الموحدين.

إنه لمن الصعب على الباحث تحديد أماكن تواجد واستقرار العرب ببلاد المغرب الإسلامي ،خاصة بعد الاختلاط والامتزاج الاجتماعي الذي حدث بينهم، وبين سكان المنطقة من البربر، والانتشار الكبير والسريع للعرب في أراضى المنطقة وبذلك فإن دراسة أماكن استقرار العرب لن تكون على درجة كبيرة من الدقة ولا يمكن الجزم إلا بأماكن استقرار بعض القبائل التي اتفقت المصادر التاريخية التي تعود إلى الفترة موضوع الدراسة على مكان استقرارها ونزولها.

ينتمي العرب الذين دخلوا إلى بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاث قبائل عربية هي : قبائل بني هلال وقبائل المعقل وقبائل بني سليم(١)

أمّا بنو هلال فيرجع نسبهم إلى قيس ابن عيلان من العدنانية فهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن أبي بكر بن هوازن سكنوا بلاد الحجاز، ونجد حول مكة قبل نزولهم ببلاد المغرب(٢)

ولبني هلال بطون كثيرة منها عمر، مرادس،عامر، بنو سعيد وبنو سليم و بنو علي الذين توزعوا بين المسيلة و ورقلة في المغرب الأوسط ،ولهم أقطاع ببلاد الحضنة وقسنطينة وبجاية أيضا.وأمّا مرادس فقد أقاموا بسوسة الإفريقية أيّام الموحدين (٣) ،ومنهم الضحّاك أيضا وعياض ،ومقدم، والعاصم، ولطيف وكرفة ودريد الذين كانت مواطنهم بشرق جبال الأوراس، قبل أن ينقل الموحدون كلّ من العاصم ومقدم وقرة ، وبعضا من جشم إلى المغرب الأقصى(٤)،حيث نزلوا ببلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش(٥)،وأنزل الموحدون رياحا ما بين القصر الكبير وساحل المتوسط وسكن سجلماسة قبائل الضحاك(٦) ،وأما بنو

١- جمال أحمد طه :الحياة الاجتماعية. ص ٦٢

٢- عمر رضا كحالة: معجم القبائل القديمة ج ٢. دار العلم للملايين بيروت .١٩٦٨ .ص .١٢٢١

٣-مصطفى أبو الضيف: المرجع السابق. ص٢١٨

٤- جمال أحمد طه:نفسه. ص٨٢

٥- السلاوي: المصدر السابق.ج٣ ص ٢٠٨

٦- ابن خلدون: العبر .ج٦ ص ٣١.

جابر وبنو سفيان من جشم فقد نزلت الأولى منهم بتادلا حيث عمل أفرادها كحراس بالمنطقة[١] ،وأما الثانية فقد نقلهما المنصور إلى البادية بالقرب من آسفي، لينتقلوا بعدها إلى الشمال في بسيط المغرب[٢] ،والخلط من جشم فإنهم استقروا بتامسنا،وبعد مدة قام الرشيد بنقلهم إلى تانسيفت[٣] ،هذا كان عن بني هلال ومواضع استقرار بعض بطونها.

المعقـــــل:

وينسبون أنفسهم إلى جعفر بن أبي طالب الهاشمي القريشي،ويذكر ابن خلدون أن المعقل هو ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث ،وهم من بطون مذحج اليمنيين، وتعد المعقل من أوفر قبائل العرب ،امتدت مضاربهم ببلاد المغرب أيّام حكم الموحدين من تلمسان إلى المحيط الأطلسي[٤].

وتنقسم المعقل إلى ثلاث فروع:بنو عبيد الله ذوو منصور،ذووا حسان[٥] فنجد أن ذووا حسان استقروا ما بين تلمسان وتاوريرت و وجدة إلى مصب وادي ملوية بالبحر،[٦] إلى غاية قصور توات وتمنطيط وربما وصلوا إلى تسابيت وتيكورارين من بلاد المغرب الأقصى،[٧] وأمّا ذووا منصور فسكنوا ما بين تاوريرت إلى بلاد درعة، [٨] وينقسم ذووا منصور إلى أولاد حسين والمنابهة فالأوّل سكنوا ما بين سجلماسة والسوس، ولم يكن مكان استقرار المنابهة ببعيد عن أولاد حسين، إذ كانوا مجاورين لهم بنزولهم بتافيلالت وصحرائها كما ورد بأنهم سكنوا مدينة سجلماسة.

وذووا حسان فقد نزلوا ببلاد نول قاعدة السوس، واستولوا بعدها على السوس الأقصى، وكان عدد الداخلين منهم إلى المغرب مع الهلاليين قليل إذا ما قورن بأعداد القبائل.

١- ابن خلدون،العبر،ج٦،: ص ص : ٢٧-٣٠

٢- جمال أحمد طه. : الحياة الاجتماعية ،ص:٦٣

٣- ابن عذارى: البيان المغرب قسم الموحدين. ص٣٤٦

٤- ابن خلدون: نفسه. ص ص ٤١-.٥٨

٥- الحسن الوزان:المصدر السابق.ج١. ص ص:٤٩-٥٠

٦- ابن خلدون :العبر. ج٦. ص ص : ٥٧-٦٦

٧- مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق. ص ٢٢٠

٨- جمال أحمد طه: نفسه، ص٦٧

العربية [١]واستقرت هذه المجموعة بملوية وتافيلالت مجاورين لقبائل زناتة من البربر، وفي تلك المناطق انتشروا وكثرت أعدادهم في صحاري المغرب ،وقد كانوا من القبائل التي حلت بمدينة فاس وما حولها[٢].

بنو سليم:

وينتسبون إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، ومن أهم بطونها زغبةو ذياب ووهب وعوف ولبيد [٣] استقروا في البداية بطرابلس وبرقة وسكنت ذياب ووهب طرابلس وأما لبيدا فقد حلوا على برقة[٤].

وانتقلت أعداد قليلة من بني سليم من إفريقية إلى بلاد المغرب، مع القبائل التي قام المنصور بإدخالها إلى المغرب الأقصى، وأمّا زغبة من بني سليم فقد كافأها المنصور على إخلاصها و ولائها له بإقرارها على المسلة [٥] ،وكان ذلك مخالفا تماما لما حدث مع الكثير من القبائل العربية الأخرى، والتي كان إدخالها إلى بلاد المغرب نوعا من العقاب على تخاذلها وتمرّدها، ففي عهد المنصور ،نفى الكثير منهم من إفريقية إلى بلاد المغرب الأقصى فانزل جشم تامسنا ،ورباحا بلاد الهبط وازغار مما يلي سواحل طنجة إلى سلا ليكونوا تحت رقابته الدائمة [٦].

إن توزيع العرب الهلالية ببلاد المغرب شمل كل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي، فقد سكنوا في البداية أراضي المغرب الأدنى ،وبقوا هناك لمدة غير وجيزة إلى أن قامت دولة الموحدين التي نقلتهم نقلة سريعة، وصلوا بها إلى غاية سواحل المحيط الأطلسي وبلاد الأندلس.

١- ابن القطان : المصدر السابق،ص ٦٧ .

٢- ابن خلدون : العبر ، ص ص ص : ٥٨-٥٩-٦٩

٣- مصطفى أبو الضيف. نفسه . ص ٢١٣

٤- شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ،ج١، دار العلم للملايين بيروت. ١٩٩٣ .ط ١. ص ٥٤٤

٥- السلاوي: المصدر السابق. ج٣. ص ٢٠٨

٦- نفسه: ص :٢٠٩.

عرب الأندلس:

أوّل ما دخل العرب إلى الأندلس كان في حملة أرسلها موسى بن نصير سنة(٩١ هـ/٧٠٩م)، وكان ذهابهم لفتح الأندلس،و نشر الإسلام وضمّ البلاد إلى ممتلكات المسلمين[١] وكانت الحملة الأولى مكونة من مئة فارس وأربعمئة راجل بقيادة طريف الذي نزل بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس والتي ستسمى فيما بعد بجزيرة طريف،وتبعت هذه الحملة عدة حملات منها حملة طارق بن زياد سنة (٩٣ هـ /٧١١م)، [٣] وبعدها طالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي ثم توالت الطلائع التي حملت معها المزيد من العرب،ومنهم العرب الشامين الذين دخلوا مع أبي الخطار اليمني سنة(١٢٥ هـ/٧٤٢م) و وفدت المزيد من القبائل العربية على الأندلس عندما قامت الخلافة الأموية ،وقد توزع العرب على العديد من الحواضر الأندلسية منها طليطلة واشبيليا وبلنسيةوغرناطة ووادي آشن ومدن أخرى، وكثرت أعدادهم ببلاد الأندلس[٤] .

وبذلك فقد ضمت الأندلس نسبة عالية من العرب الذين استوطنوا مدنها وقراها وكانت للعربي في الأندلس مكانة رفيعة واحتلوا فيها المناصب،وهو ما جعل غير العرب من سكان الأندلس ينسبون أنفسهم إليهم،كما أن الكثير من علماء الأندلس ينسبون أنفسهم إلى العرب متجاهلين نسبهم الحقيقي[٥].

١- محمد محمد زينون:الفتح الإسلامي للأندلس: مجلة كلية العلوم الاجتماعية.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية .العدد الرابع ١٩٨٠.ص ٣٠٥

٢- حسين يوسف دويدار،المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢م)،مطبعة الحسين الإسلامية .مصر. ١٩٩٤،ص . ١٤-١٥-١٦-١٧ .

٣- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ ص ص ٩١-٩٢

٤- بير غيشار: "التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية حكم الموحدين"،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،ج٢،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط٢ ،ص: .٩٦٧

٥- ابن القطان: نفس المصدر السابق. ص ١٠.

وأمّا العرب الهلالية فلم يرد ذكرهم ببلاد الأندلس إلاّ بعد استيلاء المرابطين عليها،وكانوا هم من نقلهم إلى المنطقة كجنود في جيشهم لمحاربة النصارى في الأندلس. فاشتركوا في موقعة اقليش سنة ٥٠١ هـ-١١٠٨ م[١] ،وكذلك فكر الأندلسيون في إدخال العرب الهلالية إلي الأندلس لمعرفتهم بشجاعتهم وإمكانياتهم الحربية وقد تبادرت هذه الفكرة في ذهن المعتمد بن عباد إلا أن ما فعله العرب الهلاليون بإفريقية من تدمير وتخريب جعله يحجم عن هذا مخافة أن يلحقوا العرب ببلاده ما ألحقوه بإفريقية[٢]

لكن بدخول الموحدين إلى الأندلس نقلوا معهم أعدادا كبيرة من العرب أنزلوهم في الكثير من المدن الأندلسية ففي سنة(٥٥٥ هـ/١١٥٩ م) ترك الخليفة عبد المؤمن بن علي جماعة من العرب ضمن الجيش المجاهد الذي كان بجبل الفتح[٣] وأنزل جماعات أخرى بقرطبة وشريش واشبيليا[٤] وبلنسية [٥] وسار بعده ابنه يوسف على نهجه ،حيث عمل على توطين العرب بر الأندلس ،فأنزل أعدادا كبيرة منهم بشرقه[٦] و كان يرسل مجموعات من العرب بصفة مستمرة إلى ثغور الأندلس، وكثيرا ما كان الخلفاء الموحدون يصرّحون برغبتهم في مشاركة ومساندة العرب الهلالية في عملية الجهاد بالمنطقة.[٧]

١- ابن القطان: نفس المصدر السابق. ص:١٠

٢- ابن الأثير: نفس المصدر السابق: ج١٠ ص ص ١٥١-١٥٢

٣- ابن عذارى : البيان المغرب. قسم الموحدين ص: ٧٠

٤- المراكشي: المصدر السابق. ص٢٢٦

٥- البيذق: المصدر السابق. ص١٣١

٦- عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق. ص٩٧

٧- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق. ص. ص ٢٥١-٤١١

الأندلسيـــــون:

لم يكن السكان الأصليين للأندلسيين قبل الفتح عرب ولا بربرا بل كانو مزيجا من الأقوام الأوروبية المختلفة، من بشكنس وجلالقة وقوط وغيرهم،[1] وكان دخول العرب والبربر للأندلس عند اتساع مدى الفتوح الإسلامية وذلك بإتمام فتح بلاد المغرب الإسلامي،وكان الانتصار الذي حققه طارق بن زياد على القوط في شذونة هو من ثبّت أقدام المسلمين بالأندلس،وتلت بعد ذلك وفود المسلمين الفاتحين على المنطقة[2]

وبعد العمليات العسكرية والمواجهات الدامية بين المسلمين والنصارى بدأت حياة الاستقرار في أوساط المجتمع الجديد الذي عرق تقليدا جديدا سرعان ما تفشى بينهم، وهو الزواج بنساء أندلسيات الأصل[3] ،وهذا الزواج سينتج عنه ظهور عنصر جديد في المجتمع ستكون له أدوار هامة في أوساطه وتمثّل هذا العنصر في المولدين، وهم أفراد من أصول إسبانية اعتنقوا الإسلام ،أو انهم من أب مسلم وأم إسبانية الأصل، ونشأوا على الإسلام، وقد شكلت هذه الفئة غالبية السكان في عهد الأمويين بالأندلس، وامتلكت هذه الشريحة السلطة والنفوذ فأسرة بني قسي بسطت نفوذها على غرناطة خلال القرن الثالث الهجري ،وهذه الأسرة هي مثال للأسر من المولدين التي تمكنت من احتلال أرقى الأماكن [5]،وامتاز الأندلسيون بالعديد من الميزات والخصائص التي سمحت لهم من إثبات جدارتهم حيثما وجدوا وأينما حلّوا،ومن هذه الخصائص قدرة الاستيعاب الـــــكبيرة التي امتـــــــلكوها،

١- سحر السيد عبد العزيز سالم:" الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس" ، من الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية،الرباط،ط ١٩٩٥،١ ص :.٤٥

٢- محمد محمد زينون: المرجع السابق،ص٣٢٠، ٣٢١.

٣- سحر السيد عبد العزيز سالم: نفسه، ص٤٥

٤- إبراهيم القادري نوتشبش:مباحث في التاريخ الاجتماعي. ص٤٥

٥-بيير غيشار: المرجع السابق :ص:٩٧٦

الأجلاء[١] والفقهاء الأفاضل[٢] ، وكان لنبوغهم الفكري وبراعتهم العلمية اثر في فاستدعاهم الخلفاء الموحدين ومن سبقهم إلى عواصمهم ومدنهم الكبرى فقربوهم منهم،وميزوهم و عليهم[٣]

وكان تردد الأندلسيين على بلاد المغرب منذ القرون الأولى لأسباب كثيرة،وكانوا يتخذون من المناطق الشمالية والساحلية مستقرا لهم، [٤] ،غير أن هذه الحركة الذاتية كانت بين مد وجزر وبأعداد قليلة الى أن اشتدت عمليات الغزو النصرانية،وتكثفت على الممتلكات الاسلامية وما كان يصاحبها من سقوط الكثير من المدن الاندلسية في النصارى،وهذا مادفع بالكثير منهم إلى الهجرة من بلادهم خوفا من البطش والظلم الذي كانوا يتعرضون له على أيديهم[٥] وقد أطلق على هذه الهجرة إسم الجلاء نـــظرا لكثافتها،[٦] ومن جملة الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الكثير من العلماء،[٧] الذين سيرد ذكرهم فيما بعد ومنهم أحمد بن خالد المالكي، عالم الطب والحكمة والطبيعيات والإلهيات[٨] وعند سقوط بلنسية وشقر وشاطبة أيام أبي محمد عبد الواحد الرشيد الموحدي،هاجر عدد كبير من الأندلسيين واستقروا بمدينة بمدينة رباط الفتح[٩]، وذلك بموجب ظهير أصدره هذا الخليفة وأوكل إلى القاضي [١٠]أبي المطرف بن عميرة بالإشراف على تنفيـــــــذه،وكان

١- ابن أبي أصبعة:عيون الأنباء.طبقات الأطباء ج٣، دار الثقافة،بيروت، لبنان،١٩٧٩، ،ص:.٢٠٣

٢- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ج١. عني بنشره وصححه :عزت العطار الحسيني .مطبعة السعادة.القاهرة .مصر .١٩٥٦ ص ص :١٦٨-٩٥

٣- المراكشي: المصدر السابق. ص٢٨٢

٤- ناصر الدين سعيدوني:مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر ،.دار الغرب الإسلامي. بيروت.لبنان.٢٠٠٣.ط١ ص ١٢٥

٥- محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة ع ٢٦ .مطبعة البعث قسنطينة الجزائر.جويلية ١٩٧٥ السنة الرابعة.

٦-إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين،دار الثقافة .بيروت .ط١. ١٩٨٢ . ص٣٤

٧- عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الهجري إلى الاحتلال الفرنسي ،ص:٢٠٦

٨- الغبريني: عنوان الدراية.فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية،تحقيق رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ط ١٩٨٥،٢ ، ص:١٨٤ .

٩- عبد الله السويسي: تاريخ رباط الفتح: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط ١٩٧٩ ص:٩٣

١٠- محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا، مؤسسة الرسالة القاهرة ١٩٨٠ .ط١.ص ٤٣١.

ذلك سنة ٦٣٧ هـ. وقد كان تواجد الأندلسيين بالعدوة المغربية كثيفا، حتى أنّهم زاحموا المغاربة في كل المجالات العلمية والحرفية وحتى الفنية، وكانت لهم غالبا الأفضلية لما تمتعوا به من خبرة وإجادة مكنتهم من الاستحواذ على العديد من المناصب الهامة في الدولة وتحقيق مكانة مرموقة، فقد كانوا من حاشية الخلفاء والمقربين إليهم على مدى تاريخ الغرب الإسلامي، وليس دولة الموحدين فقط.

الصقالبـــــــــة:

أطلق الجغرافيون العرب اسم الصقالبة على الشعوب السلافية الساكنة في البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا إلى البحر الادرياتيكي غربا[١] ،وهي ما كانت تسمى في تلك الفترة ببلغاريا العظمى ،ويذكر ابن حوقل أنهم من ولد يافث بن حام[٢]

وأما معنى كلمة صقلبي Escalove الفرنسية الأصل فهو رق أو عبد[٣] وقد استعملت هذه الكلمة في وقت مبكر ببلاد الأندلس، وكانت تطلق على الحراس الأجانب الذين عملوا في قصور الخلفاء الأمويين ،غير أنّ هذا الإسم أطلق فيما بعد على جميع الأسرى الذين كانت تأسرهم بعض القبائل الجرمانية في حملاتهم على بلاد البلغار، ويقومون ببيعهم لعرب الأندلس[٤] ثم توسّع هذا اللفظ ليعرف به كل الأسرى والعبيد المجلوبين من الأمم المسيحية[٥] بما فيها لمبارديا وكلابريا في إيطاليا وجليقية وبلاد الفرنجة[٦]

وكان أغلب المجلوبين إلى الأندلس من البلدان المجاورة لها من الصقالبة أطفالا حديثي السن، وذلك لكي يتمكن مالكوهم من فرض سيطرتهم عليهم، وتسهل عليهم عملية توجيههم إلى من يحبون ويرغبون،ويضمنون بذلك ولائهم وطاعتهم التامة وقد تربـــــــــى

١- أحمد المختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس.ص ١٩٧

٢- ابن حوقل: نفس المصدر السابق: ص١٦٠

٣- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي.ص٤٥

٤- دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي.إبراهيم زنجي خورشيد أحمد الشنتاوي وأخرون مج ٤ ص ٢٥١

٥- أحمد مختار العبادي: نفسه، ص١٩٨

٦-ابن حوقل: نفسه. ص١٦٢

الصقالبة المجلوبين إلى الأندلس على أسس الدّين الإسلامي، خاصة إذا كان مالكوهم من المسلمين،وغالبا ما كان المالك مسلما[1].

درب الصقالبة على أعمال القصر والحراسة والجيش وأعمال أخرى كثيرة[2] ،أما من أوكلت لهم حراسة الحريم فهم من عرفوا بالخصيان، أو الفتيان وكانوا بضاعة خاصة يتاجر بها اليهود، وهذا اللفظ أي الخصيان لم يستعمل كثيرا في قصور المسلمين، إذا ما قورن بمدى استعماله في بلاط الأباطرة الروم.[3]

كان استخدام الصقالبة في الأندلس منذ أيّام الحكم المرابطي[٤] ،وكان عددهم كبير بها،وتعود كثرتهم إلى الإقبال الكبير على اقتنائهم، وذلك لأنهم كانوا يتقنون ألوان عدة من الأعمال وفنون الأدب والموسيقى والألحان الكثيرة والرقص، حتى قيل اللحن الصقلي، ولوجود أبرع الشعراء والأدباء بينهم، فقد تنافس الأمراء والملوك على اقتنائهم وملأ بلاطهم بمثلهم، هذا بالنسبة للأندلس وخاصة في عهد الخلافة الأموية بها[٥] أمّا فيما يخص المغرب فإنهم كانوا قلائل، وكان أول من جلبهم إلى المنطقة هو الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، حيث اشترى ٢٤٠ فارسا روميا،[٦] وهذا دون أن نعد الجواري الموجودات في المنطقة، واللائى كان بينهن الكثير من كانت أم ولد لخليفة أو أمير[٧] فعلى بن يوسف نفسه كان م جارية رومية،وقد نشأ بلأندلس واكتسب الأخلاق والعادات الأندلسية.

الغـــــــــــز:

هم جنس من الترك ،تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم بلاد الصين[٨] ،وقد عرفوا في المصادر العربية بالعديد من الأسماء ومنها الترك والأكراد،[٩] واستعمل المشارقة

1- أحمد مختار العبادي.نفسه .ص١٩٨

2- الموسوعة العربية الميسرة ،مج٢ .دار الجبل.بيروت .٢٠٠١.ط٢ ص ١٠٤٦

3- نفسه: ص ١٠٤٧

٤- جودت الركابي :في الأدب الأندلسي.دار المعارف بمصر ١٩٦٠. ص: .٤٠

٥- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس. ص ١٩٩

٦- ابراهيم القادري بوتشيش:مباحث في تاريخ المغرب والأندلس.ص ٤٦

٧- ابن القطان:نفس المصدر السابق، ص ٢٤٥

٨- عمر فروخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث ،ج١ .دار العلم للملايين بيروت،ط١، ١٩٨٥.، ص ١٦٢

٩- ليفي بروفنسال" رسائل موحدية ص ١٠١ .

الترك في جيوشهم لما عرف عنهم من بأس وشكيمة، وتميّزوا بالخشونة والمظهر المروّع والمخيف[1]

وقد دخل الترك إلى بلاد المغرب في البداية في شكل رقيق،[2] غير أنّ أعدادهم لم تكن كبيرة لكن بقيام دولة المرابطين بالمغرب دخلت أعداد كبيرة من هذا الجنس في شكل جماعات غازية ،وتمكن الغزي شاه ملك مع جماعة من أتباعه من دخول طرابلس والبلاد الجريدية في(٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م)، إلاّ أنّ يحي بن تميم الحمادي تمكن من هزيمته ،وضم أعدادا كبيرة في جيشه، وبهذا كان أوّل من أدخل هذا العنصر في الجيش المغربي،[3] وتبعهم في هذه العادة المرابطون الذين شكل الأغزاز جزءا من جيشهم.[4]

وفي عهد الموحدين عاد الأغزاز إلى سابق عهدهم في الغزو،إذ خرج الغزي بهاء الدّين قراقوش المظفري التقوى مولى تقي الدّين عمر بن أخ صلاح الدين عام(٥٧٤ هـ/ ١١٧٩ م)، فيقول المراكشي عن ذلك"وفي أيّام يعقوب ورد علينا بالمغرب أوّل من وردها من الغز وذلك في آخر سنة ٥٧٤ هـ-١١٧٩ م وما زالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيـــــام أبى يوسف[5] وعند نزول هذا الأخير ببلاد المغرب تحالف مع خصوم الموحدين من بني غانية واتفقا على تقسيم المغرب بينهما، إلاّ أنّ ذلك لم يتم وتمكن منهم الموحدون وضموا منه أعدادا كبيرة إلى جيشهم[6] كما نقل الخليفة المنصور الكثير منهم إلى مراكش وكان الأغزاز يتميزون عن غيرهم من المغاربة بضفرهم لشعورهم،[7] ومع تولي الخليفة المنصور تكاثر الغز في بلاد المغرب، وازدادت أعدادهم به، خاصة وأنّ المنصور اتبع سياسة جسدت ذلك فقد وضفهم في الجيش وبالغ في تكريمهم حتى أنه ميزهم عن باقي الجند

١- التادلي: التشوف إلى رجال التصوف،نشره وصححه،دولف فور مطبوعات إفريقية الشمالية الفنية.الرباط ص٣٤٩

٢- عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق.ص ١٢٣

٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق. ص ص : ١٤٠-١٢٩

٤- المراكشي: المصدر السابق. ص٢٥٦

٥- المراكشي: المصدر السابق. ص ٢٥٦

٦- ابتسام مرعي خلف الله:العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ٥٢٤ هـ- ٩٣٦ م/ ١١٣٠-١٥٢٩ م دار المعارف.مصر.١٩٨٥ .ص ص ١٥١-١٥٢

٧- ابن الأثير: المصدر السابق. ج٩ ص ص ١٧١-١٧٢

من الموحدين فيقول:المراكشي" فأحسن نزلهم-أي الغز -وبالغ في تكريمهم وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين وذلك أن الموحدين يأخذون الجامكية ثلاث مرات في كل سنة، وفي كل أربعة أشهر مرة.والجامكية الغز مستمرة في كل الأشهر لا تختل"[١]

وأرجع ذلك إلى كون الأغزاز غرباء عن المنطقة، ولا سند لهم بها غيره.وأقطعهم الكثير من الإقطاعيات مثلهم في ذلك مثل الموحدين وأكبر، وحتى عندما كان هذا الخليفة يحتضر أوصى بعدم قطع مرتباتهم، وكذلك بالإحسان إليهم إذ قال :كهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فاتركوها على مارتبنا وربطنا،[٢] وبقي عدد الاغزاز في تزايد مستمر ببلاد المغرب.[٣]

لم يقتصر تواجد الأغزاز بالمغرب فقط.فقد انتقلت أعداد منهم إلى الأندلس، إلاّ أنّ الأندلسيين كثيرا ما حطّوا من شأن الأغزاز وتعالوا عليهم في معظم الأوقات[٤]

العبيـــــــــــــد:

أطلق عليهم العديد من الأسماء منها عبيد المخزن[٥] وعبيد الحرمة[٦] وقوقو[٧] وجناوة[٨] وأسماء أخرى سموا بالسودان في البداية لأن معظمهم كان يجلب من بلاد السودان مكانوا عبيدا سودا غير أنّ هذا الاسم تبدل فيما بعد ليعمم اطلاقة على باقي العبيد[٩] وغالبا

١- المراكشي :المصدر السابق: ص: ٢٨٩ .

٢- نفسه: ص ص ٣٦٥-٣٦٦

٣- غز الدين عمر موسى :الموحدون في المغرب الإسلامي. ص ص ٢٢٤-٢٢٥

٤- الزجالي: المصدر السابق.ص ٩٥

٥- البيذق: المصدر السابق. ص٥٣

٦- ابن غازي: المصدر السابق. ص٣٤

٧- ابن حامد الغرناطي: تحفة الألباب ص:٤٣

٨- أبو بكر الزهراوي:كتاب الجغرافيا وما ذكرت الحكما فيها من العمارة وما في كل جرو ومن الغرايب مستنسخ من المخطوط الأصلي بالمكتبة الوطنية الجزائرية،تحت رقم م م ٥٠٥٠ ص ص :١٩-١٦٠ .

٩- مجهول: الاستبصار. ورقة ٤٦ ب

ما كان السودان يجلبون من زويلة والبلاد الغربية عن طريق أودغشت،[١]ويوزعون بعدها في كل بلاد المغرب.

وكان السودان أفضل العبيد خدمة، لما تميزوا به من قوة وشدة وصحة أبدان، وكذلك امتازوا بالشجاعة والإقدام،[٢] وهذا ما حمّس الخلفاء المرابطين والموحدين من بعدهم على استخدام أفراد منهم في الجيش، وقد كثرت أعدادهم في جيش الموحدين، إذ يذكر ابن أبي زرع أن عدد العبيد الذين شاركوا الموحدين في قتال النصارى في موقعة العقاب كان كبيرا جدا،هذا إن دل على شيئ إنما يدل على أن العبيد كانوا كثرا في هذه الدولة [٣]،ولم يقتصر عملهم على كونهم عناصر في الجيش إذ استخدموا كخدم داخل المنازل[٤] وفي أعمال الزراعة أيضا[٥]

واستخدمت الكثير من النسوة السودانيات في أعمال البيت، لأنّه في تلك الفترة كانت المرأة في الأسر الثرية لا تقوم بأعمال البيت بنفسها بل كانت تكتفي بالإشراف على الخادمات اللائي تعملن عندها ،واللائى كن يقتنين من الأسواق خصيصا لهذه الأعمال[٦] ،وقد أتقنت السودانيات أعمال البيت بمختلف أنواعها من طحن وعجن وكنس وغسل وتنظيف،وكن ماهرات في صنع الجوزنيقات والقطايف وأنواع كثيرة من الحلوى[٧] وعرف عن نساء النوبة، أنهن أفضل من يستخدم لتربية الأطفال وارضاعهم والإشراف على رعايتهم وراحتهم، بتنظيفهم واطعامهم،.وكانت الواحدة منهن إذا أشرفت على رعاية الطفل في بيت أبيه وجب عليه أن يدفع لها رُبْعَيْنِ من الدقيق الطيب والجيد الطحن وربع الربع من الزيت.

١- الجاحظ: رسائل الجاحظ: فخر السودان على البيضان ،ج١. تحقيق عبد السلام بن هارون مكتبة الخانجي.القاهرة ١٩٦٥ ص ١٩٥

٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق. ص١٥٤

٣- التادلي: المصدر السابق. ص١٤٩

٤- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب ،ج١ خرجة جماعة الفقهاء باشراف محمد حجي . دار الغرب الغرب الإسلامي .بيروت ١٩٨١ ط١ ص ٣٠٢

٥- نفسه: ص ٣٠٣

٦- Le provençal Histoire de l'Espagne musulmans T3.p402

٧- البكري: المصدر السابق ، ص١٥٩.

الأخضر.وربعين من الفحم،ويقدم لها كسوة الشتاء صرة كتان وقناع و واقية لرأسها وقرق،وحتى كسوة الصيف،وكن يحظين بكل هذا في حال كان المولود الذي يشرفن عليه ذكر[١]

واستعملت السودانيات كجواري للتسلي بهن لجمالهن واعتدال أجسامهن، وليس هذا فحسب بل أن الكثير من الأحرار اتخذنها من بعض السودانيات زوجات لهم، وهذا كان يعتبر آنذاك عملا مشينا وعيبا وعارا خاصة عند قبائل المصامدة في بلاد المغرب[٢]وأمّا بالأندلس فقد نعت السودانيون نساءا ورجالا بالعديد من الصفات المشينة،فكثيرا ما تداولوا هذا المثل القائل:"أقل للأسود اشتعمل لو كنت سلطان.قال نخذ ألف دينار ونهرب"[٣]ففي هذا المثل وصف الزنوج باللصوصية،وقال فيهم الإدريسي أنّهم أكثر النّاس فسادًا وأكثر نكاحًا وأغزرهم أبناءًا[٤] ، وعرف عن السودان حبهم للرقص والغناء وإجادتهم لهذين الفنين حتى قيل: إذا رايت الزنج ابشر بالبواق[٥].

لم يقتصر العبيد الموجودين في الدولة الموحدية على السودان فقط،فالموحدون عند توسعاتهم كانوا كثيرا ما يجلبون الأسرى من المناطق التي يدخلونها.وهؤلاء الأسرى كانوا أناسا أحرارا، وقعوا في الأسر،فأصبحوا عبيدا بيع أكثرهم في أسواق الحواضر المغربية[٦]،وقد استخدموا كحرس خاص في القصور وحراسة الخيول،وأيضا استخدموا في قصور الخلفاء والأثرياء كخدم[٧]وقد غصت بيوتهم-الخلفاء والأثرياء- بالكثير من العبيد حيث ورد عن ابن عذارى أنّه كان يموت منهم –أي العبيد- عندما ضرب الطاعون مدينة مراكش كل يوم ٣٠ شخص في دورهم.حتى فني اكثر من كان في قصورهم ودورهم[٨].

١- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية.ص.١٤٩

٢- ابن قنفذ القسنطيني:أنيس الفقير وعز الحقير ص٣٩

٣- الزجالي: المصدر السابق.ص١٩

٤-الادريسي:نزهة المشتاق في اطراف الافاق.ص١٩١.

٥- الزجالي:نفسه.ص.٦

٦- المصدر السابق:ص.٩٧

٧-Levi provençal:l'histoire de l'Espagne 403

٨- ابن عذارى : البيان المغرب.قسم الموحدين.ص ص ١٣٦-١٣٧

عانت هذه الشريحة من التهميش وسوء المعاملة دائما من قبل الخاصة بالتحديد، فلم يكونوا في نظر النّاس إلا سلعة تباع وتشترى كباقي السلع والبضائع، وهذا أمر يلغي إنسانية هذه الشريحة تماما،فقد كان العبد يورث كما تورث باقي أملاك الميت إلا إذا كان هذا الميت قد ضمن وصية كان قد تركها بندا ينص فيه على تحرير هذا العبد[١] ،وفي أمور الزواج كان يتم تزويج العبيد من الإماء لكن وفق شروط كان يحددها ملك العبد والأمة،وكان السيد يعمل على أن تكون تلك الشروط تعمل وفق هواه متناسيا بذلك مصالح أهم عنصر في هذه القضية ألا وهو العبد أو الأمة[٢] ،وفي حال ما دخل العبد في الإسلام وهنا نقصد العبيد من النصارى خاصة-فإنّه يتحرر من عبوديته ويصبح بإمكانه ممارسة حياته العادية كباقي الرعية ناجيا بذلك من المهانات الكثيرة التي يعيشها كل عبد[٣]

والإناث من العبيد اكتظت بهن قصور الموحدين،فانتشرت ظاهرة التسري بهن،خاصة منهن اللائي تمتعن بالجمال والحسن،وكان بالأندلس من الجواري من بيعت بألف دينار لا على اتقانهم للحرف والصناعات بل على ما كن عليه من جمال أخاذ، [٤] ولأن أثمانهن كانت باهضة فقد كان يقتصر وجودهم على قصور الخلفاء، أمّا البربريات منهن فقد كانت الأغلى ثمنا لما تتمتعن به من أوصاف كثيرة منها جمال الجسد والطباع[٥] ،وكان الكثير من خلفاء الموحدين أبناء أمهات إماء من شرائح مختلفة فأولاد أبو يعقوب يوسف كانت أمة أم ولد رومية اسمها قمر[٦] ،وأم العادل بن يعقوب المنصور أم ولد رومي من سبي شنترين اسمها سر الحسن[٧] و زوج المأمون وأم ابنه الرشيد رومية، واتخذ عبد المؤمن قبلهم جارية بربرية لنفسه ،وقد أنجبت له ابنته بندة[٨]وكان للقليل منهن فقط دور.

١- ابن رشد: المصدر السابق. مج ٢ ص :١١٨٦ .

٢- الونشريسي:المصدر السابق.ص ص ج٢.ص١٢٨

٣- ابن رشد:نفسه. ص ص ١٥٨٠-١٥٨١

٤- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر .بيروت .١٩٦٩ ص ٥٠٣

٥- ابن حوقل:المصدر السابق.ص٩٣

٦- ابن أبي زرع :الأنيس المطرب ص:١٣٧

٧- نفسه: ص:.١٥٧

٨- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق. ص١١٩

في الساحة السياسية ،فأم الرشيد الموحدي كانت من مهد الطريق للرشيد لاعتلاء عرش الموحدين وتوليه الخلافة[١]وأمثلة النساء اللائي تدخلن في أمور الخلافة قليلة جديا، إذا ما قورنت بما قامت به الجاريات المسيحيات في بلاط المرابطين[٢].

وعلى عكس الرجال من العبيد، فقد نالت الإناث منهم حظا أوفر في التمتع بحياتهن إذ عشن الحياة الرغيدة والكريمة في قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء.حتى أنّه وُجد الكثير من الأسياد عملوا على تأديب وتعليم بعض جواريهم ،فأحمد بن محمد بن شعيب الكرياني بمدينة مراكش تسرى بجارية رومية فأدبها حتى أتقنت علوم اللغة ونظمت الشعر[٣] ،وهذه الظاهرة لم تكن وليدة عصر الموحدين إذ ظهرت بالأندلس في فترة الخلافة الأموية التي برزت فيها العديد من النساء اللائي كان لهن أدوار مهمة في الدولة، وأتقنت العديد منهن العلوم وبرعـــــن فيها[٤]ولم تحظ كل الجواري بنفس المعاملة فمنهن من عانين من المعاملة السيئة من قبل أسيادهم فكثيرا ما تعرضن للضرب أو الطرد وغالبا ما يكون ذلك لأتفه الأسباب[٥]،وكن كثيرا ما يتميزن بزي خاص بهن يعرفن به ولا تزي به سواهن من النساء الحرائر[٦].

١- ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٣٧

٢- عصمت عبد اللطيف دندش:أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي.بيروت لبنان ١٩٩١.ط١ ص ص :١٧٤-١٧٥ .

٣- لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة.ج١. محمد بن عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ،القاهرة ٢٠٠٣ ، ص.٢٧٢

٤- رجب محمد عبد المنعم:العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، .دار الكتاب المصري القاهرة.دار الكتاب اللبناني.بيروت.ص ص ٤١٩-٤٢٠

٥- جمال أحمد طه. الحياة الاجتماعية.ص١٥٠ .

٦-التادلي: المصدر السابق.ص ٢١٩.

أهــل الــذمة :

عرفت هذه الفترة من العصور الوسطى مشادات و صراعات عنيفة بين المسلمين والنصارى كان سببها تكالب القوى المسيحية على المسلمين وأراضيهم ، وهذا ما يُترجمه النشاط الذي عرفته الحملات الصليبية في الشرق والغرب على السواء ولهذا فقد كان إحساس العداء متبادلا بينهما ، كما كانت علاقتهما يشوبها الحذر و الحيطة دائما، ومع ذلك وجدت أعداد كبيرة من النصارى و اليهود في في المجتمعات الإسلامية شرقا و غربا ، وكذلك عاش المسلمون في بعض المناطق التي لا تدين بدينهم ، و قد عرفت الطائفة المسيحية و اليهودية التي عاشت في كنف النظام الإسلامي بأهل الذمة [١] .

كما عاشت جاليات من أهل الذمة ببلاد المغرب و الأندلس ، و قد أطلق اسم أهل الذمة على غير المسلمين ، و الذمة تعني الضمان و الأمان الذي يكسبهم حقوق الرعايا و يلزمهم بواجبات أيضا [٢] ، بالإضافة إلى اسم أهل الذمة عرف مسيحيوا الأندلس بالمستعربين و هم من أهل الأندلس الأصليين الذين بقوا على ديانتهم المسيحية و آثروا العيش تحت سلطة المسلمين بعد فتح الأندلس [٣] ، أمّا في المغرب فقد عاش المسحيون و اليهود به قبل الإسلام . فيذكر ابن خلدون أن الكاهنة البربرية كانت تدين باليهودية [٤] و هذا دليل على وجود الطائفة اليهودية بالمنطقة ، و بالإضافة إلى اليهودية، اعتنق المغاربة المسيحية التي دخلت المنطقة عن طريق رهبان مصريين قدموا إلــى المنطقة فــي القــرن الثـــاني الميــلادي[٥] وتمركزت هذه الطوائف بالمناطق الساحلية بالشمال الإفريقي ، وبعد فتح البلاد دخــل الكثير من سكانها في الدّين الإسلامي ، وتعايش بها المسلمون وغيرهم من المسحيين و حتى اليهود

١- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، ط ١، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦١ ، ص ١٣٦ .

٢- ابراهيم القادري بوتشيش:مباحث في التاريخ.ص:١٤٠

٣- بيير غيشار : "التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين" تر: مصطفى الرقي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج ٢ ، تحرير سلمى الخضراء الجيوس ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط ٢ ، ١٩٩٩ ، ص ٩٧٠ .

٤- ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

٥- حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مطبعة مصر ، ١٩٤٧ ، ص ٢٨ .

و قد تفرقت جموعهم بالبلاد ، فيذكر البكري أن تلمسان كانت بها جالية مسيحية بقوله : " و فيها للأوّل آثار قديمة و بها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا و لهم بها كنيسة معمورة" [١] ، و بفاس عاش الكثير من اليهود [٢] ،وعرفت أغمات إيلان بمدينة اليهود[٣]،وكذلك عرفت بذلك مدينة غرناطة بالأندلس [٤] ، و ذلك لكثرت هذه الطائفة بهما .

الـــيهـــــود:

لقد وجدت الطائفة اليهودية بالمغرب و الأندلس قبل الفتح الإسلامي كما سبق أن ذكرنا ،ويشير ابن عذاري أنّه قامت بمنطقة سوس مملكة يهودية عرف ملكها باسم مزدانة، وتذكر إحدى الوثائق العبرانية أنّ أوّل مملكة قامت في المغرب هي مملكة يهودية بالريف[٥]،هذا في المغرب أمّا في الأندلس فقد عاش اليهود منذ العصر القوطي، في كثير من المدن منها طليطلة و غرناطة ، و كان لهم دور في فتح الأندلس ، فقد ساعدوا المسلمين في ذلك ، ودلوّهم على مناطق ضعف القوط الذين أذلّوا اليهود و أساؤوا معاملتهم [٦] ، ولم يعرف اليهود تسامحا في التعامل معهم إلاّ بعد تولي المسلمين مقاليد الحكم في بلاد الأندلس[٧]. و لكثرة اليهود بالأندلس فقد اقترن اسمهم ببعض المدن ، فعرفت غرنــاطة مثلا

١- البكري : الغرب في ذكر بلاد المغرب (جزء من المالك والممالك) مكتبة المثنى بغداد .١٨٥٧، ص ١٧٦

٢- نفسه ، ص ١١٥ .

٣- سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ٥ ،منشورات المعارف،الاسكندرية، مصر ،٢٠٠٠، ص ٧٩ .

٤- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥ .

٥- عبد العزيز بن عبد الله ، المعجم التاريخي ، مكتبة السلام ، مكتبة المعارف الرباط ، د ت ط ، ص ٧٨ .

٦- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، مؤسسة شباب الجامعة السكندرية ، مصر ، د ت ط ، ص ١٣٣ .

٧- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بينهم ، مطبع ربدنير ، مجريط ، ١٨٦٧ ، ص ٠٧ .

بغرناطة اليهود [1] ، و عرفت مدينة إليسانة القريبة من حاضرة قرطبة بمدينة اليهـــود أيضا[2] ، و قد وُجد اليهود ببلاد المغرب منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وازدادت أعدادهم بالمنطقة عندما تزايد الشعور بالسوء منهم و العداء لهم بعد غزوهم لفلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت لهم هجرات أخرى سنة ٦٢٨ م ، تحديدا عندما غادر يهود خيبر الجزيرة العربية عبر اليمن قاصدين المغرب ، متخذين من جباله مقرا لهم مبتعدين بذلك عن النّاس [3] و راحت أعدادهم بعد ذلك تتزايد، و شكّلوا أحد العناصر الفاعلة في المجتمع المغربي ،و حتى الأندلسي ، و كان يهود المنطقة من الأثرياء، و هو ما دفع المرابطين إلى فرض ضرائب باهضة عليهم فاجتمع لهم منها حوالي مئة ألف دينار و ١٣ ألف دينار [4] ، و مع ذلك فقد عرف عصر هذه الدولة بالتسامح مع اليهود، و هذا ما أشادت به الكثير من المصنّفات التاريخية [5] ، أمّا بالنسبة لفترة الموحدين فإن المراجع الغربية وغيرها تجمع على أن أكبر و أشنع اضطهاد عاشه اليهود كان في عهد بني عبد المؤمن خلفاء الموحدين[6] ، لكن تتبع تاريخ هذه الشريحة داخل المجتمعات و ربط أعمالها بما يدور حولها من ظروف و حوادث يدرك أن طريقة التعامل مع أهل الذمة كانت تفرضه الظروف والأحداث السائدة خاصة وأنّ السجل التاريخي لليهود لا يخلو من الفساد، والأصح أنه ملئ بالمؤمرات وبالخيانة والدسائس والمكر .

فهذا علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي الذي عرف عنه التسامح مع هذه الفئة تحسبا منه لما قد يصدر عنهم حرّم عليهم المبيت بمدينة مراكش ، ولم يسمح لهم بالعمــل فيهـــا إلاّ

١- مسعود كواتي : "اليهود في المغرب الإسلامي"من الملتقى الوطني الثاني حول : عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية بالجزائر ١٩٩٨ ، ط ١ ، ص ٧٧ .

٢- الحميري : نفس المصدر السابق ، ص ٢٣ .

٣- جمال أحمد طه : الحياة الاجتماعية ، ص ٧٤ .

٤- ابن عذاري : نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

٥- حمدي عبد المؤمن محمد حسنين : التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، ١٩٩٧ ، ص ٣٣٦ .

٦- روبار برنسفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من ق ١٣ إلى نهاية ق ١٥ ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ ، ط ١ ، ص ٤٣٠ .

نهارا و يقول الإدريسي في ذلك : " و أغمات إيلان مدينة صغيرة في أسفل درن المذكور... و بها يسكن يهود تلك البلاد و هي مدينة حسنة كثيرة الخصب كاملة النعم، و كانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف، و لا تدخلها إلا نهارا و تنصرف عنها عشية ، و ليس دخولهم في النهار إليها لأمور له و خدم تختص به ، و متى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه ،فكانوا ينافرون المبيت فيها حياطة على أموالهم[١]،وتصرفه هذا لم يكن بدون سبب حيث كانت تصرفاتهم المشينة هي ما دفعه إلى ذلك و منها أن البعض من اليهود ممن ينتحلون الطب تسببوا في موت عدد من مساعدي الدولة المرابطية و ذلك بوضع السم لهم في أشربتهم [٢] ، و مع هذا كله فان اليهود في عهد المرابطين احتلوا مناصب مرموقة جدا في هياكل الدولة، منها جباية الظرائب بالأندلس وهو ما أثار المسلمين على المرابطين بها [٣] .

ولم يكن تذمر المسلمين على المكانة التي وصل إليها اليهود ببلادهم يقتصر على أهل الأندلس والمغرب ولكن ذلك حدث في نختلف المناطق الاسلامية ،ففي مصر مثلا و تحديدا في الخلافة الفاطمية ، أبدى المصريون تذمرا و عدم رضى و استنكار حيال ذلك ، خاصة عندما بدأ اليهود يتسلطون على المصريين و يتعالون عليهم و يسيئون إليهم [٤] .

لقد ارتبط تواجد اليهود بالمدن و الحواضر ذات الأهمية التجارية التي تمر بها القوافل الذاهبة إلى المشرق و أوروبا و غيرها ، و ذلك لأنّهم غالبا ما كانوا تجارا و عملوا كوسطاء بين التجار [٥] ، و هذا ما يفسره الثراء الفاحش الذي كانت تعيش فيــه معظم أفـــراد هــذه

١- الإدريسي : القارة الإفريقية ،الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق اسماعيل العربي ،دينوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،١٩٨٤، ص ٦٩ .

٢- ابن عذاري : نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ص ٦٧ ، ٧٧ .

٣- السلفي : أخبار و تراجم مستخرجة من معجم السلفي ، (ت ٥٧٦) أعدها و حققها إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٣ ، ص ٣٨ ، عبروا عن ذلك بالأبيات التالية :

يا أهـل دانيه لقــد خالفتـــم * حكم الشريعة و المروءة فيها

ما لي أراكم تأمرون بضدها * أمرتم ترى نسخ إلا لــه الدنيا

كنـا نطلب لليهود بجـــزية * و أرى اليهود بجزية يطالبون .

٤- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٥ ، ص ١٠٥ .

٥- الزجالي : أمثال العوام في الأندلس ، ص ص ١١ ، ١٨٢ .

الشريحة . و من الأعمال التي قاموا بها العمل في الذهب و الفضة، و ما يصاغ منهما، و في الصيرفة [١] ، وعملوا أيضا بتجارة العبيد بين بلاد السودان و الغرب و بلاد أووروبا،وعملوا بتجارة الملح [٢] .

كما عملت بالتجارة الطبقة المترفة من اليهود أما الطبقة الوسطى فقد امتهن أفرادها العديد من الحرف فنجد عندهم من احترف صناعة القناديل و زخرفة المعادن، و صناعة الحلي،[٣] وكذلك الخياطة و نسخ العقد والقلانس و تبطيناها و تصفيفها . والحجامة، و الدلالة في الأسواق و حتى بيع النعال [٤] ، كما قاموا بأعمال مبتذلة و حقيرة [٥] و اشتغل يهود سجلماسة بأعمال البناء [٦] ، و وجد بينهم الطبيب و المهندس و المثقف [٧] ، و يقول يوسف أشباخ أنه منذ القرن الحادي عشر و ضع يهود شويج الفاسي قاموسا عبريا و مباحث قيمة في الإنشاء و الترقيم و اللغة العبرية و لم يطبع منها شيء حتى وقتنا هذا ، و في القرن الثاني عشر ازدهرت المباحث العلمية اليهودية في إسبانيا بنوع خاص [٨] ، و هذا أكبر دليل على أن اليهود عاشوا بالمغرب الإسلامي كباقي طبقات المجتمع ، و لولا ذلك لما تمكنوا من الكتابة و البحث في ديانتهم [٩] ، إلاّ أنّ بعض المؤرخين ينكر هذا و يذكر أن أحط فترة عاشها اليهود و كان لها أثـــرهـــا السلبـــي علـــى الحيـاة الثقـــافيـــة و الـــدينيـــة

١- أبو يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، مدريد معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٠ ، ص ص ١١٥ ، ١١٦ .

٢- جمال أحمد طه : الحياة الاجتماعية ، ص ١٥٩ .

٣- التادلي : المصدر السابق، ص ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

٤- عبد الأحد السبتي ، حلمية فرحات : المدينة في العصر الوسيط ، قضايا و وثائق من تاريخ الغرب الإسلامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤ ، ط ١ ، ص ١٦٣ .

٥- الحميري : نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

٦- البكري : نفس المصدر السابق ، ص ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

٧- إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص ٩٧ .

٨- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، تر محمد عبد الله عنان ، مؤسسة الخانجي القاهرة ، ١٩٥٨ ، ط ٢ ، ص ٤٩٩ .

٩- حسن علي حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .

كانـــت فترة حكــم الموحدين إي في القرن الثاني عشر للميلاد السابع للهجري [1] .

إن أغلب المصادر و حتى المراجع المتقدمة تذكر أن الموحدين عاملوا أهل الذمة بطريقة سيئة جدا ، خاصة و أنهم أعلنوا صراحة أن أية ديانة غير الإسلام لن تقبل على كامل المناطق التي كانت خاضعة لسلطتهم . و ذلك يعود إلى أصوليتهم المتطرفة [2] فعبد المؤمن بن علي عند دخوله إلى تونس سنة(٥٥٤ هـ / ١١٥٦ م)أوّل عمل قام به كان عرض الإسلام على من بها من يهود و نصارى و من امتنع منهم أهدر دمه [3] ، و بسبب هذا عملت جماعة كبيرة على اعتناق الإسلام في العلن ، و البقاء على دينهم في الخفاء محافظين بذلك على حياتهم و مصالحهم معا [4] . و من بين أفراد الجالية اليهودية في تلك الفترة نجد الطبيب موسى بن ميمون الذي لم يسلم و حسب بل حفظ القرآن الكريم أيضا ، و هذا لم يمنعه من الارتداد عندما غادر بلاد المغرب [5] و نزوله بأرض مصر ، و غادر معه الكثير من اليهود و حتى النصارى بلاد المغرب فرارا من القتل [6] ، و يعود كل هذا إلى الظروف التي كانت سائدة آنذاك . و يعدّ ارتداد اليهود إلى دينهم دليلا على إخلاصهم و وفائهم لدينهم ومعتقداتهم و على أن إسلامهم ليس إلا حاجة اقتضتها الظروف السياسية للبلاد . و كان هذا من الدوافع التي جعلت عبد المؤمن يرتاب منهم و يتخوف دائما من خيانتهم ، خاصة و أنّ تلك الفترة عرفت استمرار الصراع الدامي في الأندلس و مساندة غير المسلمين لبني عمومتهم من النصارى و اليهود ، و تكالب المسيحيين على المشرق الإسلامي و تكاثرت حملاتهم العسكرية على المنطقة ، و الـــذي رســـخ عنـــد عبـد المؤمن أن اليهود خونـــة و محتاليـن

١- روبار برنشفيك : نفس المرجع السابق ، ص ٤٣١ .

٢- ريموند شانيدلين : اليهود في إسبانيا المسلمة ، تر : مريم عبد الباقي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج ٢ .

٣- التيجاني نالمصدر السابق، الرسمية ، ص ٣٤٧ .

٤- عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

٥- قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ ، ط ١ ، ص ١٥ .

٦- محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس ، المكتبة الثقافية ، عدد ٢٣٧ ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٨٨ .

هو تلقيه المساعدة في فتح مراكش من غير المسلمين، الذين كانوا في خدمة المرابطين ويدينون لهم بالإخلاص [١] ، و في الحقيقة فإن المصادر العربية و حتى الغربية لم يرد في طياتها ذكر الكثير من الأخبار أهل الذمة بصفة عامة في عهد الموحدين وكان امر عبد المومن اول خليفة للموحدين بتخيير غير المسلمين بين الاسلام أو مغادرة البلاد او القتل عملا أخذ عليه كثيرا ،ومع ان المراكشي يذكر ما يلي" [٢]: " لم تنعقد عندنا ذمة ليهودي و لا نصراني منذ قيام أمر المصامدة و لا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة و لا كنيسة ، إنّما اليهود عندنا يظهرون الإسلام و يصلون في المساجد ،و يقرؤون أولادهم القرآن جادّين على ملتنا و سنتنا و الله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم " [٣] ، و يستفيض اليهود في ذكر مذبحة على حد تعبيرهم قام بها عبد المؤمن بن علي عند الإستلاء على درعة و أسالت الكثير من حبرهم ، هادفين من وراء ذلك التأكيد على أن فترة حكم الموحدين كانت فترة وبال على اليهود . فاليهودي ابن عزرا الشاعر كتب و أسهب حول هذه المجزرة و وحشيتها حسب ما يذكر : " دمهم يسيل كالماء"[٤] ، و ركزوا على جمع عبد المؤمن ليهود مراكش، و تخييرهم بين الإسلام والالتحاق بدار الحرب أو القتل[٥] . و كلّ هذا يدل على أن اليهود عاشوا في كنف الموحدين و قول عبد الواحد المراكشي أنه لم تنعقد ذمة ليهودي و لا لنصراني يعود إلى اعتباره أن وجود أهل الذمة وممارستهم لحياتهم الدّينية يعتبر نقيصة في حق الخلفاء الموحدين و خاصة في تلك الظروف التي كانت سائدة آنذاك، و لهذا فإن أغلب المصادر الموحدية قد أغفلت الحديث عن هذه الطائفة و لم ترد فيها عنها إلا بعض الإشارات .

١- حسن علي حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ة.

٢- طه أحمد جمال : الحياة الاجتماعية ، ص ١٦١ .

٣- عبد الواحد المراكشي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

٤- إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص ١٠٥ .

٥- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة : ج ٥ قدم له و علق عليه محمد حسن شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ط ١ ، ص ٢٨١ .

و بقي الحال بالنسبة إلى هذه الشريحة كما رسمه عبد المؤمن إلى أن أصبح المنصور خليفة للموحدين و الذي ألزم اليهود بلباس خاص ، و هذا التمييز الذي يعتبره الكثيرين تعسفا و تشددا منه ليس بجديد على العالم الإسلامي ، فكل المناطق الإسلامية كانت تفرض على غير المسلمين المقيمين بأراضيها لباسا خاصا بهم و ذلك منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب[١] ،و هذا لارتباط صفة المكر و الخديعة باليهود على مر الزمان ، غير أن التشدد في تطبيق هذا الأمر كان يختلف من خلافة إلى أخرى . فالمنتصر الفاطمي ألزم أهل الذمة بلبس ثياب مميزة لهم و تعليق دراهم من الرصاص في أعناقهم مكتوب عليها ذمي و كذلك تعلق نساؤهم هذه الدراهم حتى في الحمامات ليعرفن بها ، و أن يلبسن الخفاق فردا منها أسود و الآخر أحمر و يصنعون خلاخل في أرجلهم [٢] . و نجد أن كتب الفتاوى كلها تحدثت عن وجوب التزام أهل الذمة بما فيهم اليهود بلباس خاص الرجال منهم، أمّا النساء فهن ملزمات به في حال اختلاطهن بالمسلمات [٣] ، و أغلب الكتب تفصّل في كيفية تزيّي أهل الذمة لكي لا يتشبهوا بالمسلمات [٤] ، و مع أنّ التمييز المفروض على أهل الذمة في الثياب و الذي أمر المنصور بتطبيقه معروف في كل بلاد المسلمين . إلاّ أنّ المنصور اعتبر من المظطهدين والمتشددين في التعامل مع هذه الشريحة لفرضه الشكلة عليهم ، و التي اعتبر البعض أنها سببا في انطواء اليهود على أنفسهم [٥] و ابتعادهم عن باقي شرائح المجتمع ، إلا أن هذا لا يمكن الجزم في صحته لأنّ اليهود معروف عنهم العيش بعيدا عن شرائح المجتمع من باقي الأديان في ظل خلافات لم تعاملهم بازدراء و لا بتعسف .

١- ابن قيم الجوزية : نفس المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

٢- عبد المنعم سلطان : نفس المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

٣- أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي : جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، ج ٢ ، تحقيق : محمد الحبيب هيلة ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢ ، ط ٢ ، ص ، ص ، ص : ٤٢ ، ٤٣، ٤٤ .

٤- حسن الممتي : أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ، تقديم الشاذلي القبلي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبان، ١٩٩٨ ، ط ١ ، ص ٧٣ .

٥- عيسى شنوف : يهود الجزائر ٢٠٠٠ سنة من الوجود ، دار المعرفة ، الجزائر ، ص ٤٠ .

و قد تمثل هذا الزي في قميص أزرق و برنس بنفس اللون ذو أكمام طويلة واسعة وقلنسوة زرقاء عوض العمامة التي يلبسها المسلمون [1] . و يذكر المراكشي أنّها ثياب كحيلة بأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم و وضع كلوتات بدل العمائم [2] ، و يعود ما أمر به المنصور من تمييز لليهود عن باقي شرائح المجتمع لشكه فيهم ، و حتى أنّه توعدهم بأشد العقوبات و القتل في حال ثبت العكس عنده ما شك فيه من أن سرائرهم تحمل العداء وتبيت الشر للمسلمين، [3] و الخلافة الإسلامية و أنه لو ثبت لديه عكس ذلك لتركهم يختلطون بالمسلمين [4] .

و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن المنصور أمر بذلك احترازا منه لما قد يصدر عن الشريحة و ليس تقصدا منه في اضطهاد هذه الشريحة و حبا منه لذلك .

لمّا جاء عهد الناصر تغّير الوضع بالنسبة لليهود، إذ أنّ هذا الأخير كان ليّنا معهم بعض الشيء ، و هذا ما شجّع اليهود على التقرب من الناصر و أن يتوسلوا إليه ليرفع عنهم ما كان المنصور قد ألزمهم به ، غير أنّ الناصر لم يرفع ذلك عنهم ، و اكتفى بتغيير بسيط في كيفية اللبس فقط و أمرهم بلبس ثياب صفر و عمائم صفر [٥] .

وبقى اليهود في المنطقة يزاولون نشاطاتهم التجارية وغيرها من الأنشطة ، ولم يحدّ تغيير لباسهم ولو بشكل بسيط على ذلك، أي أنهّم بقوا على دينهم وتمتعوا بالحرية الدينية،وكان الإجراء الذي اتخذه المنصور تجاههم ليس إلا تطبيقا للوثيقة التي ألزم اليهود أنفسهـــم
بها ، و اندمج اليهود في أوساط المسلمين تحت سلطة الموحدين و تعاملوا معهم [٦] تعاملا عاديا ، و ما يدل، على ذلك ما جاء في مصنف لابن سعيد المغـربي مـــن أن قاضي الجماعـة

1- عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح ، مطبوعات دار المغرب ، الرباط ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٤ .

2- المراكشي : نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .

3- Bat yéor : Juifs et chrétiens Sous Lislam ; Face au de Fi integriste ; Berg international editeurs ; Paris ; 1994 ; Paris ; P 91 .

4- المراكشي : نفسه ، ص ٣٨٣ .

٥- نفسه ، ص ٣٠٤ .

٦- جمال أحمد طه : الحياة الاجتماعية ، ص ١٧١ .

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني نزل على يهودي بتلمسان فاحتفل به وأكرمه و أحضر له جميع ما قدر عليه [١] ،وهناك حوادث أخرى شبيهة بهذه تثبت اندماج اليهود في المجتمع الإسلامي في عهد الموحدين .

و تخللت فترات استقرار اليهود بالمنطقة بعض الحوادث التي كانت بين الفينة والأخرى تهز استقرارهم اليهود [٢] ومنها ماقام به الموحدون سنة(٦٣٠هـ/١٢٣٢) من قتل جماعة من اهل الذمة بما فيهم اليهود وسلب ماكانوا يملكون من اموال ،أشياء ثمينة[٣] ،غير أن هذا الحدث لا يمكن اعتباره مقياسا تقاس به وضعية اليهود بالمنطقة لأنه وقع في فترة اضطراب كانت تعيشها الدولة الموحدية ، و يدخل ضمن تصفية حسابات لا مع أهل الذمة بل بين الخلفاء أنفسهم ،و في تلك الفترة اشتدت النزاعات بين الرشيد و المأمون من بني عبد المؤمن،و خارج فترات الاضطراب و النكسات فإن اليهود عاشوا بمنطقة الغرب الإسلامي من حياة عادية ، قاموا خلالها بنشاطاتهم التجارية و العقلية بكل حرية .

النـــصـــارى :

أطلقت على النصارى في فترة العصور الوسطى العديد من الألقاب و الأسماء فقد عرفوا بالروم [٤] و الافرنج [٥] و المعاهدين [٦] و المماليك [٧] وأسماء أخرى كثيرة، وسكنت هذه الطائفة بلاد المغرب و الأندلس قبل مجيء المسلمين إليهـا . وبعد أن أصبحت المنطقة

١- ابن سعيد المغربي : الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، إبراهيم الابياري ،دار المعارف ،مصر ،ط٢ ، ١٩٦٧ ،ص ٣٣ .

٢- فليب فارج ، يوسف كرباج ، المسحيون و اليهود في التاريخ الإسلامي العربي التركي ، تر : بشير السباعي ، سيناء للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٤ ، ط ١ ، ص ٧٨ .

٣- عبد الكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس ، مكتبة الرثاء ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٦٧ ، ط ١ ، ص ٤٠١ .

٤- ابن عذاري : البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٣١ .

٥- ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٩٦ .

٦- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

٧- ابن خلكان : نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥١ .

تحت سلطة المسلمين راحت أعداد النصـــارى من البربر تتناقص خاصة في الحواضرالمغربية حتى قامت دولة المرابطين، التي بدأت معها المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج بلاد المغرب، و تمثلت هذه الروافد في أعداد كبيرة من النصارى الذين جلبوا إلى المنطقة [٢] و كان ذلك على يد علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي الذي استقدمهم للعمل كجنود مرتزقة، وجمع عنده ما يفوق مئة و أربعون فارسا و نحو الألفين العبيد [٣] ، الذين أستخدموا كحرس خاص له [٤] .

أمّا في الأندلس فقد عرف النصارى كما سبق و أن ذكرت بالمستغربين ، و قد ضّمت مدينة سرقسطة الأندلسية أعدادا كبيرة منهم ، وعرفت منطقة الثغر الأعلى بكونها ميدانا خصبا تلتقي فيه العناصر المسلمة و المسيحية، في جو يسوده التسامح المطلق، و مع أنّ الحكّام المسلمين كانوا يمنحون النصارى العديد من الصلاحيات ، ويهيئون لهم جوا من التسامح الديني ، إلاّ أنهم لم يكسبوا يوما وفاءهم و تعاطفهم في أوقات الشدة، فالنصارى كانوا يغتنمون كل الفرص لموالات بني جلدتهم من النصارى ، ويبذلون قصارى جهدهم في مساعدة الملوك النصارى في محاولاتهم لغزو بلاد الأندلس ، ومن أمثلة ذلك أنهم استدعوا الفونسوا لمحابة ملك قشتالة و ليون لغزو الأندلس و وعدوه بالانضمام إليه و نصرته في حال تلبيته لندائهم واختراقه لبلاد المسلمين بالأندلس، و أقـــدم الفونسوا المحــــارب علـــى ذلك في سنـــــة(٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م)،إلاّ أنّ حملته على بلاد المسلمين لقيت فشلا ذريعا ، وإثر ذلك أمر علي بن يوسف بتغريب النصارى المعاهدين في أنحاء العدوة المغربية [٥]،فنزلوا مراكش وسلا

١- جمال أحمد طه : الحياة الاجتماعية ، ص ٧٨ .

٢- جمال أحمد طه : مدينة فاس ، ص ١٦٧ .

٣- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

٤- رضوان البارودي : أضواء على المسيحية في المغرب في العصر الإسلامي ، دار االفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ ، ص ٢٣ .

٥- عصمت دندش : علاقة الأندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات (أهل الذمة (إلى القرن السابع الهجري : المغرب الإسلامي و المسيحي خلال القرون الوسطى ، تنسيق محمد حمام منشورات كلية الآداب .

و مكناسة و العديد من المدن المغربية الأخرى [١] ، و هذا ما ساهم في ازدياد عدد المسيحيين بالمغرب .

عند انهيار دولة المرابطين انضم مسيحيوا الجيش المرابطي إلى الموحدين، حتى أنّهم ساعد و هم على الدخول إلى مراكش مقابل الحصول على الأمان على حياتهم [٢] ، وبعد ذلك استعان الموحدون بالنصارى من أجل إخماد ثورة ابن هود الماسي [٣] ، وفي عهد الخليفة المنصور استخدمهم في وظائف عدة فكانوا دماة و حرسا وأسكنهم قصرا من القصور التي يمتلكها و تزايدت أعدادهم فيما بعد أيام المنتصر (٦١٠هـ – ٦٢٠هـ) (١٢١٣م – ١٢٢٢م) إذ أصبحت جموع النصارى المنخرطين في الجيش تنقسم إلى مجموعتين ، الأولى وجدت في مكناسة و كانت تحت إمرة القائد القشتالي الذي اعتنق الإسلام فيما بعد ، و الثانية بمراكش كانت تحت إمرة أمير برتغالي [٤] .

و تضاعفت أعداد النصارى بالمغرب أيام المأمون، الذي لم يكتف بما حواه جيشه من النصارى، وطلب المساعدة من دار الحرب من أجل أن يتمكن من اعتلاء عرش الخلافة[٥]، وكانت مساعدتهم له مرهونة بشروط عدة منها السماح لهم ببناء كنيسة يزاولون فيها طقوسهم الدينية [٦] ، و زادهم المأمون على ذلك، إذ منح لهم حق إنشاء مدارس خاصة بهم ، و أصبحت لهم بالبلاد تجمعاتهم الخاصة [٧] ، و اعطائهم حق زيارة الأسرى المتواجدين لدى الموحدين من المسيحيين ، و تبادلا لإجراءات التسامح و العفو التي عومل بها النصارى، سمح البابا هونوريوس III (سنة ٦٢٦ ه – ١٢٢٩ م) بتغيير لباسهم و إطالـــة

١- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

٢- ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ .

٣- ابن عذاري : البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص ٣١ .

٤- جمال أحمد طه : الحياة الاجنماعية ، ص ٨١ .

5- Bel Alfred : La Religion Musulmane en Berbérie Esquise d'histoire et de Sociologie et Relegieuses ; Tome 1 ; Librairie Ouentale Paulgen Thner ; Paris ; 1938 ; P 259 .

٦- مبارك الميلي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

٧- علي عبد الله علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، ص ٢٤٢ .

لحاهم ماداموا في المغرب، مع العلم أنهم كانوا يحلقون لحاهم و شواربهم ، و ترادفت رسائل الشكر لأمراء الموحدين على حسن معاملة النصارى المتواجدين في أراضيهم [١] .

و مع كل اجراءات التسامح فإن الكنيسة التي بنيت في مراكش لم تعمر طويلا إذ هدمت في أيام حكم المأمون سنة(٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)إلاّ أنّ أسقفها بقي بمراكش إلى غاية القرن ١٤ م [٢] معتمدا على قوة من المتطوعين المسيحين الباقين بالمنطقة ، محافظا على حقوقهم [٣] ، و نجد أنّ المصادر العربية تجمع على أنّ أوّل كنيسة كانت أيام الخليفة الموحدي المنصور حيث بنى كنيسة خاصة للحرص النصراني الذي كان يحيط به نفسه [٤] وقبل ذلك فإنه لم يسمح للنصارى ببناء الكنائس فكان كل نصراني يقيم طقوس دينه بحرية[٥].

و قد اتسمت مرحلة ضعف الدولة الموحدية و انحلالها باستعانة الخلفاء بالعناصر الأجنبية المتمثلة في النصارى لقتال بعضهم البعض ، و هذا ما فعله الرشيد في صراعه مع زعيم حرب الخلط إذ استعان بالنصارى ، و حرّضهم على قتله [٦] ، و كان معظم أفراد جيشه من النصارى [٧] المرتزقة ، و ازداد نفوذهم قوة أيام السعيد و كثرت جموعهم،وأصدر هذا الخليفة مرسوما يسمح للنصارى فيه ببناء الكنائس [٨] ، و كانت بين المرتضي الموحدي و البابا أنوصان الرابع عدة مراسلات مفادها سيادة الودّ و المحبة بين الموحدين و النصارى.

١- مبارك الميلي : نفس المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

2- Harles Andrée Julien: Histoire de L’Afrique du Nord (Désorigines a 1930, Edilion a Rilages Paris 1994 . 03 . France . P 469 .

٣- زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصور الوسطى ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١١٧ .

٤- إبراهيم القادري بوتشيش : مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين (من منتصف ق ١١ إلى منتصف ق ١٢) : المغرب الإسلامي و المغرب المسيحي خلال القرون الوسطى .

٥- الونشريسي : المعيار ، ج ٨ ، ص ص ٥٨ – ٥٩ .

٦- بن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢٤٢ .

٧- الوزير السراج: المصدر السابق ،ص١٣٧.

٨- محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية و الإدارية في الأندلس و شمال إفريقيا ،مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ ، ط ١ ، ص ٣٤٧ .

و في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الموحدية أصبح المال هو الذي يوجه و يحكم في كسب ولاء و وفاء الجنود النصارى ، إذ نجد أنهم عملوا إلى جانب كل من هو قادر على ضمان توفير المال لهم ، و عند زوال دولة الموحدين انتقل من كان يعمل بالجيش الموحدي من مرتزقة نصارى إلى خدمة الدولة الجديدة التي تمكنت من التغلب على الموحدين والمتمثلة في دولة المرينيين (١) .

كل ما سبق ذكره هو أن تواجد النصارى كان على الساحة السياسية فقط ، و الواقع أنّ النصارى تواجدوا بالمغرب بصفات أخرى ، و منها النصرانيات اللائي وجدن بكثرة في بلاط الموحدين و أن الكثير من الخلفاء في الدولة الموحدية كانوا أبناء أمهات روميات (٢) وحتى المنصور الذي اتخذ العديد من الإجراءات الصارمة ضد أهل الذمة كانت أمه أم ولد رومية اسمها سحر (٣) ، و كذلك زوجة المأمون كانت من الجواري المسيحيات تدعى حبابة، و هذه الأخيرة لعبت دورا هاما على الساحة السياسية ، إذ كانت من سعى إلى تنصيب ابنها الرشيد خليفة للموحدين (٤) ، وهناك أمثلة عديدة حول المصاهرات التي كانت بين الموحدين من مختلف شرائح المجتمع و النصارى ، كل هذا يفند زعم المصادر الأجنبية التي استفاضت في الحديث بما لقيّه النصارى من ضنك العيش و أرذله في عهد الموحدين .

بالإضافة إلى كلّ ما سبق ذكره، و الذي يدلّ على تواجد المسيحيين بالمغرب وخاصة في الأندلس و أنهم مارسوا حياتهم بشكل طبيعي ، فإن العلاقات التجارية التي ربطت الموحدين بالامارات المسيحية تعزز ما قلناه ،فالخلفاء الموحدون يعملون وفق ما يناسب مصالحهم

١- ابن زكرياء يحي بن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ج ١ ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، ١٩٨٠ ، ص ٢٠٦ .

2- Brahime Harkat : La Communaté Chirétiénne et Celle D'origine chriténne en Espagne Musulmane Veuspar les Sources Arabes : de L'occident Musulmanes et L'occident au Moyen Age ; Puplication de la Faculté des Lettres Rabat ; 1995 ; P 206 .

٣- ابن أبي زرع الانيس المطرب،ص ٩٧.

٤-إبراهيم القادري بوتشيش،إسهامات في تاريخ المغرب ،ص ١٠٤.

ويخدمها، و لهذا فإساءتهم تلك إساءة مباشرة إلى اقتصاد الخلافة ، و هذا ما لا يرغبون فيه من دون شك .

و قد ربطت هذه العلاقة الاقتصادية الدولة الموحدية بالدويلات النصرانية منذ بداية الحكم الموحدي ، فعبد المؤمن بن علي أبرم معاهدة تجارية مع بيزة سنة ٥٥٢ ه / ١١٥٧ م وبموجب هذه المعاهدة فإن عبد المؤمن يقدم ضمانات تحمي حقوق الرعايا البيزيين في إفريقيا. و لحرص الموحدين على مصالحهم فإنّه بعد مدة من تلك المعاهدة أبرمت معاهدات أخرى كثيرة ، و في أيام أبو يعقوب يوسف حدث أن احتجزت أملاك أحد التجار البيزيين، فراسله ترجمان الخليفة أبو يعقوب قائلا : لا تتردد في الرجوع فستجد في كل مكان استقبالا طيبا و كذلك من صحبك فالسلع هنا رخيصة، و يمكن أن تشتري كل ما تريد [١] ،و ليس أدلّ من هذا أن العلاقات بين الموحدين و غيرهم من النصارى كانت عادية و لم تكن علاقة تعسف و اضطهاد .

و حسن معاملة الخلفاء الموحدين للرعايا الأجانب مسلمين و غير مسلمين كانت سببا في استقطاب أعداد كبيرة منهم إلى الموانئ التي يشرف عليها الموحدون ، و سمح لهم بإقامة فنادق تجارية خاصة بهم [٢] ، و استقبل الموحدون المبعوثين الأجانب من المسيحيين بحفاوة فعبد المؤمن أكرم مبعوث جنوة الذي استقبله في مقره و عقد معه معاهدة سلم لمدة خمسة عشر سنة التزم فيها الموحدون بتأمين التجار الجنوبيين و بضائعهم في البر والبحر[٣] واستأثرت كل من تونس و بجاية و قسنطينة بالتجارة مع جنوة و البندقية ومرسيليا [٤] .

١- محمد ماهر حمادة : المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

٢- إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

٣- كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر الدولتي المرابطين و الموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، مصر ، ص ٣٣٩ .

٤- حمادي الساحلي : فصول في التاريخ و الحضارة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ ، ط ١ ، ص ٣١ .

و في سنة(٥٨١ هـ / ١١٨٦ م)أبرم المنصور معاهدة سلم و تجارة مع جمهورية بيزا، وتدوم هذه المعاهدة خمس وعشرون سنة ، و تضمن هذه المعاهدة حرية تجار بيزا في كل من سبتة ، و وهران ، وبجاية و تونس ، وكان التجار الأجانب يقصدونه ليشكوا له كل ما يعترضهم من صعوبات ، وهذا ما تؤكده الرسالة التي أرسلها قنصلهم إلى المنصور في نفس السنة التي أبرمت فيها المعاهدة يذكر له فيها الصعوبات التي واجهها عدد من تجار بيزا من أجل الحصول على جلود بجاية (١) ، و كان الجنويون و المرسيليون يقرضون المال والسفن للتجار المحليين بإفريقية .

و في سنة (٥٩٢ هـ/١١٩٥ م) جمعت معاهدة أخرى المنصور مع الدويلات النصرانية، وكانت هذه المرة من نصيب نافاروليون ، وفي تلك السنة اضطرت قشتالة إلى أن تعقد مع المنصور هدنة (٢) ،وقد وصل عدد المعاهدات الموقعة بين الموحديين والدويلات المسيحية إلى أكثر من عشرين معاهدة وذلك ما بين (٦٠٩هـ ٦٣٨هـ) (١٢١٢ م– ١٢٤٠م) (٣) .

و كان التجار المسحيون ينزلون بفنادق خاصة بهم، وكلمة فندق ليست بنفس المقاييس التي عليها فنادق اليوم ، فالفنادق أنذاك كانت عبارة عن مدن تحتوي على كل المرافق الضرورية التي يحتاج إليها التاجر، كالمتاجر الكبرى والدكاكين الصغرى، ومقر سكن وكنيسة و مقبرة، و فرن، ومكان كاتب العدل ، و ربما وجد بها حمام ، وفد استأثرت كل جالية من الجاليات المسيحية بفندق خاص بها (٤) .

و هذه المدن الصغرى التي قطنها التجار النصارى كانت محمية و محصنة، إذ أنّ جهاز الدولة المغربية الأمني لم يكن يسمح لأيّ كان بدخولها إلاّ بأمر من السلطات المسؤولة عن حمايتها و حراسة من بداخلها (٥) .

١- إبراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي ، ص ٩٤ .

٢- إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

٣- زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصور الوسطى ، ص ١٢٣ .

٤- إبراهيم القادري بوتشيش : نفسه ، ص ٩٥ .

٥- نفسه ، ص ٩٦ .

و مع كلّ هذه الاتفاقيات التجارية مع الدويلات المسيحية، و ما وفرته الدولة الموحدية لهؤلاء التجار ومن معهم من أمن واستقرار إلاّ أنّها لم تسلم من شرور أعمالهم ، فقد تعرضت سبتة لسطو من جالية جنوية(٦٣٦ هـ / ١٢٣٤ م)،إلاّ أنّ عمليتهم تلك لم تنجح وانقلب السحر على الساحر ، فقد كانوا هم من قام بالنهب و السلب،إلا أنهم لاقوا دفاعا قويا فقتل الكثير منهم (١) . و في هذه المرة كان قتل المسيحيين لسبب وجيه و هو الدفاع عن النفس والوطن و ليس اضطهادا و تعسفا ، و مع هذا فإنّنا نجد الخلافة الموحدية بادرت بتعويض الجالية الجنوية عمّا أنتهب منها ،و ذلك في إطار معاهدة سلمية(٢)، وهذا ما يؤكد أكثر أنّ سياسة الخلفاء الموحدين كانت متسامحة مع الجاليات المسيحية ويدحض أقوال الغربيين الذين قالوا أن فترة حكم الموحدين كانت من أشدّ الفترات التي مرّت على أهل الذمة بصفة عامة ، مع أنّ تلك الفترة كانت تمر بظروف خاصة نساها الغربيون أو تعمّدوا ذلك ، و تمثّلت هذه الظروف في روح الجهاد و الحرب و العداء المستمر بين المسلمين والنصارى التي كانت سائدة أنذاك، فحتى النصارى لم يكونوا كرماء مع المسلمين و لا حتى متسامحين معهم فالنصارى نكّلوا بالمسلمين الذين سكنوا أراضيهم و بكل مسلم وقع بين أيديهم (٣) و من هذا المنطلق فإن الموحدين حتى لو كانوا قساة متعسفين مع اليهود والنصارى فإن ذلك لا يسيء لهم كثيرا ، لأن الظروف التي كانت سائدة و التي سبق و أن ذكرناها هي من كانت تحمل الموحدين على القيام بما يسيء للنصارى و ذلك دفاعا عن أنفسهم وانتقاما لإخوانهم المسلمين بالمشرق الإسلامي .

و في الأخير نستخلص أنّ ما حدد وضعية النصارى في عهد الموحدين كان :

- المصالح التي تجمع الموحدين بالدول النصرانية، والتي تُلزم بتوفير الحماية لرعاياها القاطنين بأراضيها .

- التدخل المستمر الذي شهدته الدولة الموحدية من قبل البابوية عملا منها على حماية المسيحيين بالمنطقة .

١- ابن عذاري : البيان الموحدي ، قسم الموحدين ، ص ٣٥٠ .

٢- إبراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الاسلامي ، ص ٩٩ .

٣- حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ .

و إنّ المعاهدات المبرمة بين الدويلات المسيحية و الدولة الموحدية، فرضت على الخلفاء العمل على تأمين الرعايا الأجانب و مراعاة مصالحهم [1] .

لقد امتلكت الدويلات المسيحية وسيلة ضغط فعالة على الخلفاء الموحدين و هي وجود كتائب عسكرية نصرانية في الجيش الموحدي،كانت الدويلات المسيحية تهدد بسحب كتائبها العسكرية في حالة عــدم توفيــر الأمن لهم.

التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين و أهل الذمة :

بعد التّطرق لأهل الذمة و أوضاعهم داخل المجتمع الإسلامي بالمغرب والأندلس،ثبت أنّهم كانوا شريحة ذات تأثير داخل المجتمع، و أنّها عاشت في جوّ من التسامح. عمل الموحدون على توفيره لهم لأسباب كثيرة . و مع ذلك وجدت فترات توتر و اضطراب سادت العلاقة بين الموحدين و أهل الذمة . و لم يكن تواجد هذه الشريحة في المجتمع جانبيا إذ كان لوجودهم العديد من الآثار الاجتماعية ، خاصة و أنّ هذه الشريحة لم تعش بمعزل عن باقي أفراد المجتمع . و كانت أهم التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين و أهل الذمة : الزواج المختلط خاصة بين المسلمين و النصارى ، وحتى الخلفاء مستهم الظاهرة فالخليفة العادل من أم رومية من سبي شنترين . و هناك العديد من الأمثلة الأخرى .

و ممّا يؤكد رواج هذه الظاهرة في تلك الفترة أمثلة تناقلها العامة بينهم عبرت عن حب الرّجال للشقراوات [3] و هذه الصفة اختصت بها النساء النصرانيات و هذا لم يبدأ في عهد الموحدين، إذ أنّ حب الأندلسيين و غيرهم للشقراوات عرف منذ عصر الخلافة الأموية بالأندلس ،[4] و كذلك شارك المسلمون النصارى احتفالاتهم الدينية و غيرها و منهـــا

١- إبراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي ، ص ٩٥ .

٢- ابن أبي زرع : نفس المصدر السابق ، ص

٣- الزجالي : نفس المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

٤- ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة و الآلاف ، تحقيق صلاح الدين القاسمي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩٥ ، ص ٨٥ .

عيد العنصرة و عيد سان خوان و عيد المسيح [١] ،ففي ليلة عيد الميلاد كان المسلمون و أهل الذمة يصنعون نوعا من الثريد ، و في اليّوم الأوّل من السنة يضع الأطفال على اختلاف انتماءاتهم أقنعة على وجوههم، و يتوجهون إلى الأعيان و يطلبون منهم الفواكه، و ينشدون أغانيهم الصبيانية . و شاركوهم أيضا في الاحتفال بعيد دانيسيا و هو احتفال يكون عندما تبدأ أسنان الطفل بالظهور، [٢] و هذا النوع من الاحتفال مازال مستمرا إلى أيامنا هذه، غير أنّ هذه الغالبية يجهلون أصول هذا الاحتفال ، و لشدة التأثير المتبادل فإن الدراسات تذكر أن المستعربين الذين غُربوُا إلى الأراضي المغربية في عهد المرابطين أصبحوا مع الزمن مغاربة أكثر منهم أندلسيين و نفس الشيء بالنسبة للذين غادروا الأراضي المغربية و عاشوا في الأندلس في أوساط يكثر بها المسيحيون، [٣] و من أمثلة ذلك ما ذكره ابن غازي في كتابه من أن ابن أخت ألفونسوا سكن مكناسة و تزيا بزي المسلمين الموحدين و أنه كان محبا للخير محبا في أهله [٤] هذا في الجانب الاجتماعي ، أما في الجانب الاقتصادي فقد كان للجاليات المسيحية تأثيرا في ميدان الفلاحة للخبرة التي امتلكوها في هذا المجال و في العمارة [٥] حيث كانوا مهندسين مهرة أنجزوا الكثير من المنشآت الضخمة ، و قد عُرفت الدولة الموحدية بإنجازاتها العمرانية الكثيرة .

من خلال كل ما سبق نستنتج أن أهل الذمة في عصر الموحدين وعلى الرغم من التشدد الذي مارسه بعض الخلفاء عليهم الخلفاء ، إلا أنهم عاشوا في جو من التسامح والعفو وهو ما سمح بتطورهم في جل المجالات فوجد فيهم الطبيب و المهندس و الشاعر و الحرفي.

١- إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص ١١٣ .

٢- نفسه ، ص ١٠٤ .

٣- نفسه ، ص ص ١١٢ – ١١٣ .

٤- ابن غازي العثماني : المصدر السابق ، ص ٣١ .

٥- إبراهيم القادري بوتشيش : نفسه ، ص ١٠٥ .

ملخص الفصل الأول:

سكن بلاد المغرب الاسلامي الكثير من الأجناس والتي كان اختلاطها وتعايشها مع بعضها سببا في ثراء الحياة الاجتماعية، ويعد البربر وهم السكان الأصليون لبلاد المغرب اما أكثر هذه العناصر كثافة بلاد الاندلس فقد تعددت السلالات بها،حيث نجد البشكنس والجلاجقة والقوط وغيرهم من الأجناس الأوروبية ،وعند ظهور الاسلام وبداية الفتوح الاسلامية، وفد على بلاد المغرب الاسلامي أجناس جديدة ،كان اهمها عنصر العرب الذين كانت أعدادهم في البداية قليلة ،غير انها تضاعفت فيما بعد بدخول العرب الهلالية إلى البلاد ،وكان لهم الأثر العميق على الحياة الاجتماعية بالمنطقة وبالاضافة إلى العرب وفد على المنطقة عناصر أخرى منها الأغزاز والصقالبة الذين استخدم الموحدون اعدادا كبيرة منهم في الجيش للحراسة.

وكذلك حل ببلاد المغرب الكثير من الأندلسي منهم الفقهاء و العلماء كما سكن الأندلس الكثير من البربر،وذلك بحكم الوحدة السياسية وخضوع الأندلس لدولة الموحدين .وقد كان لامتزاج هذه العناصر فيما بينها آثارا كثيرة منها الايجابية ومنها والسلبية ومن الآثار الايجابية نجد امتزاج الثقافات فيما بينها وتنوعها وكذلك، المساهمة الفعالة للعناصر الوافدة في حركة الجهاد في الاندلس ضد النصارى ومن الآثار السلبية انتشار الفوضى والشغب،خاصة في المرحلة الأخيرة من الدولة الموحدية.

ووجد بالمنطقة شريحة واسعة من العبيد الذين كانوا يجلبون من مناطق عدة ،فمنهم الأسود والأبيض وقد استعملوا في مجالات عدةكل حسب طاقتهم وإمكانياته وطبيعته.

أما أهل الذمة فقد كانت أعدادهم في المنطقة كبيرة لدرجة أن اسم بعض المدن اقترن باسم أهل الذمة ،غير ان اعدادهم بالأندلس كانت اكثر، وفي بداية دولة الموحدين خيّر أهل الذمة بين البقاء في المنطقة وتغيير ملتهم او القتل،وفيما بعد ميزا بلباس خاص بهم أيام الخليفة المنصور وذلك علامة على تحديد اماكن تواجدهم والاحتراز منهم ومندسائسهم وفي أواخر دولة الموحدين عاش أهل الذمة بالبلاد بأكثر حرية.

الفصل الثاني

ǔøøøøøǯɋʅǯǩɫ ƟĸǼɯǍ

I-الطبقة الحاكمة

١-طبقة الطلبة

٢-طبقة العلماء والفقهاء

٣-مكانة العلماء والفقهاء في دولة الموحدين

II-طبقة المتصوفة

III-طبقة العامة

IV-طبقة أصحاب المهن

١-التجار

٢- الصناع

٣-الفلاحون

٤-مهن مختلفة

V-المرأة

طبقات المجتمع:

تكون المجتمع في عهد الموحدين من عدة طبقات وشرائح،فوجد فيه الغني والفقير العالم والجاهل،وكان لكل شريحة دورها الكبير في المجتمع،إذ اختصت كل طبقة بمهن أعمال معينة،وتكامل أعمال كل شريحة مع أعمال الشرائح الباقية هو ما يعطي دفعا جديدا لتطور المجتمعات وازدهارها.

الطبقة الحاكمة:

عرف نظام الحكم في البلاد الإسلامية نظام الوراثة وذلك منذ عهد معاوية بن أبي سفيان الذي استحدث هذه العادة من تحويل الملك من نظام شوري الى ملك وسار على سنته باقي خلفاء المسلمين في المشرق والمغرب[١]ففي عهد الموحدين انحصر الحكم في أسرة عبد المؤمن بن علي وبنيه من بعده إلى أن انهارت الدولة الموحدية. وحتى وزراء عبد المؤمن و ولاته كانوا من أبنائه[٢]، فولى على اشبيليا ابنه أبو يعقوب يوسف[٣]الذي سيخلفه بعد وفاته(٥٥٨ هـ-١١٦٣)وبويع بعد وفاة أبي يعقوب يوسف(٥٨٠ هـ-١١٨٤ م) لابنه أبو يوسف يعقوب المنصور[٤].

وكان لقبيلة كومية مكانة خاصة في دولة الموحدين.فإليها ينتمي عبد المؤمن بن علي أول الخلفاء الموحدين واتخذ عبد المؤمن من أفرادها بطانة له،ومنهم كان وزيره عبد السلام بن محمد الكومي[٥] واستوزر ابنه عمر وبقي كذلك إلى أن مات عبد المؤمن، وبهذا فإن أسرة بني عبد المؤمن وقبيلته كومية شكلوا أهم أفراد المجتمع في عهد الموحدين ينضاف إليهم من حيث الأهمية طبقة الفقهاء والعلماء اللتين فرضتا وجودهما واحترامهما بما يمتلكانه من علم ومعرفة.

١- عبد الكريم عثمان:النظام السياسي في الإسلام، دار الإرشاد بيروت ١٩٨٨. ط١ ص:١٠٧

٢- المراكشي:المصدر السابق.ص:١٢٣

٣- ابن عذارى:البيان المغرب.قسم الموحدين.ص٥٦

٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب.ص١٣٧

٥- البيذق: المصدر السابق.ص١١٥

طبقة الطلبة:

أنشأ الموحدون نظاما سياسيا جديدا فهم أول من استحدث طبقات جديدة في المجتمع،ومنها طبقة الطلبة التي أوجدها المهدي ،وكانت هذه الطبقة خاصة بأصحاب المهدي لأن باقي من دخل في دعوة الموحدين سموا بالموحدين،[١] وقد جاء اختيار هذا الاسم متوافقا مع ما كان مطلوبا منهم،فكانوا يعدون طلبة مهمتهم التعلم على يدي أستاذهم المتمثل في صاحب الدعوة الجديدة المهدي بن تومرت،واليهم تعود مسؤولية الحفاظ على مبادئ الدعوة ونشرها بعد ذلك في أوساط الموحدين[٢]إلا أن هذا المفهوم سيتغير فيما بعد بتطور الأحداث في دولة الموحدين.

فعند انتشار دعوة الموحدين وتمكنها من الناس وزيادة عدد الداخلين فيها وبعد مبايعة بن تومرت بالمهدوية قام هذا الأخير بتقسيم أصحابه إلى طبقات مميزة هي:[٣]

طبقة العشرة: وعرفت أيضا باسم أهل الجماعة[٤]وهم على التوالي:عبد المؤمن ارناج وعمر الهنتاتي،أبو محمد البشير،أبو محمد عبد الواحد، سليمان بن خلوف،إبراهيم بن إسماعيل الهزرجي.موسى بن تمار وأبو يحي بن مكيث، وأبو عثمان بن يخلف،وأطلق عليهم المهدي هذا الاسم تيمنا بالعشرة المبشرين بالجنة[٥]،وبعد هذه الطبقة التي كانت بمثابة مجلس استشاري تأتي طبقة الخمسين وبعدها أهل السبعين وهما طبقتين يشكلان مجلسين، يضمان كبار شيوخ القبائل التي انضمت إلى دعوة الموحدين ككومية وحنفسية وهرغة وتينمل وباقي القبائل وتليها طبقة الطلبة وبعدها طبقة الحفاظ وهم صغار الحفاظ[٧]وهذا التقسيم الجديد هو ما غير مفهوم الطلبة،فهذه الطبقة مثلت في البداية كما سبق الذكر أصحاب المهدي الذين سميت جماعتهم في هذا التقسيم بأهل الجماعة أو طبقة العشرة.وأصبح خاصا بحاملي

١- المراكشي:المصدر السابق.ص ١٩٨

٢- حسن علي حسن: المرجع السابق.ص٣٣١

٣- البيذق: المصدر السابق.ص٥٣

٤- الوزير السراج: المصدر السابق.ص١٠١

٥- عز الدين عمر موسى:المرجع السابق ،ص٦٧

٦- ابن القطان: المصدر السابق.ص:٢٦

٧- نفسه:ص٢٨

مبادئ المهدي الموكل إليهم نشر دعوته بين الناس والحفاظ عليها[١]،وكان لهذه الطبقة مكانة رفيعة جدا في المجتمع،فنجد أن أغلب الرسائل التي كتبت في عهد الموحدين من قبل الخلفاء والولاة وجهت للطلبة[٢]، وقد قدم الخلفاء لهم مرتبا سنويا بالإضافة إلى ما كانوا يهبونهم من عطايا جزيلة[٣]وصاحب الطلبة الخلفاء في كل أسفارهم سواء خرجوا في زيارة أو خرجوا قصد الجهاد[٤].وكان للطلبة كلمة مسموعة في جهاز الدولة، فيذكر أن أحد طلبة مالقة دخل السجن بسبتة بالعدوة المغربية،وذلك لاتهامه بالسرقة،فكاتب الطلبة بمالقة طالبا العون منهم، وإذا هم يراسلون طلبة سبتة من أجل مساعدتهم في إخراجه من السجن.وقد تمكنوا بذلك فعلا واخرجوا الطالب المالقي من السجن[٥].

ينقسم الطلبة إلى نوعين طلبة الموحدين وطلبة الحضر،وطلبة الحضر هم العلماء الذين كانوا يجلبون إلى عاصمة الموحدين مراكش،وفي ذلك يقول المراكشي"وجرت عادتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم من أهل كل فن وخاصة علم النظر وسموهم طلبة الحضر،فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون.وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين ومنهم الفقيه يحي بن أحمد بن خليل بن اسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد بن عبد الله السكوني(ت٦٢١ هـ/١٢٢٨م) من أهل ليلة، من أجلّ طلبة الأندلس، والذي طلب للتدريس بإشبيليا،وكان مجلسه عامرا بالطلبة،وقبله الفقيه يحي بن أبي الحاج صهر الحافظ أبي العباس بن خليل من لبلة أيضا وهذا الأخير دعاه المنصور لسكنى مراكش ليكون في جملة طلبته بها(ت ٥٩٠ هـ/١١٩٢ م)[٦] والفقيه أبو جعفر أحمد بن عتيق بن حرج الذهبي البلنسي(ت١٢٠٨/٦٠١ م) وكان شيخ طلبة الحضر، استدعـــــــاه

١-ابراهيم حركات: المرجع السابق.ج١.ص٣٢٩

٢- ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية. المطبعة الاقتصادية.٣ ،الرباط.١٩٤١ ص ص ١٠-٥-٢٢-٥٥-٦١

٣- التادلي: المصدر السابق:ترجمة أبو العباس السبتي،ص :

٤- ابن صاحب الصلاة:نفس المصدر السابق.ص٤٠٠ .

٥-المراكشي:المصدر السابق.ص٣٤٢ .

٦- ابن الزبير: صلة الصلة..ق٥.ص ص .٢٦١-٢٥٥ .

المنصور إلى مراكش وكان من المقربين لابنه الناصر[١] و وصلت درجة اهتمام المنصور بهذه الفئة إلى أن صرح بما يلي" يا معشر الموحدين أنتم قبائل فمن نابة منكم أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء طلبة الحضر لا قبيل لهم إلا أنا فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم وإلى فزعهم وإلـــــى ينتسبون"[٢]،ولم ينساهم حتى عند احتضاره إذا وصى بهم بقوله" فهؤلاء الطلبة يعني السادات إن أمكنكم ألا تصرفوا أحدا منهم فهو إلا حق لهم ولكم"[٣]وهذا التصرف كان موروثا عند خلفاء الموحدين فعبد المؤمن بن علي أورثهم ذلك.فقد كان كريما مع الطلبة وأقرضهم المال من خزينة الدولة ولم يفعل ذلك مع غيرهم،وذلك لتحسين مستواهـــم المادي[٤] وهذا ينم عن مدى بعد نظر عبد المؤمن بن علي فطلبة العلم عانوا من قساوة العيش وقلة الإمكانيات فإن إمكانياتهم الاستيعابية ستكون محدودة ولن يكون بإمكانهم العطاء والإنتاج كطلبة العلم الذين تتوفر الهم الظروف الملائمة للتعلم والعطاء.

وكان شيخ الطلبة هو رئيسهم وممثلهم أمام الخليفة،وكانت لهذا الشيخ مكانة تعادل مكانة الوزير في تلك الفترة.فيوسف بن عبد المؤمن عندما اعتل سنة (٥٦٥ هـ/١١٦٩ م) لم يسمح لأحد بالدخول عليه ما عدا أطباءه و وزيره أبو العلاء ادريس وشيخ طلبة الحضر أبو محمد عبد الله المالقي[٥] وهذا يعني أن هذه الفئة تمتعت بمكانة مميزة وخاصة عند الخلفاء والولاة،حتى أنهم كانوا يشهدون جنازاتهم[٦] وغالبا ما أظهروا لهم الاحترام والتبجـــيل،[٧] وانضافت إلى هذه الطبقة الطلبة الحفاظ، وهم الذين جمعهم الخليفة عبد المؤمن بن علي، من

١- ابن سعيد المغربي: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة .،.ص ص .٣٦-٣٩

٢- المراكشي: نفسه.ص٢٨٠

٣- ابن عذارى: البيان المغرب.قسم الموحدين.ص٢٣١

٤- ابن القطان: المصدر السابق.ص.١٣٧

٥- ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق.ص٤١٠

٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق.ص٢١٧

٧- ابن عذارى: البيان المغرب.قسم الموحدين.ص:١٦٧ .

مختلف القبائل الموحدية[١] وكان أعلاهم رتبة حفاظ أهل الدار[٢] وقد أنشأ الموحدون مدرسة لتعليمهم في مراكش وركزوا على تعليمهم مبادئ الشريعة والدعوة الموحدية[٣] وعندما يتمون دراساتهم وتدريباتهم توكل إليهم أهم المناصب في الدولة ومنهم عبد الحق بن علناس الكومي الذي ولى مدينة سوسة[٤] وشغل آخرون مناصب عدة في الدولة الموحدية وأما طلبة المصامدة فهم الطلبة المكلفون بدراسة الدعوة ومصنفات المهدي بن تومرت ونشر تعاليمه في أوساط الناس عند إتمام تعلمهم،وهم من كانت توجه إليهم الرسائل الإدارية من الخلفاء[٥]
نالت هذه الشريحة بكل أقسامها:طلبة الحضر طلبة الحفاظ طلبة المصامدة أو الموحدين مكانة مرموقة في المجتمع الموحدي جراء المعاملة التي لقيها أفرادها من قبل الخلفاء الموحدين بصفة عامة.

الفقهاء والعلماء:

كان الدين العامل الأساسي لقيام العديد من الدول الإسلامية بالمشرق كما في الغرب الإسلامي في القرون الوسطى.

جن كما ابلعبمئ منالفقهاءالمتمكنين

العطاء ويقربهم منه بإصراره الدائم على حضورهم مجالسه.ولم يكتف بفقهاء بلده بل بعث في طلبهم من مختلف المناطق[٢]

سلك خلفاء بن تاشفين من بعده نفس سياسته في تقريب الفقهاء، وتكريمهم، بل هناك من تمادى في تعظيمهم، فعلى بن يوسف كان يزور الفقهاء أينما كانوا تعبيرا منه على مدى التقدير والاحترام الذي يكنه لهم،[٣]هذه المكانة التي أعطاها خلفاء المرابطين لهذه الشريحة مكنتهم من أن يصبحوا من أصحاب الأموال والعقارات[٤]،وراحوا بعد ذلك يساهمون في أعمال كان من الجدير بأولي الأمر القائمين على الولايات القيام بها،وهذه الأعمال جعلت عامة الشعب يلتفون حول الفقهاء، وأعطت لهم هيبة شبيهة بهيبة الخلفاء ومكانة تضاهي مكانتهم[٥]فمنهم من قام ببناء المساجد، وإيقاف الأموال عليها.وأصبحوا يستقبلون استقبال الملوك والأمراء[٦]حتى أنهم نعتوا بالرياسة ،وبألقاب أخرى كثيرة تؤكد دائما على المكانة الرفيعة التي احتلوها.

وشغلت حياة البذخ والرفاهية الفقهاء عن دورهم الأساسي في المجتمع من طلب العلم، وبث التوعية والتصدي للفساد الذي قد يحدث في أوساط الناس، ويسود بين ولاة الأمور الخلفاء،ويكون سببا في تراجع الدولة وانحطاطها،ويكمن دور الفقهاء في توجيه الخلفاء والأولياء لما فيه خير الأمة،إلا أنهم انشغلوا عن هذا الأمر الهام بأمور دنيوية ثانوية،إذ راحوا يتسابقون على كسب الأموال والاشتغال بالمناصب الرفيعة ،/وسكنوا القصور والدور الفخمة وجاهدوا للحصول على كل متع الدنيا ومباهجها[٧]

١- عصمت عبد اللطيف دندش :دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(٤٣٠-٥١٥ هـ)، دار الغرب الإسلامي،بيروت.١٩٨٨ ط١.ص١٣٢ .

٢- المراكشي:المصدر السابق. ص١٦٣

٣- التادلي:المصدر السابق.ص١٣١

٤- ابن الآبار:المعجم.ص ص ١٢١-١٥٠.

٥- المقري: نفح الطيب.ج٤.ص٢٣٢

٦-ابن ذرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان وعلماء المذهب.تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان.دار الكتب العلمية.بيروت١٩٩٦.ط١.ص .٣٠٣

٧- إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي.ص١٤٦

ولما انحرف الفقهاء عن مسارهم الصحيح تعرضوا إلى النقد اللاذع من العامة وغيرهم ،وكان أكبر ناقد ومتمرد على الفقهاء في تلك الفترة محمد بن تومرت صاحب دعوة الموحدين،وقد وصفهم بأولياء الشياطين.وصفات قبيحة أخرى[١]وكان ما نادى به هو تجريدهم من السلطات الكثيرة التي شغلوها.وأول عمل قام به عند قيام دولة الموحدين توزيع سلطات الدولة على عدة هيئات[٢]

هذه السياسة التي اتبعها ابن تومرت رغم تقليصه لسلطة وصلاحيات الفقهاء في الدولة، إلا أنها لم تنقص كثيرا من المكانة التي احتلوها، فقد كان الفقهاء على مر الزمن محط احترام الناس دائما، لاشتغالهم بالجانب الديني المقدس عند العام والخاص،فكان الكثير من الفقهاء من أقرب المقربين للخلفاء وندمائهم[٣]

وتميز الفقهاء في تلك الفترة بثقافة كبيرة ومجال علمي واسع فالواحد منهم لم يكن متخصصا في علوم الدين، فقط بل تتعدت معرفته إلى علوم أخرى كثيرة فزيادة على براعتهم في مجال الدين برعوا في مجالات أخرى كعلوم اللغة والفلسفة وحتى العلوم الطبيعية فأبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي كان فقيها ومتوليا لطب الولادة ببجاية وعارفا بعلوم اللغة [٤] .

١- المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب.ص٢٦٢-٢٤٥

٢- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية،ص١٠٠

٣- ابن سعيد المغربي: الغصون في معرفة شعراء المنة السابعة.ص٣٤

٤-ابن عبد الملك:الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ق١،تحقيق إحسان عباس،دارالثقافة.بيروت لبنان.١٩٦٥. ص ص ١١٩-١٢٠ .

٥- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر:١٩٨٥ ط٢.ص ص ١٠٥-١٠٢

٦- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ،عني بنشره وصححه عزت العطار الحسيني ،مطبعة السعادة،القاهرة.مصر د ت ط . ص٩٤

لقد اجتهد الخلفاء الموحدون على استجلاب أكبر عدد من الفقهاء والعلماء إلى حضرتهم مراكش.وخاصة من الأندلس التي حذق أهلها في جل الفنون العلمية منها والأدبية. والكثير من العلماء الذين نزلوا بمراكش، كان نزولهم بناء على رغبة الخلفاء في حضورهم،ومع هذا وجد الكثير منهم من هاجر إلى المغرب مرغما خاصة في آواخر القرن ٦ هـ حيث بدأت الحواضر الأندلسية تسقط في أيدي النصارى الواحدة تلـــــــــوى الأخرى [١]،ومنهم الفقيه يحي بن رزق من المرية الذي سكن سبتة ومات بهب سنة ٥٦٠ه/١١٦٥م الفقيه يحي بن أبي الحجاج صهر الحافظ أبي العباس ابن خليل من لبلة، الذي اهتم به المنصور، ورغبه في حضور مجلسه وأن يكون في حملة طلبته(ت ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م)[٢]،واستدعى المنصور الفقيه عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمرو بن خلف بن حوط الله الأنصارى الحـــــارثي من يلنسية(ت ٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م) ، لتأديب أبنائه وكان قبل ذلك قد تولى قضاء مدن كثيرة بالمغرب والأندلس،ولأنه كان مقربا ومحبوبا لدى الخليفة فقد نال دنيا وجاه عظيمين[٣]-،والفقيه محمد بن خلف المعافري المالقي الذي توفي بمراكش سنة(٦٠١ هـ/١٢٠٤)، [٤] الفقيه علي بن محمد عن يوسف بن عبد الله الفهري القرطبي اليابري الأصل،الذي نزل بمراكش بناء على رغبة المنصور، الذي لم يكتف بإكرامه فقدط بل تمادى في تعظيمه ،وكانت ثقته به كبيرة إلى درجة أنه طلب منه تأديب بناته وتعليمهن،وهذا على الرغم مما عرف به المنصور من تدين وحزم ومن أنه كان يخصص بعض النساء لتعليم نساء قصره، وحدث في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي أن وقع في أسره أحد العلماء وهو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصفر الأنصاري الخزرجي المعروف بأبي العباس، إلا أن عبد المؤمن عفا عنه لمعرفته بعلمه، وألحقه بحملة طلبة العلم الملازمين حضور مجلسه،وبالغ في الإحسان إليــه و ولاه قضاء اشبيليا،وخطط أخرى كثيرة ذات مكانة مرموقة.[٦]

١- عبد الله عنان: المرجع السابق.ص ٦٤٨ .

٢- ابن الزبير: صلة الصلة. قسم.ص :٢٥٥

٣- ابن فرحون:الديباج المذهب. ص ٢٣١

٤- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة. ج٢. ص ٥٧١

٥- ابن عبد الملك: المصدر السابق. سفر ٥ قسم ١. ص ٤٠٠

٦- نفسه: السفر الأول. تحقيق محمد بن شريفة .ص ٢٢٩

وعبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي أبو زيد من مواليد قرطبة عمل بها ثم نزل مراكش ومات بها سنة(٦٢٧ هـ/١٢٢٩م)[١] وعمل كاتبا عند بني عبد المؤمن بن علي[٢] ومحمد بن جعفر بن أحمد بن حميد أبو عبد الله الذي عمل قاضيا ببلنسـية(ت ٥٨٦ هـ/١١٩٠م) م[٣] والمحدث أبو القاسم محمد بن عبد الواحد ابن ابراهيم بن مفرج الغافقي الغغرناطي الذي عرف بكونه من أكابر الحفاظ، حافظا للرواة عارفا بأخبارهم ت(٦١٩ هـ/١٢٢٢ م) [٤].

إن التواجد والحضور الكثيف لعلماء الأندلس بشتى اختصاصاتهم الدينية و العلمية لا يعني أبدا أن المغرب كان فقيرا من النبغاء والمجيدين في المجالات العلمية المختلفة ومنهم ابن البنا أحمد بن محمد بن عثمان الازدي أبو العباس المراكشي الذي كان معظما عند الخلفاء محببا إليهم توفي سنة (٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م)[٥] وحجاج بن يوسف الهواري الذي تولى قضاء مراكش ومات بفعل الطاعون الذي ضربها سنة (٥٢٧ هـ/١١٣٢م) [٦] .

والفقيه أبو الفضل أبو محمد بن طاهر بن تميم القيسي الذي كان ببجاية واستدعاه الخليفة عبد المؤمن لعاصمته مراكش ليكون كاتب أسراره توفي سنة (٥٩٨ هـ-١٢٠١م)[٧] وأبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري الذي له مجلس واسع الحضور[٨] وأبو عبد الله محمد بن حسن بن عطية السبتي يعرف بابن الغازي العالم الفاضل تولى القضاء وحمد ت سيرته، توفي في بداية القرن السادس[٩] وأبو عبد الله محمد بن ياسين الذي عرف

١-أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج.ص١٧٣

٢-مجهول:مفاخر البربر.ص٢١٥

٣- الصبى: بغية الملتمس في معرفة تاريخ رجال أهل الأندلس ،تحقيق روجيه عبد الله السويفي.دار الكتب العلمية.بيروت.لبنان.١٩٩٧.ط.ص ص ٥٦-٧

٤- جلال الدين عبد الله السيوطي: طبقات الحفاظ،تحقيق علي محمد عمر. مطبعة الاستقلال الكبرى.١٩٧٣.ط ص ٤٩٤.

٥-أحمد بابا التمبكتي:نفسه.ص٤٠

٦- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المكتب التجاري للطباعة والنشر.بيروت ١٩٧١ ط ١. ص ٦٠

٧- الغبريني: المصدر السابق.ص٨٢

٨- نفسه: ص١٠٣

٩- محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مج ٣ حواشيه وعالق عليه عبد المجيد خيالى.دار الكتب العلمي. بيروت .لبنان ٢٠٠٣ ط١. ص ص ٢٣٥-٢٣٦

بأنه فقيه المصامدة (ت٦٢٤ هـ-١٢٢٦ م)[١] وهناك أمثلة أخرى كثيرة حول الفقهاء والعلماء المغاربة الذين برزوا في تلك الفترة وكان لهم دور كبير في توحيد المجتمع.بإسداء الموعظة والنصح للخلفاء والولاة وحتى عامة الناس الذين كان التفافهم حول هذه الشريحة كبيرا.

والملاحظ هو التواجد الكثير لعلماء وفقهاء الأندلس بالمغرب،وهذا يعود إلى كون عاصمة الخلافة مراكش كانت تقع في المغرب.وقد عرف عبر التاريخ أن العواصم استقطبت دائما أهل العلم وأصحاب الحرف والفنون المتعددة.وهذا لما تتميز به العاصمة عن باقي حواضر الخلافة،ويشتد ذلك ويزداد إذا كان الخلفاء من أهل العلم المحبين لأهله،وهذا ما يدفعهم إلى البحث عن العلماء أدباء كانوا أو فقهاء وأطباء وتقريبهم منهم ومجالستهم لهم.

يعتبر القضاة من أهم رجال الدولة لاحتلالهم منصبا مهما له دور كبير في إحلال العدل وفرض القوانين في المجتمع،ولهذا فقد كان القضاة يختارون بحذر للاشتغال بهذا المنصب فكانوا من افضل العلماء وأجل الفقهاء في تلك الفترة[٢]، وكانت كلمة القاضي مسموعة عند الخلفاء،وقد عرف القاضي المسؤول في مراكش باسم قاضي الجماعة وهو الذي كان يشرف على تعيين محتسب السوق.وكذلك هو المسؤول عن تعيين القضاة بنواحي المدينة[٤].وكان له الحق في إنابة آخر مكانه في حال غيابه عن المدينة، فأبو عبد الله محمد بن ضمعان القلعي كان نائبا عن القاضي أبي عبد الله الأصولي في الأنكحة في مدة ولايته ببجاية[٥].وكان القاضي مسؤولا على توزيع زكاة عيد الفطر على الفقراء والمحتاجين،ويتولى الخطبة والصلاة في الأعياد[٦]

١- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية. ص١٠٤

٢-نفسه،ص ١٠٤

٣- ابن خلكان: المصدر السابق. ج٥. ص:.١١

٤- عز الدين عمر موسى:المرجع السابق١٩٩١،ص٢٠١ .

٥- الغبريني:المصدر السابق.ص١٨٩

٦- ابن عذارى: البيان المغرب. ج٤. ص١١٦

إن المكانة التي حظي بها القضاة مكنتهم من جمع أموال طائلة في فترة توليهم خطة القضاء. فالقاضي الأندلسي أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي(ت ٦٥٠ هـ/١٢٥٢م) الذي عمل كقاضي بالحواضر الأندلسية أيام الرشيد الموحدي وبعض الحوافر المغربية كمراكش رباط الفتح ومكناسة جمع ثروة من وراء عمله كقاضي[١]ولقد شغل هذه الخطة ببلاد المغرب الكثير من الأندلسيين في حين لم يكن عدد المغاربة الذين عملوا كقضاة بالأندلس ذو أهمية كبيرة ومن الأندلسيين الذين شغلوا هذا المنصب بالمغرب نجد محمد بن إسماعيل بن سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب بن عفير الأموي الذي استقضى ببلد نفيس من احواز مراكش ثم بالسوس وتوفي بمراكش سنة (٥٩٥ هـ/١١٩٨م)[٢] وأحمد بن محمد بن أحمد البكري من شريش الذي ولي قضاء سلا ثم مكناسة ومات بهذه المدينة سنة (٦١١ هـ/١٢١٤م)[٣] وأحمد بن يزيد الأموي قاضي قضاة المغرب من قرطبة ولي قضاء مراكش فحمدت سيرته لما عرف به من عدل وإنصاف.وبقي بها إلى أن وافته المنية سنة (٦٢٥ هـ/١٢٢٧م)[٤] وكانت معاملة هذه الفئة بناء على صلاح أفرادها. أي أن المعاملة كانت من جنس العمل. فإن عدل القاضي واتقى الله في الناس كوفئ بحب الخلفاء وتقديرهم له وكثرت العطايا والهبات، وإن ظلموا وأفسدوا عزلوا وأبعدوا، فعتيق بن علي بن حسن الفصيح الصنهاجي الحميري(ت ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م) ولي قضاء الجزيرة الخضراء فلم تحمد سيرته وأكثر الناس من التشكي منه فعزل من منصبه[٥]،وقبله محمد بن عبد الله بن ميمون بن ادريس العبدري كان من المحبين والمقربين لعبد المؤمن إلا أنه عندما أساء أبعده عبد المؤمن من مجلسه ونبذه[٦].

١ــــابن صاحب الصلاة: المصدر السابق.ص.٤٥٧

٢-ابن عبد الملك: المصدر السابق. السفر ٦.ق.١.ص١٩٣

٣- نفسه: سفر٥.ق.١.ص:٩٥

٤- نفسه:ص ١١٦

٥- أحمد بن القاضي المكناسي: المصدر السابق،ص.٤٥٥

٦- ابن عبد الملك: نفسه،السفر٥. القسم الأول.ص٣٢٢

مكانة الفقهاء والعلماء في عهد الموحدين:

عرف من الخلفاء الموحدين حبهم لأهل العلم وإيثارهم لهم وتقريبهم منهم حتى أن القاضي عياض(ت ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م) قال في حب المنصور للعلم ورجاله الأبيات التالية:

فؤاد بضياء العلم المنـــــشرح   و وجهه بجمال النور موســـــوم
وكفه بطنها بالخير منهـــــــم   وظهرها لعهود الله ملثـــــــوم
العلم قيمته والحلم شيمتــــــه   طابت ارمته والنفس والخيـــم
لطالبي العلم ما شاؤوا بخدمته   غنى وعز وارشـــــــــــاد
سحب العلوم عليهم من سماحته   تهمي ففي بحرها هم شرع هيم[1]

وهذا الشعر يدل على حب المنصور للعلم وأهله وكرمه معهم.وكان عبد المؤمن بن علي جد المنصور قد اقتطع أرضا لأبي النجم هلال بن يونس أرضا ليعيش من حراثتها[2].وهو بهذا سيساعدهم على ضمان مدخول يقتاتون منه،ولا يتعرضون بذلك لذل السؤال .ولم يكتف الخلفاء بذلك إذ أجزلوا لهم الهبات والعطايا حتى أصبحوا من أغنى الناس فعلي بن محمد بن خليد اللخمي (ت ٥٦٧ هـ/١١٧١م)، الذي استقدمه الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى المغرب وشغله رتب عليا في الدولة نال دنيا عريضة بها[3].وأحمد بن ابراهيم بن عبد الملك مطرق التميمي من المرية،حدث له على أيدي الخلفاء من مكارم عظيمة(ت٦٢٧ هـ-١٢٢٩ م)[4] والأخوين ابن حوط عبدالله وداود اجتمع لهما من الخلفاء والولاة ما لم يجتمع لأحد قبلهما[5].وأعطى الناصر مبلغا قدره ألف دينار لعلي بن محمد بن علي بن خروف الخضرمي النحوي من اشبيليا مكافأة له لتقديمه له نسخة من كتاب "شرح كتاب سيبويه[6] ولم يكن الناصر كريما مع علماء وفقهاء الحواضر التابعة له فقط.فقد افتدى هذا الخليفة فقيها دمشقيا

١- المقري التلمساني:أزهار الرياض في إخبار عياض.ج٢.صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات اللبية .الرباط. ١٩٧٨.ط٢.ص.٣٦٢

٢- الغبريني:المصدر السابق.ص ١٦٩

٣- ابن عبد الملك:المصدر السابق. تحقيق إحسان عباس.سطر ٠٥.ق ٠١ ص ٣٠٤

٤- ابن الآبار:التكملة لكتاب الصلة.ج١.ص ١٦٨

٥- السيوطي: طبقات الحفاظ.ص ٤٩٢.

٦- عبد الله عنان: المرجع السابق.ص٦٨٤ .

عندما وقع أسيرا لدى النصارى، واسكنه مراكش واحسن إليه وأكرمه[١]،والفقيه علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله من قرطبة كانت له مكانة خاصة عند الخلفاء، نال بها دنيا عريضة [٢] وكان ابن رشد الفيلسوف من الذين تمكنوا من كسب ثقة الخليفة المنصور واحترامه له. وقد كان بارع في علوم عدة (ت ٥٩٥ هـ-١١٩٨ م[٣] ومع هذا فإنه امتحن بالنفي وإحراق كتبه آخر أيام المنصور الذي استدرك وعفا عنه[٤].وكان الخلفاء تعبيرا منهم على المكانة الخاصة التي احتلها الفقهاء والعلماء عندهم، كانوا يحضرون جنازتهم[٥]فأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي، كانت جنازته عظيمة الحفل كثيرة الجمع برز لها الرجال والنساء ورفعوا نعشه على الأيدي[٦]

وأهل العلم بالإضافة إلى امتهانهم أعمال تتعلق بأبحاثهم العلمية .احترفوا العديد من المهن الأخرى،وكان على رأسها التدريس[٧]،ومارس آخــرون أعمال حرة كالتجارة [٨] وصنـع الخبز[٩]....الخ.

إن المعاملة الحسنة التي عامل بها الخلفاء الموحدين العلماء والفقهاء لم يحظ بها كل الفقهاء من كل المذاهب، بل اقتصرت على الفقهاء السائرين على نهج الموحدين،والباحثين في عقيدتهم.وعومل غيرهم بقسوة حتى أنهم خرجوا من البلاد خوفا من بطش الخلفـــاء وظلمهم[١٠].

١- عبد الوهاب بن منصور:أعلام المغرب العربي. ج١.المطبعة الملكية.الرباط.١٩٧٩.ص٨٧

٢-ابن عبد الملك:نفسه.ص ٤٠٠

٣- نفسه:القسم الأول.السطر السادس.ص٣١

٤- بن مخلوف: المصدر السابق.مج:ص٢١٣

٥- عادل نويهض:المرجع السابق.٦٠

٦- ابن عبد الملك:نفسه.تحقيق بن شريفة.سفر١.ص:.٢٢٣

٧- ابن الزبير: صلة الصلة. ق٥.ص٢٥٦

٨- عبد الله عنان: المرجع السابق.ص٢٨٦

٩- نفسه: ص ٦٨٣

١٠- علي أحمد: الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق. ١٩٨٩ .ط١.ص٨٨.

إن طبقة الفقهاء والعلماء كان لها دوما مكانا مميزا في المجتمع عند العامة والطبقات الخاصة في المجتمعات.ولكن هذا إن كانت أفكارها لا تتعارض مع أفكار الخليفة والولاة فإن العلماء على عكس ذلك يتلقون أقسى أنواع القهر والتنكيل، وهذا في كل الدول وليس حكرا على دولة الموحدين،التي نال فيها أهل العلم ،والدين المكانة الرفيعة عندهم وخاصة من سار على درب المهدي بن تومرت،ومع هذا فإن دولة الموحدين لم تشهد طغاة الفقهاء واستبدادهم كما فعلوا في دولة المرابطين لأنها منذ البداية عملت على تفادي ذلك، و وضعت أهل العلم في مكانهم واستفادت منهم وأفادتهم.

طبقة المتصـــــــــوفة:

عرفت هذه الطبقة ازدهارا كبيرا في عهد الموحدين.فقد كانت فترة حكمهم بمثابة الاعتراف الرسمي بهذه الطبقة ورجالها[١]وهذا يعود إلى الدور الكبير الذي لعبه المتصوفة في الحياة الاجتماعية في أغلب الحواضر المغربية والأندلسية،ويذكر صاحب المعجب أن المتبتلون والصلحاء انتشروا في كافة أنحاء المغرب في عهد الموحدين[٢].وكانت تربطهم بالخلفاء والولاة علاقة طيبة[٣].وهذا يعود إلى التكوين الديني الجيد للخلفاء الموحدين وارتباطهم الوثيق بالدين.وتمكن المتصوفة من كسب الطبقات الدنيا إلى جانبها والتعاطف مع ما يقومون به. خاصة وأن المتصوفة عملوا جهدهم لمحاربة الظلم والطغيان والحث على الجهاد ومحاربة المسيحيين في الأندلس .وتضامنهم الدائم مع العامة[٤] والعمل على تغيير أحوالهم فقد كان بينهم من كان يحسن لليتامى[٥].وآخرون قاموا بتجهيز العرائس غير القادرين على تجهيز أنفسهم[٦]وتزويد الفقراء من الناس بالطعام والثياب[٧]ومما زاد في التفاف الناس حولهم حيازتهم على العديد من الكرامات التي من الله عليهم بها، ومنها أنهم كانوا مستجابي الدعوة[٨]،ولهم القدرة على مداواة شتى الأمراض المستعصية[٩]

١- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين ٦ و٧هـ، شركة الهدى للطباعة والنشر.عين مليلة.الجزائر ٢٠٠٤. ص ص ٢٧٦-٢٧٨ .

٢- المراكشي: المصدر السابق. ص ٢٧٢

٣-نفسه: ص ٢٧٢

٤- إبراهيم القادري بوتشيش:واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات أواخر ق٦ هـ وبداية ٧ هـ. ص ،٦٣.

٥- الهواري: مناقب أبو العباس السبتي.ورقة.

٦- الصدفي: السر المصون في ما أكرم به المخلصون تحقيق حلمة فرحات.دار الغرب الإسلامي بيروت. لبنان.١٩٩٨.ط١.ص٥٩

٧- أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،ضبطه وعلق عليه أبو يحي عبد الله الكندري.دار ابن حزم بيروت ٢٠٠٢ .ط١ ص٣٢

٨- القزويني :المصدر السابق.ص.١٠٧

٩- محمد بن محمد علي الصباغ القلعي: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار.مخطوط رقم ١٧٠٧ ورقة ٤٩٩.ب

ومن أهم رجال التصوف في عهد الموحدين الولي الصالح أبي مدين شعيب الذي كان فقيها عالما كثير الاعتكاف والعزلة،وقد تخرج على يديه الكثير من الفقهاء[1]

وقد توفي هذا الولي سنة (٥٩٥ هـ/١١٩٨م) ودفن بالعباد العلوي بتلمسان وأصبح قبره مزارا للتبرك[2]ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا،وكذلك أبو العباس السبتي الذي توفي سنة(٦٠١ هـ/١٢٠٤ م) والذي كان مستغاثا به في الأزمات،وقد كان بارا باليتامى والمساكين،وكان يجمع الصدقات ويفرقها على المحتاجين[3] ودرس الطلبة علوم عدة[4] ،واشتهر منهم محي الدين بن عربي الطائي الاشبيلي المرسي الأصل وكان أديبا بارعا ذا حظ من قرض الشعر كتب بالأندلس عن بعض الأمراء، ثم تخلى عن ذلك زهدا فيه،ومال إلى التصوف وصاحب رجاله،[5]خرج إلى بلاد المشرق،وبها مات سنة(٦٣٨ هـ/١٢٤١م) بعد أن أصبح له جماعة وأتباع وكان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات.[6]

لقد لعبت هذه الشريحة دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية بالمنطقة،فقد كانت الأعمال التي قام بها المتصوفة سببا في التفاف شرائح المجتمع حولهم،وتأييدهم لهم وإيمانهم المطلق بكراماتهم وما منحهم الله من ميزات خاصة دونا عن باقي خلقه.وعقلية الإيمان بالغيبيات وزيارة الأولياء الصالحين لم تكن سائدة عند المغاربة في فترة العصور الوسطى فقط. حيث بقيت معهم حتى أيامنا هذه ،على الرغم من تطور العلم و وسائله ،إلا أننا نجد مقابر الأولياء الصالحين لا زالت تقصد في أيامنا هذه ولنفس الغرض من التبرك والدعوة. حتى أن بعض الناس يحلف باسم الأولياء الصالحين ومنهم أبو مدين شعيب.

طبقة العامـــــــة:

مثلت هذه الشريحة أكبر شرائح المجتمع، وقد تسموا بالعامة لكثرة أعدادهم.وقد كانوا مختلفين عن الخاصة في أغلب الأمور،وأخبار هذه الشريحة شحيحة في المصادر التاريخية

١- السلاوي:المصدر السابق. ج٣.ص١٧٦

٢-محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر:عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،مخطوط رقم ١٦٣٢ .ورقة ٤٦

٣- السلاوي:المصدر السابق.ص٢٥٣

٤-عبد الله بن عبد القادر التليدي:المطرب بمشاهير أولياء المغرب،دار الأمان.الرباط ٢٠٠٠ .ط٣.ص ٨٢

٥- ابن عبد الملك:المصدر السابق.السطر السادس. تحقيق إحسان عباس.ص ٤٩٥

٦- المقري: نفخ الطيب.ج٢.ص١٦٤ .

وحتى إن وردت إشارات خاصة بهم فإنها غالبا ما تذمهم وتنعتهم بأرذل الأسماء والصفات،كالأوباش والرعاع والسفهاء وحتى الأنذال،[1] وهذا يعني أن هذه الفئة عاشت في ظروف قاسية وصعبة ويذكر في الروض الهتون أن عوام مكناسة رفعوا شكواهم إلى الناصر، ضد الوالي أبى الربيع بن أبي عمران الذي أساء معاملتهم كثيرا[2] ،وكانت السلطات تفرض عليهم الضرائب الباهضة، التي لم يكن بمقدورهم دفعها،وكثر هذا في أواخر الدولة الموحدية ،وبداية الاضطرابات بها، فعندما قامت الدولة وبدأت تنتظم أمورها سن الخلفاء قوانين وأنظمة عادلة تضمن لها الرقي والازدهار ،وتمكن العامة بذلك من العيش في كنف سلطة عادلة[3] فقد ألغى الخلفاء الموحدون كابوسا كان كاتما على أنفاس العامة، والمتمثل في ضريبة القبالة التي يفرضها المرابطون في أيامهم والتي أثقلت كاهل الرعية[4]

لم تكن الضرائب وحدها من أضر بهذه الشريحة، ففترات الانتقال من دولة آفلة إلى دولة قائمة كانت وبالا عليها إذ انه لا يتم أي انتقال،وقيام أي دولة إلا بحصاد أعداد كبيرة من هؤلاء الذين كانوا يقتلون عند حصار المدن ومحاولة. اخضاعهم للنظام الجديد، فالموحدون أنفسهم قتلوا أعدادا كبيرة من الناس عند افتتاحهم للمدن، فيذكر أن مدينة مكناسة بعد حصارها من الموحدين بدت خالية وظلت خالية إلا من فل من الموت قتلاً وجوعا"[5] ونفس الأمر حدث في الفترة الانتقالية من الموحدين إلى المرينيين فقد كان للمرينيين غارات عدة على الموحدين ذهب ضحيتها الأهالي[6] وكانت فترات الاضطراب التي مرت بها دولة الموحدين أشد وقعا على هذه الشريحة من المجتمع بالمقارنة مع أثرها على باقي الشرائح

١- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس. ص١٦٩

٢- ابن غازي: المصدر السابق. ص١٢

٣- إبراهيم القادري بوتشيش: إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناسة خلال العصر الوسيط تقديم محمد المنوني.منشورات جامعة مولاي إسماعيل المغرب ١٩٩٧-ص٤٠

٤- القبالة: هي في الأصل الضريبة التي تدفع لبيت المال واستعمل هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع،ودلت في المغرب والأندلس على الضرائب التي يدفعها أهل الحرف وبائعوا السلع الرئيسية ،أنظر الونشريسي :المصدر السابق،ج٥،ص٢٠٢.

٥- الحميري،المصدر السابق.

٦-ابن غازي،نفسه،ص٢٧

٧- الوزير السراج:المصدر السابق.ص١٣١

فالخلافات تبدأ داخل القصور،وتنتقل إلى القاعدة الشعبية، وعندما تنقسم هذه الشريحة مرغمة لينضم كل قسم منها إلى طرف من أطراف النزاع[١] وفي هذه الظروف الصعبة التي تسودها الفوضى وعدم الاستقرار، فإن من يضحي بهم هم عامة الشعب.[٢]

وكان استقرار العرب الهلالية نذير شؤم على بعض المدن المغربية إذ أن سلطة الموحدين لم تتمكن من ضبطهم وردع أعمالهم الفوضوية،وأعمال الشغب التي كانوا مداومين على القيام بها خاصة في فترة انحصار سلطتهم وتراجعها، حيث أنهم راحوا يغيرون على المدن والبوادي ويأتون على اليابس قبل الأخضر[٣] وهذا ما زاد من صعوبة العيش وتعسره في أوساط الأهالي.

أما بالأندلس فبحكم موقعها الجغرافي الذي جعلها مجاورة لدار الحرب- أي للنصارى- فان أهلها بكل طبقاتهم عانوا من غاراتهم المتكررة عليهم وعلى مدنهم، والتي تسببت في خراب ودمار كبيرين[٤] ،وكانت هذه الغارات أشد وطأة على الطبقات الدنيا من المجتمع،عكس طبقات المرفهين التي امتلكت دائما ما تواجه به فترات الأزمات والاضطرابات السياسية وحتى الطبيعية، من جفاف ومجاعة وغيرها،وكانت الكوارث الطبيعية من زلازل ومجاعات ذات أثر سلبي كبير على الحياة الاجتماعية بالمغرب والأندلس، إذ أثرت على كل شرائح المجتمع الغني منهم والفقير العالم منهم والجاهل .الصغير قبل الكبير .غير أن أثرها كانت شديدة وقاسية على الفقراء والطبقات الدنيا في المجتمع.

في تلك الفترة ضربت المغرب والأندلس مجاعات كثيرة أهلكت أعدادا كبيرة من الناس، ومنها المجاعة التي ضربت مدينة مكناسة ،والتي تزامنت مع دخول الموحدين وكانت هذه المجاعة شديدة إلى درجة أن الناس اضطروا إلى أكل الخسيس من الحيوان ،وحتى هذا نفذ من عندهم فمات الكثير من فرط الجوع[٥].

١- الذهبي: المصدر السابق،ص٣١٤

٢- ابن عذارى: البيان الموحدي،ص٣٢٦

٣-نفسه.ص ٣٢٦

٤- المراكشي: المصدر السابق،ص٢٨١

٥- ابن غازي: المصدر السابق، ص٠٩

وحدثت مجاعة أخرى سنة (٦١٦هـ-١٢١٨م)، تعسرت جراءها الأوضاع،واشتد بلاؤها على الجميع فغلت الأسعار كثيرا وازدادت الأمور سوءا،فبعد سنة واحدة من بدايتها بالمغرب ، شملت المجاعة بلاد الأندلس أيضا وتناهى بهما غلاء السلع وقلتها إن لم نقل ندرتهما[١] ،كما حدثت مجاعة أخرى سنة(٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م) وفيها بلغ ثمن فقير القمح خمسة عشرة دينار،[٢] ويذكر ابن عذارى أنه "كانت في أيام الرشيد مجاعة عظيمة لم يبق شيئا إذ لم يبق سيد ولا لبد ولا طارف ولا تالد ولا ذخيرة ولا مال ولا عقار واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا محنا يستعاذ بالله منها"[٣]وغلت الأسعار فيها كثيرا لانعدام موارد العيش ،كما اضطر العامة إلى أكل خبز بيع في الأسواق صنع من تابودا التي تنبت في الصهاريج، وفي الأنهار والسواقي وأكلوا أيضا عصائد من نوار الخروب[٤] ،وحتى أصول النباتات في الأيام العصيبة[٥]

وكانت كل مجاعة تحدث إلا وتحصد عددا كبيرا من الناس وخاصة العامة لأن هذه الشريحة في الظروف العادية وأيام الشرف والازدهار كانت تتدبر أمورها بصعوبة شديدة .فكيف تتمكن في أيام الأزمات التي تهز حتى الفئات البرجوازية بالمجتمع.

والمجاعات التي كانت تضرب المغرب والأندلس في عهد الموحدين لم يكن سببها الطبيعة دائما فالفترة التي انتشرت فيها تلك المجاعات هي فترة حكم الخلفاء المتأخرين المستضعفين اللذين كانوا منشغلين في تصفية حسابات خاصة بالسلطة وإخماد فتنها متناسين بذلك أمور الرعية ومشاكلهم[٦]

وفي سنة (٦٥١ هـ/١٢٥٣ م)ضرب البلاد زلزال عنيف، وكان من نتائجه ذهاب أعداد كبيرة من الناس ضحايا وغالبيتهم من العامة[٧]

١- ابن عذارى:البيان المغرب. قسم الموحدين. ص ص ٢٦٦-٢٦٧

٢- ابراهيم القادري بوتشيش:إسهامات في التاريخ الاقتصادي ص ١٢٠

٣- ابن عذارى:المصدر السابق.ص٣٢٥

٤- نفسه:ص٣٥١

٥- ابن الزيات:التشوق إلى رجال التصوف ص ٢٥٢

٦- ابن عذارى :نفسه ص ٣٥١

٧- نفسه: ص ٤٠٢

إن هذه الشريحة من المجتمع لم تكن لتعرف حياة البذخ والترف، إلا أن أيام ازدهار الموحدين وتطورهم عادت عليهم بالخير، فقد انحصرت مشاكلهم، وكان وقع الأزمات أقل وطأة عليهم.

إن عجز هذه الفئة من الناس عن تجاوز مشاكلها كان سببا لتبنيهم الفكر الغيبي والمعتقدات الشعبية وذلك محاولة منهم نسيان واقعهم المزري والمر،وبسبب انعدام الوعي انتشرت في هذه الأوساط ممارسات بعيدة عن الشرع ضوالدين كالسحر والشعوذة وساد الاعتقـــــــاد بالجن[١]والتبرك بالصلحاء واعتبار مكان دفنهم مزارا للتبرك بهم والدعاء بعد موت الولي الصالح[٢] وانتشرت أيضا ظاهرة التنبؤ بالغيب وأمور أخرى عديدة كانوا يتخذون منها الملجأ والمفر لنسيان الحياة التعيسة التي يعيشونها[٣] .

وكان أكثر المهتمين بهذه الشريحة وتقديم المساعدة لأفرادها الأولياء الصالحين والمتصوفة، فكان أبو مدين شعيب مثلا كان عند إعطائه الدروس للأطفال يتقاضى أجرا من أبناء الأغنياء ليقدمه لتلامذته من الفقراء ،ولم يقتصر إحسانه على هذا بل تعداه إلى قيامه بخياطته لثيابهم لهم وغيرها من الأعمال[٤] وباع متصوف آخر أرضه وتصدق بثمنها على المعوزين من الناس[٥] ، وآخر كان يتصدق عليهم ما يقع بين يديه[٦] ،وهناك أمثلة أخرى كثيرة توضح العلاقة المتينة التي ربطت بين هاتين الشريحتين.

وامتهن أفراد هذه الفئة من المجتمع العديد من المهن واحترفوا الكثير من الحرف، فكان فيهم العديد من التجار الصغار، والبناؤون، والفلاحون، والصيادون ،والرعاة ،والباعة المتجولون، والدلالون،ومارس بعضهم العديد من المهن الوضيعة[٧] .

١- المحمودي أحمد: المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في العصر الوسيط من مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور،منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية .جامعة منتوري قسنطينة أفريل ٢٠٠١ ص ١١٩

٢- محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية ،تحقيق أحمد بن جدو .كلية الآداب مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ص ٠٩

٣- المحمودي أحمد: نفسه.ص ١١٩

٤- ابن قنفذ القسنطيني:أنس الفقير وعز الحقير.ص ٣٠

٥- ابن الزيات: المصدر السابق.ص ٢٨٢

٦- ابن مريم: المصدر السابق.ص ٧٠

٧- إبراهيم القادري بوتشيش:مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس ص ١٧٠.

وظهر بينهم المتسولون الذين كانوا يجتمعون بالمساجد يستجدون عطف وكرم الناس[١] ،ومنهم من كان يقصد المنازل لنفس الغرض، وللفوز بفرصة أكبر في جني صدقة أكبر،وآخرون كانوا يتحينون فرص لقاء المتصوفة لطلب المعونة منهم، وذلك لعلمهم أن المتصوفة لا يردون السائلين أبدا[٢] ،وهناك من المتسولين من اتخذ من هذه الطريقة في العيش السهل حرفة لهم ،و وضعوا لها قواعد وأسس خاصة، وهذا ما جعل الناس يحتاطون منهم ولا يصدقون ادعاءهم الفقر دائما[٣].

ونستنتج مما سبق ذكره أن هذه الشريحة كانت ولا تزال على مر العصور دائما كبش فداء. والمتأثر الأكبر بالتغييرات التي تطرأ على المجتمع سواء كانت سياسية أو اقتصادية وفي أي دولة كانت وفي فترات الرخاء كما في فترات الأزمات والاضطراب.

١- محمد قجة: الشيخ محي الدين بن عربي وأثره الحضاري في حوض المتوسط، مجلة ثقافتنا مج ١. ع٢ ٢٠٠٤ ص ١٢٩

٢- الهواري: المخطوط السابق. ورقة ٣١ ب

٣- إبراهيم التادري بوتشيش : ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،مجلة التغيرات الاجتماعية نفس العدد ص ١٠٢

طبقة أصحاب المهن:

إن أصحاب المهن اغلبهم ينتمون إلى الطبقة العامة.التي تعاني كثيرا من اجل الحصول على لقمة العيش إن كانت فقيرة،أو على تحسين المستوى المعيشي لها،ومع ذلك وجدت فئة منهم عرفت حياة البذخ وتمكنت من العيش وسط الأغنياء.

التجار:

يأتي على رأس المهن التي مارسها العامة،وقد كان فيها تجار التجزئة والجملة الذين يبيعون بضائعهم في متاجرهم أو عن طريق التجول[١].والتجار صنفين تجار القوافل وتجار الجملة،الصنف الأول عرفوا بتجار الصحراء وهم من تاجر بالذهب والجلد والعاج وحتى الملح والنحاس المسبوك والأصداف وآلات الحديد[٢]،وقد شكل التجار حلقة مهمة جدا لا بد منها في المجتمع، إذ شكلوا همزة الوصل بين الإنتاج والاستهلاك، فعن طريقهم يتم البيع والشراء ويجد الناس عندهم حاجتهم التي يبحثون عنها[٣]،وغالبا ما كان التجار من المياسير فقد كان سكان سبتة من الأغنياء[٤]وألمرية كانت قبلة للمشتغلين بالتجارة[٥].أما تجار قرطبة فيذكر أنه لم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالا ولا اتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات[٦]وكثيرا ما قصد تجار المغرب والأندلس غانة وخاصة المياسير منهم[٧]

وقد عمل التجار على توزيع الكثير من السلع، فباعوا الجلود والسيوف والحديد والتوابل،وجلبوا المسك والصبار والكافور، وكان بائعوا الحلي من المسلمين واليهود الذين كانوا كثـرا في فاس وسجلماسة،وكان وجودهم كبيرا في الـــمراكز الرئيسية للتبادلات[١]

١- جمال أحمد طه:مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.الإسكندرية.مصر.٢٠٠٢.ط١.ص١٦٣.

٢- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس.ص١٦٠

٣- حسن علي حسن:المرجع السابق.ص٢٤٦

٤- ابن سعيد المغربي:كتاب الجغرافيا: الجزائر.١٩٨٢.ط٢ .ص١٣٩

٥-الادريسي:القارة الإفريقية.ص١٩٨

٦- نفسه: ص٢١١

٧- محمد عبد المنعم الحميري: المصدر السابق ،ص ٤٢٤.

وعرف عن اليهود اختصاصهم في أعمال الصيرفة[٢]،وبالإضافة إلى التجار الكبار الذين كانوا متحكمين في السلع الأساسية المتداولة،و وجدت مجموعة من التجار الصغار الذين اجتهدوا في اصطناع مكانة لهم في الوسط الاقتصادي ومنهم باعة الطعام وباعة الدقيق[٣].

ونظرا لما عرف عن مهنة التجارة من إمكانية تحقيق الحياة الكريمة،فإنه لم يقتصر العمل بها على شريحة معينة من المجتمع ،فقد عمل فيها حتى الفقهاء والعلماء[٤] ،خاصة وأن هذه الشريحة نالت اهتمام ورعاية الخلفاء والولاة،فالسيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي وإلي سجلماسة ،راسل ملك السودان بغانة معبرا له عن استيائه مما فعله من إعاقة للتجارة[٥]ومع هذا تعرضت هذه الشريحة للكثير من المضايقات والنكبات التي ذهبت بأموالهم ،وكدست تجارتهم،ومن بين هذه النكبات أن س سوق مراكـــش سنة(٦٠٧ هـ/١٢١٠م) شب فيه حريق ،أتى على كل ما فيه، وكان هذا سببا في افتقار العديد من التجار لاحتراق متاجرهم بسلعها التي كانت فيها[٦] وكانت الحروب سببا مباشرا في تراجع حال التجارة ورجالها ، ففي سنة(٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م) تعرضت مدينة فاس لغزوات المرينيين،التي كانت سببا في خراب المدينة وتعطل أحوالها في كل الميادين[٧] ولأن هذه النكبات كانت تحصد الأخضر واليابس فقد تفطن التجار إلى عمل يخفف من حدة النكبات التي تعرضوا لها، حيث فرض على تاجر دفع دراهم على السلع المباعة لديه،وتجمع هذه النقود في صندوق جماعي عند التجار الثقاة،ولا تستخدم هذه الدراهم إلا في حال الأزمة، [٨]وكان للتجار دور في تغيير الحياة السيـــــــاسية في دولة الموحدين فأبـــــــــي الاصباح السبتـــــــي الأنسابي الذي كان له دور في إعادة سلـــــطة الخليفة الرشـــــيد بمدينة

١-جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص ١٠٨ .

٢- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق.ص ١١٥.

٣-التادلي:المصدر السابق.ص ص ٢٤٤-٢٣٧ .

٤- عبد الله عنان:المرجع السابق.ص٦٦٣ .

٥- محمد ماهر حمادة:المرجع السابق.ص:.١٠٣

٦- ابن عذارى: البيان المغرب.قسم الموحدين ص.٢٥٨ .

٧- ابن أبي زرع: المصدر السابق. ص١٣٥.

٨- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص١١٣ .

سبتة سنة ١٢٣٢م[١] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على المكانة المهمة التي احتلها التجار في عهد الموحدين والتي أكسبتهم إياها الثروات الطائلة التي امتلكوها.أي أن سلطة المال كانت بيدهم ومكنتهم من صنع المكانة التي كانوا عليها.

الصناع:

اشتهر أهل المغرب والأندلس بمهارتهم في الكثير من الصناعات اليدوية[٢]ومن هذه الصناعات صناعة حياكة الملابس القطنية والصوفية وحتى الكتانية[٣]التي برع فيها الكثير من أهل المغرب والأندلس.فقد اشتغل أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي المتوفي سنة (٥٩٢ هـ-١١٩٥ م) في حياكة الجبب[٤] ،وغالبا ما كان صناع الثياب هم من يتولى بيع منتوجهم[٥]وهذه الحرفة لم تكن ذات شأن كبير،إذ لم تعد بالفوائد الكثيرة على ممتهنيها[٦]

ومن الصناع من اختص في صناعة المنتوجات الخشبية: فوجدا. النجار والنشار الذين كانوا يصنعون الأبواب والشبابيك والصناديق[٧]و وجد الحدادون الذين تميزوا بحذقهم ومهارتهم، وما يدل على ذلك أن المنصور طلب منه نقش عبارات على سيفه فيها اسمه[٨] و وجد الخبازون والدقاقون الذين يقومون بطحن الدقيق[٩].ثم يقوم الخباز بإعداده والإشراف على طهوه في الأفران المختلفة ،وانضاف إليهم حاملوا الخبز فقد كان بعض النسوة يخبزن الخبز بالبيت ليمر عليهم من يحمله إلى الفرن في وقت محدد من كل يوم[١٠]وصانعوا

١- جمال أحمد طه،الحياة الاجتماعية، ص:.١١٥

٢- ابراهيم القادري بوتشيش:مباحث في التاريخ الاجتماعي .ص١٧٠.

٣-ابن سعيد المغربي:كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠ .

٤- التادلي:المصدر السابق.ص ٣١٦ .

٥- نفسه: ص ٣١٧ .

٦- ابن قنفذ: انس الفقير وعز الفقير ،ص : ١٠١ .

٧- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص ١٢ .

٨- ابن عذارى: البيان المغرب.قسم الموحدين.ص ١٠٠ .

٩- ابن أبي زرع:الأنيس المطرب ص ٤٨ .

١٠- التادلي: نفسه. ص ٤٢٧ .

القدور[١] والأطباق وأدوات الطبخ المختلفة[٢] و وجد الصباغون[٣]والصاغة[٤] والحلاجون[٥] وقد تنوعت الصناعات بقدر تنوع احتياجات الناس، ولكثرة احتياجاتهم فقد كثرت الحرف والصناعات.

الفلاحون:

تعد هذه الشريحة من أهم الشرائح في المجتمع فهم من يزود الناس بما يحتاجون إليه من مواد غذائية ولهذا فقد كان عدد العاملين بها كثيرا[٦] وتنقسم هذه الشريحة الى أقسام هي: ملاكي الأراضي وكانت ملكية الأرض في تلك الفترة منقسمة بين أفراد القرية التي أطلق عليها ملكية فردية أو ملكية جماعية بين سكان القرية الواحدة، وكانت الأراضي الخاضعة لكلا السلطتين لا يحق للأمراء اقطاعها لأنها وقف على أهل القرية[٧] و وجد في تلك الفترة مزارعون كثيرون من أصحابها للاستفادة منها لمدة معينة[٨]،وكذلك وجد الخماسون الذين يقومون بالأعمال الزراعية وخدمة الحيوانات مقابل مشاركة الأرض بنسبة الخمس في إنتاج الأرض[٩]وعرف المزاعون الموسميون الذين يعملون في أيام الحرث والقطف والحصاد وحفظ البساتين وتأدية أنواع الخدمة[١٠]

وغالبا ما كان المزارعون اكثر المتضررين من فترات الفتن والحروب[١١] وحتى فترات

١- التادلي:التشوف ،ص: ٤٣١

٢- نفسه: ص :٤٦٨

٣- جمال أحمد طه: نفسه ص ١٢٥

٤- نفسه: ص ١٢٥

٥- التادلي: نفسه ص ٣٣١

٦-ابن غازي: المصدر السابق.

٧- جما ل أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص١١٦

٨- الونشريسي: المصدر السابق.ج٨. ص ص ١٥٢-١٥٦

٩- جمال أحمد طه: نفسه.ص١١٦

١٠- التادلي: نفسه: ص١٠٣

١١- ابن غازي: المصدر السابق ص ١٧

الجفاف[١] ،وحفاظا على المياه كان المزارعون يستغلون المياه استغلالا جماعيا، بحيث يمكن للكل آن يستفيد منه، وكان المزارعون يعيرون دوابهم لبعضهم البعض في أيام الحراثة[٢].
ولقد تأرجحت حال المزارعين بين حياة الراحة والدعة وحياة الشقاء والضنك، وهذا للأسباب التي ذكرناها سابقا. ولذلك فانه لم يكن بوسعهم إلا التضامن مع بعضهم البعض ،وتقاسم المآسي والمحن،وذلك من أجل تخفيف حدتها ووقعها على المزارع الواحد.

مهن مختلفة:

وعلى رأسها شريحة البنائين،الذين كانت صناعتهم رائجة في تلك الفترة خاصة لما عرف عن الموحدين من حبهم للبناء والتشييد ،ويشهد على ذلك الإنجازات الضخمة التي خلفوها[٣]وانشغل الكثير من الناس بحرفة الفخار، فقد كان والد عبد المؤمن بن علي فخارا يقوم بصناعة الأدوات الفخارية[٤]، و وجد السقاء والحمال والخراز والسكاك والدلال الذي يعمل وسيطا بين البائع والمشتري يستفيد من نسبة معينة من الربح جراء ذلك،والبوابون الذين يشرفون على أبواب المدن والقرى ويحرصونها[٥]

أما المناطق الساحلية فقد اشتغل الكثير من اصلها بحرفة الصيد. فقد كانوا يصطادونها ثم يبيعونها في الأسواق بأثمان مختلفة حسب الكم والنوع (٦)
فسكان السواحل عملوا بصيد الأسماك بشتى أنواعها، ولم يقتصر الصيادون على صيد الأسماك فقط، بل منهم من كان يصطاد المرجان، اي يصنع منه أجمل الحلى والعقود، وتحمل هذه الحلى الى مناطق كثيرة لتباع بها(٧).

١- التادلي: نفسه.ص١٣٨

٢-الونشريسي:نفسه ج٩.ص١٠٦

٣-المراكشي: المصدر السابق.صص٢٨٢

٤- ابن القاضي: جذوة الاقتباس.ج٢ ص ٤٤٦

٥- حسن علي حسن: المرجع السابق.ص٣٣٢

٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب.ص٣٥.

٧- جمال أحمد طه: الحياة الإجتماعية. ص ١٣٠

الـــمــــــرأة:

لم تحض المرأة في عهد الموحدين بالحرية و السلطة اللذان تمتعت بهما نظيرتها المرابطة، فابن تومرت صاحب دعوة الموحدين و صف النساء المرابطات بالسافرات وأنهن بعيدات عن الدين الإسلامي [١] . و كان أول ما حاربه هو ظاهرة الاختلاط التي كانت متفشية و شائعة في عهد المرابطين ، فعند دخوله لبجاية صادف أن كان يوم عيد الفطر ووجد النساء و الرجال يحتفلون به مختلطون فغاضه ذلك ، و دفعه إلى ضربهم بالعصا وهذا كان سبب إخراجه من المدينة [٢] .

و كانت المرأة في عهد المرابطين على درجة كبيرة من الرفعة حتى أن الكثير من الشخصيات تسموا باسم أمهاتهم . و لم يكن في ذلك أي حرج. و حتى ابن تومرت نفسه تسمى باسم إمرأة و كانت جدته البربرية تومرت [٣] . ضف إلى ذلك فإن المرأة المرابطية كان لها كلمتها المسموعة في بلاط الخلفاء و من بينهن قمر زوج علي بن يوسف ، و قبلها السيدة زينب النفزاوية زوج يوسف بن تاشفين[٤] ، و ابنة ينتنان بن عمر التي بفضلها عفى عبد المؤمن بن علي عن كل النساء اللاتي وقعن في الأسر عند الموحدين من المرابطات[٥].

عند قيام دولة الموحدين تغيرت العديد من المفاهيم ، فهذه الدولة الجديدة نادت بمحاربة كل ما هو دخيل على الإسلام . و كان سفور المرأة و حريتها الزائدة من أهم ما حاربه خلفاء هذه الدولة ، و خاصة الأوائل منهم ، و خاصة لاعتبارهم أن التطور الذي عرفته المرأة و الحرية التي عاشت بها هما سبب سقوط دولة المرابطين [6] ، و لـــهـــذا فقــد

١- محمد القبلي : مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط ، دار طوبقال للنشر ، الدار البضاء المغرب، ١٩٨٧ م ، ط ١ ، ص ٧٤ .

٢- البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، ، ص ٣١ .

٣- حسين مؤنس : تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلـــى الغزو الفرنسي ، مج ٢ ، ص ٦٧ .

٤- عبد الله علي علام : الدولة الموحدية في المغرب ، ص ٢٤٣ .

٥- البيدق : نفس المصدر السابق ، ص ٧٤ .

6- محمد الأمين بلغيث : الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين و الموحدين ، رسالة ماجستير تحت إشراف عبد الحميد حاجيات ، جامعة الجزائر ، ١٩٨٦ – ١٩٨٧ ، ص ٢٦١

منحت المرأة في عهدهم حرية محدودة . و في عهدهم لم تعرف المرأة أي نشاط سياسي إلا مع الخلفاء الأواخر عند اضطراب أمور الدولة . فزوجة المأمون مثلا كان لها دور كبير في تولية ابنها الرشيد على عرش الموحدين [1] ، ويعد اهم ماقام به الموحدون لصالح المرأة هو فرض عبد المؤمن لإلزامية التعليم على الرجال و النساء [2] ،وكان في هذا أحد العوامل التي ساعدت في تثقيف المرأة و بروزها في مجالات علمية عديدة.فكان منها الشاعرة و الأدبية و الطبيبة و المؤدبة و حتى المتصوفة،ومن المتصوفات نذكر فاطمة بنت المثنى الأشبيلية التي كان من أبرز تلامذتها أبو بكر بن عربي [3] ، و إلزامية التعليم كانت من أجل ترسيخ عقيدة المهدي بن تومرت،و لعلم عبد المؤمن أن المرأة هي الأساس لصلاح المجتمع و تثبت المبادئ فيه . فقد شملها هذا القرار الذي منح فرصة لكافة النساء باختلاف طبقاتهن للتعليم والقراءة و الكتابة [4] ، و في طليعة النساء المتعلمات زينب أخت يوسف بن عبد المؤمن التي كانت عالم أخذت علم الكلام عن أبي عبد الله بن إبراهيم ، و كانت زوجة لابن عمها السيد أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن [٥] ، و قد كانت نساء الخلفاء يمثلن القدوة لبنات نساء الموحدين في الأدب والعلم،وقد برزت العديد من الأسماء خارج قصور الخلفاء منهن : أم العلاء سيدة بنت عبد الغني العبدرية الغرناطية ، و التي كانت من حفظة القرآن الكريم ، و كانت من استنسخوا كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ونظرا و لما تمتعت به من أدب و علم فقد عملت مؤدبة في قصور الملوك وتوفيت سنة(٦٤٧ه/١٢٤٩)[٦] . والسيدة محلة المراكشية التي كانت من حفاظ المدونة ، و بــرزت في مجال الفقه [١] و خيرونة الفاسية التي كانت

١- إبــراهيم القــادري بوتشيش : تــاريخ المغــرب الإســلامي ، قراءات عديــدة فــي بعض قضايا المجتمع ، ص ١٠٠.

٢- عبد الله علي علام : الدولة الموحدية في المغرب ، ص ٢٤٤ .

٣- يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت١٣٥٠ ه) : جامع كرمات الأولياء ، ج ٢ ، تحقيق و مراجعة عطوه عوض ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ ، ص ٤٣٥ .

٤- مليكة حميدي : المرأة المغربية في عهد المرابطين (٤٤٨ – ٥٤١ هـ) (١٠٥٦ – ١١٤٦ م) ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢ ، ص ١٩٥ .

٥- عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج ١ ، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦١ ، ط ٢ ، ص ٥٤٣ .

٦- عبد الله علي علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد الموحدين ، ص ٢٤٣ .

تحضر مجلس عثمان السلالجي . و زينب بنت إبراهيم بن يوسف بن برقول التي كانت حافظة متفننة للرواية [٢] . و فاطمة بنت عبد الرحمن بن محمد القرطبي التي كانت تقرأ على ابنها في المنزل ، إذ أن الكثير من النساء في تلك الفترة كن يتلقين العلم في بيوتهن [٣]، ومنهن أيضا مسعدة بنت أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري التي كانت من ذوات الدين (ت٥٩٠ هـ / ١١٩٣م) ، و فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالي الأنصاري الشراط (ت ٦١٣ هـ / ١١١٦م) [٤] ، و أم المجد مريم بنت الشيخ أبي الحسن الغافقي الذي فتح مدرسة للغرباء بسبتة [٥] .

هذا في مجال الدين و يوجد غير المذكورين الكثير .

أما في مجال الأدب و الشعر فقد كانت أشهر العالمات النساء حفصة الركونية التي كانت أشعر نساء عصرها و هي القائلة :

أمنن علي بصك يكون للدهر عدة تخط يمناك فيه الحمد لله و حده [٦]

و كلامها في هذا البيت الشعري و جهته للخليفة عبد المؤمن بن علي ، و كانت هذه الشاعرة أستاذة عصرها ، عملت بتعليم النساء [٧] ، قبل أن تتوجه إلى تعليم نساء الخلفاء و الأمراء في عهدي يوسف و ابنه المنصور [٨] ، و كان أغلب شعرها في الغزل ، و قد خرجت في ذلك عن تقاليد المرأة المغربية و العربية عامة . إلا أن هذا لم يؤثر على مكانتها الخاصة عند الخلفاء و غيرهم ، لأنها كانت على درجة عالية من الفصاحة و كان ابنها على نفس الدرجة

١- محمد المنتصر الرسيوني : الشعر النسوي في الأندلس ، تقديم عبد الله كنون ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ .١٥٧.

٢- عبد الله كنون : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

٣- جمال طه : مدينة فاس ، ص ١٧٢ .

٤- محمد الرشيد ملين : نفس المرجع السابق ، ص١٤٣

٥- عبد الله علي علام : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

٦- ابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق إبراهيم الأباري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ط ٣ ، ص ٢١٩ .

٧- خليل البدوي : موسوعة شهيرات النساء ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، ١٩٩٨ ، ط ١ ، ص ٩٩ .

٨- ابن الزبير : صلة الصلة ، ق ٥ ، ص ٣١٣ .

من الرفعة و الجودة [١] و تمثل حفصة الركونية (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) إحدى الشاعرات النابغات الأندلسيات اللاتي عرفن حرية أكثر من نظيراتهن المغربيات. و جاء بعد حفصة حمدة بنت زياد بن بقي الساكنة بالقرب من وادي آش و التي كانت تحضر مجالس الرجال[٢] (ت ٦٠٠ ه / ١٢٠٤ م) ، و عرف بالأندلس أن لبعض النساء منتديات أدبية يحضرها الرجال و النساء مختلطين (٣) ، و عرفت أيضـا شاعـرة أندلسية يهودية هي قرمونة بنت إسماعيل الغرناطية، التي كان أبوها هو مؤدبها،وبعد بنوغها كان يتباهى بها بين الناس[٤]،ويعتبر البعض أن المستوى الذي وصل إليه الشعر النسوي الأندلسي أكبر دليل على الحرية التي تمتعوا بها[٥]،وكذلك عرفت الأندلس الشاعرة أسماء العامرية و أم الهناء بنت القاضي ابن محمد بن عبد الحق بن عطية و الشلبية التي راسلت المنصور الموحدي [٦] ،وعائشة بنت عمارة [٧] . و هناك العديد من الأسماء الأخرى التي برزت في هذا المجال الذي عرف الكثير من التطور في تلك الفترة .

و في مجال الطب كانت أبرز الطبيبات في تلك الفترة من آل زهر ، فقد كانت أخت أبي بكر بن زهر و ابنتها عاملتين بصناعة الطب و لهما خبرة في تطبيب النساء و قد عملتا عند المنصور ، إذ كانتا تشرفان على كل نساء داره ،ولـم يكـن يستقبل أي مـولود جديد إلا على أيديهما [٨] ، بالإضافة إليهن وجدت طبيبات أخريات عملن داخل قصـور المـوحـدين

١- مليكة حميدي : نفس المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

٢- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، ص

٣- مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م، ط ٧ ، ص ٢٣٠ .

٤- جلال الدين الاسيوطي : نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار المعارف للطباعة و النشر ، سوسة ، تونس ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٦ .

٥- ماريا ج فيغيرا : أصلح المعالي : عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس ، ترجمة فغري صالح ، مر نوال حسيشر كمال ، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ ، ٩٩٩ .

٦- مصطفى الشكعة : نفس المرجع السابق ، ص ص ، ٢٣٠ – ٢٣١ – ٢٣٢ .

٧- .عبد الله كنون:النبوغ المغربي، ص ١٤٥.

٨- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ج ٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ١٩٧٩ ، ص ١١٣ .

وخارجها . حقيقة أن المرأة الموحدية لم يكن لها أدنى تدخل في السياسة و ما يتعلق بها في عهد الموحدين ، إلا أن هذا لا ينفي ما كان لهن من دور كبير في المجتمع ومكانة مرموقة عند الخلفاء ، فابنة المنصور كانت من الذين يقمن بأعمال داخل المجتمع ، فكانت تجزل العطايا للمتصوف المشهور ببلاد المغرب أبو العباس السبتي [١] ، و هذا دليل على اهتمام نساء الخلفاء بما يدور خارج قصورهن من أمور الرعية و منهم الصلحاء . و أسهمت بعضهن في انجازات الموحدين العمرانية فزوجة المنصور أيضا باعت ذهبها و لكثيرهن حليها من أجل صنع تفاحات ذهبية لتزيين مسجد بناه زوجها [٢] و ما كانت أي إمرأة تقوم بذلك لو لم تكن ذات مكانة مرموقة و مهابة .

أما ما تحدثنا عنه فقد كان عن اوضاع المراة في الطبقات الراقية من المجتمع، واللائي على الرغم من تمتعهن بقسط من الحرية إلا أنهن لم يتمتعن بالقدر الذي تمتعت به المرأة المرابطية ، أما نساء العامة فقد كانت أوضاعهن مختلفة ، فكان المتصوفة و الأولياء الصالحين يعتبرون أن المرأة أضر شيء على الرجال لما يمتلكن من فتنة تجر الى الفساد و الرذيلة و السلامة في الابتعاد عنهن [٣] . فهن كيان مزعج و رمز للغواية و الشر [٤] . و كان الرجال حتى تلك الفترة يفضلون إنجاب الذكور على الإناث و يطلقن من زوجاتهم تلك التي تنجب لهم الإناث . في حين تحضى تلك التي أنجبت الذكور بالعديد من الميزات [٥] .

و حب الرجال لإنجاب الذكور دون الإناث بقي مستمرا على طول الزمن ، فحتى في أيامنا الحاضرة نجد أن العديد من حوادث الطلاق حدثت بسبب إنــجاب المرأة لأنثى ، بالرغم من تطور العلم،بحيث يمكن كم معرفة المسؤول عن تحديد جنس المولودو هو الأب، كما أن ذلك و كل هذا يتنافى مع شريعتنا الإسلامية التي لا تفرق بين الذكر و الأنثى إلا بالتقــوى و التــدين

١- علي بن أبي محمد بن أبي القاسم العمواري : مناقب أبي العباس ، مخطوط رقم ١٧١٣ ، ورقة ٣١ أ .

٢- الحسن الوزان :نفس المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٣- عبد الله عبد القادر التليدي : المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأعيان ، الرباط ، ٢٠٠ ، ط ٣ ، ص ٥٧.

٤- إبراهيم القادري بوتشتي، المغرب والأن ليس في عصر المرابطين .ص٤٦

٥- البرزلي : جامع مسائل البرزلي ، ج ١ مخطوط رقم ١٧٢أ ، ٢٣٥ ب .

و في استياء الرجال من إنجاب الإناث فال الله تعالى : **" وَ يَجْعَلُونَ لله البَنَاتَ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ، وَ إِذَا بُشِرَ أَحَدَهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَ ُهوَ كَظِيم ، يَتَوَارَى مِنْ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بَشِرَ بِهِ اِيَمْسِكَهُ عَلَى هَوْنٍ أَوْ يَدُسَهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " (١) .**

و هذا معناه أن هذه الظاهرة كانت منذ الجاهلية و لم يغيرها تغير الدول و الخلفاء و النظام .

و وصلت درجة احتقار المرأة في تلك الحقبة الزمنية إلى أدنى المستويات ، فعبر الكثير من الشعراء عن ذلك صراحة في شعرهم (٢) ، فيقول أحد الشعراء :

ألا يا موت كنت بناروؤفا   فجددت الحياة لنا بزورة

حمدت لفعلك المأثور لما   كفيت مؤونة و سترت عورة (٣) .

و الراجح أن المرأة كانت تحتقر لاعتبارها مصدر للعار و الفضيحة في الأسرة في حال وقوعها في الخطأ ، لأن ذلك لا يغتفر و لا يمكن محوه من ذاكرة الناس،والعكس بالنسبة للرجل الذي يحق له في عرفنا منذ القديم الوقوع في الرذيلة و التوبة بعد ذلك . و تحمد سيرته بعد ذلك في أوساط الناس . و هذا بالرغم من أن الشريعة الإسلامية تفرض على المرأة كما تفرض على الرجل الالتزام بالفضائــل على الرذائل ، و لهذا العرف السائد في المجتمع نجد الأب يتخوف دائما من فكرةانحراف ابنته ، مما يسبب تشويه سمعته بين الناس ، في حين أن إنجاب الذكور كان يعني لهم الكثير ، لاعتبارات كثيرة أهممها أنه سوف يكون سندا لأسرته بكاملها ، و يعول عليهم كثيرا في تغيير مستوى الأسرة إلى الأحسن .

و شكك البعض في رجاحة عقل المرأة حتى أن البعض منهم قال أن عقول العوام أكثر رجاحة من عقول النساء و عقول النساء أكثر من الأطفال (٤) . و هذا فيه تقليل كبير لشأن المرأة , بالإضافة إلى أنهن كن يمنعن من أخذ حقهن في الميراث ليضمنوا بذلك عدم خــروج

١- القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآيات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .

٢- محمد رضا الشبيبي : آداب المغاربة و الأندلسيين ، دار إقرأ ، بيــروت ، لبنــان ، ١٩٨٤ ، ط ٢ ، ص ١٠٥.

٣- الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر المحمدية ، ١٣٦٠ ه ، ط ١ ، ص ٢٨١ .

٤- أبو حامد الندلسي الغرناطي : تحفة الألباب و نخبة الأعجاب ، تحقيق اسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٩ ، ص

ميراث الأسرة إلى رجل غريب ، و هذا مع تحديد الشريعة الإسلامية لحـــق كـــل فـــرد في الأسرة من الميراث .وهذه الظاهرة عرفت في مناطق مختلفة منذ القرن الخامس الهجري(١)، و تستمر إلى أيامنا هذه مع بعض الأسر ، و كان للزوج الحق في منع زوجته من زيارة أهلها (٢) ، وإن لم يمنعها فكثير ما كانت تحدث بينها مشاجرات و خصامات بسبب الزيارات المتكررة والكثيرة للمرأة لبيت أهلها ، و ذلك لعدم رضا الزوج عما تقوم به زوجته (٣) . كل هذه المور تثبت أن السلطة لم تكن مضرة دائما بالمرأة ، إذ تختلف الأمور باختلاف عقلية و ثقافة كل زوج ، فالمرأة تلقى أفضل تربية في كنف أب متعلم مثقف ، في حين تضطهد إذا كان الأب متعصبا و جاهلا ، و تتغير وضعية المرأة بتغير البنية والظروف فحال المرأة في المدينة ليس كحال نظيرتها في البادية .

مع كل ما ذكر فإن الكثير من النساء مارسن حياتهن في هذه الأوساط الشعبية بحرية و اكتسبن ما لم تقدر الكثيرات على كسب ربعه حتى ، فبعض النساء لم يكتفين بامتلاك الجواري من النساء ، حيث امتلكن الكثير من العبيد من الرجال (٤) ، و عشن حياة الترف بكل معطياتها و حيثياتها .

و إلى جانب هذه الفئة من النساء وجدت فئة انحصرت أعمالها في أعمال البيت من طهي و كنس و تنظيف ، و سهر على راحة الزوج و الأولاد ، و منهن من كن المعيلات لعوائلهم ، فببلاد السوس كانت المرأة تعمل الأكسية الرقاق و الثياب ، و ذلك لبيعها و التقوت من ربحها (٥) . وليس هذا فحسب حيث اشتغلت النسوة بالكثير من المهن في تلك الفترة ، فقد عملن بالحياكة والتطريز ،ومنهن من بعن اللبن فـــي الأسواق (٦)،وحتى الفـــلاحة امتهنتهـــا

١- الونشريسي : المعيار ، ج ١١ ، ص ٢٩٣ .

٢- إبراهيم القادري بوتشيش ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، ص ٤٥ .

٣- الونشريسي : ج ٣ ، ص ١٠٨ .

٤- البرزلي : جامع فتاوي البرزلي ، ورقة

٥- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٢

٦- حسن علي حسن : المرجع السابق .

النسوة في البادية [1] و مهن أخرى عديدة .
و كانت النسوة تخرجن للتسوق فكثيرا ما قصدن أسواق البزازين و الصاغة في أوقات فراغهن كن يخرجن قاصدين الحمامات مثل حمام بنت البان الذي كان مخصصا للنساء،وخرجن أيضا لتأدية الصلاة في المساجد [2] ، و كانت بعض النسوة تتزين وتتعطر،وتخرجن للأسواق فتثير فتنة بأصوات تصدرها نعالها ، و لهذا أفتى الفقهاء بعدم ارتداء هذه الأحذية ، و بعدم خروج النساء المتطيبات إلى الأسواق [3] .

تمتعت المرأة المغربية و الأندلسية بقسط وافر من الجمال ، فيذكر أن نساء حاحا بالمغرب كن غاية في الظرف و اللطف [4] . و بالعدوة الأندلسية عرفت نساء غرناطة بأنهن جميلات موصوفات بالسحر ، و تنعم الجسوم و استرسال الشعور و نقاء الثغور و طيب النثر و خفة الحركات [5] . و عرفت الأندلسيات عامة بالثريا [6] و برع العديد من الشراء في وصف حسنهن و جمالهن [7] و كان لنساء برغواطة جمال خلاب و أخلاق حسنة [8] .

و للحفاظ على جمالهن استعملت النسوة العديد من الوسائل ، فكانت بعض النسوة تفطرن في شهر رمضان من أجل الحفاظ على جمال أجسادهن [9] ، تانسين بذلك أمور الدين ممتثلين للعرف . و كن تصبغن شعورهن بالحناء كل جمعة و يغسلونها في الجمعة

١- أبو خير الأشبيلي : كتاب في الفلاحة ، الطبعة الجديدة شارع الطالعة عدد ٦٤ ، فاس ، ١٣٥٧ ه ، ط ١ ، ص ١٤١ .

٢- جمال أحمد طه : مدينة فاس ، ص ١٧٢ .

٣- ابن رشد الجد : مسائل أبو الوليد بن رشد ، مج ٢ ، تحقيق محمد الحبيب التيجاني ، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، المغرب ، ١٩٩٣ ، ط ٢ ، ص

٤- الحسن الوزان : نفس المصدر السابق ، ص ج ١ ، ص ٩٦ .

٥- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، مج ١ ، ص ١٣٩ .

٦- إبراهيم القادري بوتشيشن : المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، ص ٥٣ .

٧- ابن حمد سي : نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .

٨- البكري : نفس المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

٩- الونشريس : نفس المصدر السابق ، ص ج ٢ ، ٤٨٧ .

مرتين ويدهنوها بزيت يعرف بزيت أرقان من أجل الحفاظ على لونه الأسود و عدم تقصفه[١] ، و هذا النوع من الزيوت يستخرج من شجرة تشبه شجرة الأجاص يستعمله المغاربة لأغراض أخرى غير التي ذكرت . و لازالت بعض المناطق في المغرب الأقصى حتى في أيامنا هذه و من أجل الحفاظ على أوزانهن أو زيادتها أكلت النساء سجلماسة الحيوان المسمى الخرذون و يسمى بلسان البربر أقزيم الذي له دور في تسمينهن ، و لهذا كانت نسوة سجلماسة في غاية السمن [٢] ، و كانت النسوة تتفنن في التزيين بالحلي ، الذهب و الفضة منها ، و على أشكالها المختلفة [٣] ، و كانت المرأة الأندلسية تهتم هي الأخرى بشعرها كثيرا فكانت تقوم بظفره تارة [٤] ، و تارة أخرى ترسله على أكتافها [٥] ، و كانت النسوة تتزين بالتكحل بالأثمد [٦] . و عرف عنهن الأناقة و الريح الطيب ، حتى أن أحد المؤرخين يقول عن أهل بسطة ثياب أهلها بالعبير تتأرج و حورها تتجلى و تتفرج [٧] .

و استعملت المرأة العديد من المساحيق التجميلية [٨] ، و عرفت تلك الفترة اشتغال بعض النساء كماشاكات ، و تقوم تلك النساء بالاعتناء بشعر العروس و تزيينها لتصبح أجمل واحدة ويحرص منها على جعلهن الروس في أبهى صفة لهن ليلة الزفاف [٩] ، و وجـــدت الـــواشمة التي كانت تشرف على وشم النساء [١] ، و كانت بعض النسوة تحببن لون البشرة

١- الإدريس : القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، ص ص ١٣١ ، ١٣٤ .

٢- الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مج ١ ، عالـــم الكتب ، بيـــروت ، لبنان ، ١٩٨٩ ، ط ١ ، ص ٢٢٦ .

٣- لسان الدين الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، مج ١ ، ص ١٣٩ .

٤- إبراهيم القادري ، بوتشيش : المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، ص ٥٤ .

٥- لسان الدين بن الخطيب ، نفسه ، ص ١٣٩ .

٦- ابن حمديس : نفس المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

٧- لسان الدين بن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار ، دراسة و ترجمة محمد كمال شبانة ، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي ، المغرب ، ١٩٧٧ ، ص ٦٠ .

8- Lévi Provençal : Histoire de L éspagne Musulmane . Tome 03 Maisonneure et Larose . Paris France ; 1999 ; P 428 .

٩- الونشريسي ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

الأبيض،وللحصول عليه كن تصنعن سائلا من الباتلاء و ينقع في ماء البطيخ ستة أيام ، ثم في لبن حليب سبعة أيام أخرى يحرك كل يوم و يطلى على الوجه فيعطيه بياضا مؤقتا ، أما إن كن يبحثن على اللون الذهبي فتستعملن الكروياء المغلية في الماء حتى تتلون و تجعلها على وجهها مدة أربع ساعات فتصبح بشرتها ذهبية جميلة ، و لتأخذ و جناتها اللون الوردي استعملت المرأة غاسولا من دقيق الباتلاء و خمسة أجزاء من الكرسنة و عروق الزعفران و ورق الحناء من كل واحد ربع جزء و يغمر بذلك . أما بالنسبة للشعر فاستعملت النسوة لصباغته اللون الأسود دهن الأعلى و دهن قشرة الجوز الرطب و دهن الشقائق الذي يغسل بطيخ الأملج . و عالجت النسوة النمش و الوثم بغاسول من عروق القصب و اللوز المر و الكرنسة و الباقلاء و حب البطيخ معجونا بالعسل (٢) .

و كما سبق و أن ذكرنا فقد عملت الدولة الموحدية على محاربة كل مظاهر الفساد واجتهد الخلفاء و الولاة في ذلك ، إلا أنهم لم يستطيعوا إخلاء المجتمع من تلك المظاهر،فنجد أن كتب النوازل ملئ بحوادث الزنا (٣) . و حتى داخل الأسرة نفسها ، فكانت أحيانا تكشف خيانة الزوجة لزوجها مع أخيه (٤) ، أو للزوجة مع جارها (٥) . و أمثلة أخرى كثيرة .

و من العادات الغريبة المستهجنة التي احتفظ بها المغاربة من بعد دخولهم الاسلام، هي في أن قبائل غمارة كانوا عند زواج أي فتاة يحضر شبـــاب تلك المنـــطقة إلـــى دارهــــا،ويأخذوها معهم ويحتفظون بها لديهم مدة حسب درجة جمالها ثم تزف إلى زوجها ، بالإضـــافة إلى أنهم يتنازلون عن نسائهم لضيوفهم (١) إذا كانوا يرغبون في أن يأخذوا من الرجل القوى نسلا و يعد هذا أحد أنواع الزواج في الجاهلية عند العرب (٢) ، و يذكر ابن بطوطة (٣) أن النساء ببلاد المغرب كن يتخذن الأصحاب من الرجال الأجانب و كذلك الحال بالنسبة للرجال و هو أمر غير مستنكر ، إن أحداث الفساد و الفسق لم تخلوا من أي مجتمع عبر العصور و كانت هذه المظاهر تزداد عند ازدهار الدول و انغماسها في حياة الترف

١- ابن رشد الجد : نفسه ، ج ١١ ، ص ١٤٥ .

٢- إبراهيم القادري بوتشيش : المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، ص ٥٤ .

٣- الونشريسي : المعيار ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ .

٤- عبد الله بن عبد القادر التليدي ، نفس المصدر السابق ، ص ٥٧ .

٥- ابن قزمان : ديوان ابن قزمان : نسخة : محمد بن أبي بكر بن القطان (سنة ٦٨٣ هـ) ، و رقة ١٣ أ .

و البذخ،غير أن هذه المظاهر لم تتوفق على ما كان للمرأة من مكانة و دور كبيرين في المجتمع خاصة و أن تلك الفترة عرفت بروز الكثير من النساء العالمات الفاضلات الملتزمات بحدود الله و شريعته واللائي كن يعملن على بث التوعية في المجتمع و تعليم النسوة في العدوتين .

و في الأخير يمكن القول أو وضعية المرأة تحددها دوما الظروف و البيئة التي تعيش فيها ، فإذا كانت الأسرة غنية و على درجة من العلم و الثقافة فإن المرأة ستنعم بالحرية و لو في إطارات محدودة . و أما إن كانت الأسرة فقيرة و تسكن في مناطق نائية بالبادية تفرض عليها الجهل ، و العمل من أجل تحصيل لقمة العيش فقط دون الاجتهاد في أمور أخرى ، فإن المرأة لا تستطيع أن تنعم بما حصلت عليه نظيرتها التي تعيش في ظروف مختلفة ، و إن حصل وتمكنت المرأة من كسر الحواجز التي تحد من إمكانية عطائها و إبداعها و تنقص من شأنها فإنها تنتج و تبدع و تعطي مثل غيرها و تصبح ندا للرجل في كل المجالات و الميادين و من أهمها المجال العقلي الذي أثبتت المرأة في تلك الفترة جدارتها و تفوقها فيه ، و هو ما أثبتته منافسة الكثير منهن للرجال . وتحصيل مكانة رفيعة عند الخلفاء و الــــولاة والأثـــرياء في المجتمع .

١- سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ٥ ، ص ١١٥ .

٢- سعد زغلول : نفسه ، ص ١١٦ .

٣- ابن بطوطة : رحلته المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار ، تحقيق محمد عبد الرحيم ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣ ، ط ١ ، ص ٢٧٠ .

ملخص الفصل الثاني:

تكون المجتمع في عهد الأندلس من عدة طبقات وشرائح، كان على رأسها الطبقة الحاكمة المكونة من الخلفاء وحاشيتهم، وطبقة الطلبة استحدثها الموحدون ليجعلوا منها بديلا يمكنهم من تقليص سلطة وصلاحيات الفقهاء الذين تجاوزت سلطتهم ايام المرابطين سلطة الأمراء أنفسهم،غير أن هذا لا يعني أن الموحدين همشوا هذه الفئة واهملوها بل على العكس تماما،حيث ان الخلفاء الموحدين عملوا على جلب الفقهاء والعلماء من الحواضر البعيدة إلى حاضرتهم مراكش، وأجزلوا لهم العطايا و الهدايا و أكرمواوفادتهم وجعلوا منهم بطانتهم.

وبالاضافة إلى الطبقة الحاكمة والفقهاء والعلماء ظهر في تلك الفترة فئة جديدة كان لها وزنها في المجتمع ،وخاصة في اوساط العامة من الناس وقد تمثلت هذه الطبقة في المتصوفة والصلحاء، الذين عملوا على مساعدة الناس في أمورهم اليومية،سواء كانت المساعدة مادية أو معنوية.وكان الناس يؤمنون بأن دعوات هؤلاء المتصوفة مستجابة، وهو ما جعلهم – المتصوفة- مزارا يقصده الناس من كل حدب وصوب، من اجل الدعاء لهم لتيسير لهم حياتهم وتقتضي حوائجهم وبالاضافة إلى الدعاء كان المتصوفة يعالجون بعض الأمراض.

شكلت طبقة العامة اوسع شرائح المجتمع في تلك الفترة وكانت اكثر من كان يعاني أيام الكوارث الطبيعية والاقتصادية والتي كانت تعصف بالدولة أنذاك ،إلا ان بعض الخلفاء الموحدين اتخذوا بعض التدابير لتجنب هؤلاء مغبات الحياة،غير أن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة لهم.

وينتمي إلى هذه الطبقة شريحة أصحاب المهن الذين يشكلون عصب الاقتصاد في هذه الدولة فنجد فيهم التجار و الصناع وكذلك البنائين و الصيادين وغيرهم من أصحاب المهن الذين قد تبدوا مهنهم مبتذلة غير أنها مهمة هي الأخرى لأنها تحدث تكاملا اقتصاديا.

ومن أهم فئات المجتمع نجد المراة التي لم تعرف الكثير ايام الموحدين الحرية التي مارستها أيام المرابطين ،ومع هذا فإنها تمتعت بالكثير من الحقوق ومن أهمها التعليم الذي كان أيام الموحدين إلزاميا على كلا الجنسين وقد برزت أسماء كثيرة في تلك الفترة في مجال العلم والأدب.

:ƤǩƙɌǩƚ Ǩdžǟǩƚ

I-العادات والتقاليد

* الزواج وتكوين الأسرة

٢ -المشاكل الأسرية

٣-العادات الجنائزية

II- المجالس

١-مجالس الخلفاء

٢-مجالس الوعظ

٣-مجالس عامة

III-الصحة و وسائل العلاج

IIII-الاحتفالات

١ –الاحتفالات الدينية

٢ – الاحتفالات العسكرية والمدنية

٣-احتفالات مختلفة

V-وسائل التسلية

١ –الموسيقى والغناء

٢ – الألات الموسيقية

VI-الطعام والشراب

١ –طعام الطبقات الخاصة

٢ – طعام باقي شرائح المجتمع

٣-المشروبات

٤- أدوات المطبخ

VII-الملابس

العادات والتقاليد: عاش سكان المغرب والأندلس في ظل حكم الموحدين الذين أحكموا سيطرتهم على كل الحواضر في العدوتين تقريبا، غير أن الحاكم الحقيقي الذي سير الناس ،ونظم حياتهم وشكل العلاقات والروابط بينهم ، وكانت العادات والأعراف التي تداولها جيلا بعد جيل وذلك قبل قيام دولة الموحدين بكثير،ومن هذه التقاليد والأعراف ما كان معروفا ومتداولا في المنطقة منذ القديم. ومنها ما اكتسبته بدخول الإسلام إلى المنطقة واعتناق أهل البلاد له وتبني تعاليمه وأحكامه،ومنها ما كان نتيجة للتأثر الحاصل عن الاحتكاك بسكان المناطق المجاورة،ومنها ما كان نتيجة لظروف سياسية ودينية مرت بها المنطقة وتركت أثرها،وفي هذا الفصل سنتناول كل ما له علاقة بالعادات والتقاليد.

الزواج وتكوين الأسرة: قال تعالى:**" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَرُونَ(١)."**

كما قال:"هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"(٢)،وهذه الآية تعبير يوحي بمعاني الاندماج والستروالحماية يحققها كل منهما للآخر.

تعد الأسرة النواة الأساسية لتكوين المجتمع،ولهذا فإن الإسلام دعا إلى تكوين الأسرة في نطاق الشريعة والدين الإسلامي،وذلك عن طريق الزواج الذي يعتبر نصف الدين في الإسلام،والطريقة الوحيدة الحلال للتناسل واستمرار البشرية ،ومع هذا فقد منع الشباب من إتمام نصف دينهم الكثير من العقبات والعراقيل، منها التكلفة الباهضة للزواج في تلك الفترة هذا في وقت أوصى الرسول (ص) الكريم بالتيسير في أمور الزواج فقال"يسروا ولا تعسروا" وقال أيضا"التمسوا ولو خاتما من حديد"،ولأن الكثيرين لم يمتلكوا القدرة على تأمين تكاليف الزواج ،وكان هذا سببا في عزوفهم عنه،أو تأجيل الفكرة إلى أجل غير مسمى(٣)،وهناك فئة من الشباب كانت لها وجهة نظر مخالفة لسابقيهم،فقد اعتبروا رابطة الزواج المقدسة،لا تتعدى قيدا باسم المسؤولية والواجب ومتطلباتهما ويحد من حريتهم في التصرف والتنقل والدخول والخروج بحرية،وهذا ما صرف أنظارهم عن ذلك(٤)

(١) سورة الروم.الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة. الآية١٨٧

(٣) الزجالي:المصدر السابق،ج٢،ص٢٤٢ (زوجوه حوجوه)

(٤) ابن قزمان،المصدر السابق،ورقة ١٤

ومع هذا ظل الزواج أمرا لا بد منه،لأنه الوسيلة الوحيدة للتناسل واستمرار العنصر البشري وبقائه،وللزواج دور اجتماعي كبير فهو يعمل على تعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة والحفاظ على إرثها،ولأنه كان دوما رمزا للتعفف وتجنب الوقوع في الرذيلة فقد نظر المجتمع إلى رافضيه نظرة ريب وشك في أخلاقهم وسلوكياتهم ،وقد شاعت ظاهرة الزواج المبكر عند الشباب(١)،وكان الرسول(ص) أوصى بذلك قبلا في قوله**"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ،ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"** وكان ذلك لتفادي بعض مظاهر الفساد التي قد تنتشر في المجتمع،ورأى أحد المتصوفة أن الزواج يذهب الفقر(٢)،في حين رأى آخرين في عدم القدرة على ما فرضه الله تعالى على الرجال من حسن معاشرة الزوجة سببا في التخوف من تجسيد فكرة الزواج(٣).

عاشت المنطقة في تلك الفترة الكثير من الاضطرابات والتوترات ومرت بالعديد من الحروب، وهو ما كان سببا في موت عدد كبير من الرجال ،ليصبح بذلك عدد النساء أكبر بكثير من عدد الرجال، فيذكر السيوطي أن تجارة الجواري أسفرت عن اكتظاظ الأسواق بهن فعز الزواج وكثرت العوانس بالبلاد(٤)،ويؤكد الادريسي ذلك بقوله" النساء بها- أي بسجلماسة- إذا وصلن سن معينة و لم يتزوجن يتصدقن بأنفسهن على ما أرادهن من الرجال"(٥).

وجاءت امرأة إلى أبي العباس السبتي تشكوا إليه حال بناتها الأربع اللائي بقين دون زواج لأن الرجال أصبحوا يبحثون عن المرأة الثرية دون سواها للزواج بها، وطلبت من الولي الصالح أبو العباس الدعاء لبناتها ليسهل الله أمورهن(٦)

ويذكر الرسول الكريم(ص)أن المرأة تنكح لأربع منها المال بالإضافة إلى الجمال و النسب كانت ذات الدين هي المفضلة لأنها تعين الرجل على دنياه ودينه وتصبر على ما اصابه،وقال صلى الله عليه وسلم في ذلك **"من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الأذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يخفي بصره، ويحصن فرجه أويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه"**

---

(١)الونشريسي، المصدر السابق،ج٣، ص٠٥.

(٢) الهواري:مناقب أبي العباس السبتي،ورقة ٥١ b

(٣)أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج١، ص:

(٤)جلال الدين السيوطي:نزهة الجلساء أشعار النساء،ص٨٧.

(٥)الادريسي،:القارة الافريقية،ص١٢٨.

(٦)الهواري:نفسه،ورقة ٣٠ b

غير أن الرجال كانوا يفضلون دوما الزواج من ذات المال و الحسب التي تمنحهم فرصة للعيش أفضل ،إختلفت عادات وتقاليد الزواج من بلد إلى آخر في العالم الاسلامي ،إلا أن خطوات اتمامه تشابهت في الخطوط العريضة في كل بلاد الاسلام، وسبق وان عرفنا ان دولة المنطلق فقد كانت بنت العم الأول هي الزوجة المثلى لأنها من نفس نسب الزوج ويمكن مثل هذا الزواج الأسرة من المحافظة على نسب واحد داخلي يمتد لمدة ثلاثة أجيال على الأقل(١)،

وفي هذا الإطار تشير المصادر إلى زواج زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من ابن عمها عبد الرحمن بن عمر(٢)،وكذلك زواج الشيخ أبو محمد بن حفص من أخت أبي يعقوب المنصور،(٣)و زواج أبي العلاء أدريس والي مراكش من ابنة الخليفة المأمون(٤)،وكل هذا من أجل الحفاظ على السلطة،وعلى إرث العائلة داخل الأسرة وبين أفرادها ،ويضمن بذلك عدم خروجها إلى الغرباء،وهذا التصرف فيه تحريف لما أوصى به الرسول الكريم(ص)حيث قال :"لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخرج خاويا"(٥) وإن في ذلك لحكمة وهي تحقيق هدف أسمى من ذلك الذي يهدف إليه أفراد الأسرة والمتمثل في تعزيز تلاحم وقوة النظام القبلي ،في حين تعدى هدف الإسلام من القبيلة الواحدة أو مجموعة من القبائل إلى وحدة الأمة الإسلامية بأسرها(٦).

وحدث أن تمت العديد من الزيجات خارج إطار القبيلة إلا أنها لم تخرج عن إطار المصالح ومنها زواج يوسف بن عبد المؤمن من ابنة ابن مردنيش سنة (٥٦٧هـ- ١١٧١م) وكذلك تزوج العديد من الخلفاء من الإماء الروميات وأنجبوا منهن فكانت أم المنصور رومية اسمها قمر(٨)،وأم الرشيد أيضا

---

(١) ابن الآبار:الحلة السيراء ،ج٢، دار المعارف، القاهرة،مصر،١٩٨٠ ،ص ٢٣٦

(٢) أبو العباس المراكشي،المصدر السابق،ج٣، ص، ٢٦٠.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق،ج٧، ص:١٠.

(٤) ابن عذارى،المصدر السابق،قسم الموحدين ،ص ٣٠٥

(٥) حديث شريف.

(٦) جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية، ص ٢٨٢.

(٧) ابن عذارى ، نفسه، ص ١٣٥.

(٨) إبن أبي زرع،روض القرطاس،ص١٤٥.

رغم الحرص الشديد الذي كان إزاء الزواج بين أفراد الأسرة فقط، إلا أنه حدثت العديد من الزيجات خارج إطار الأسرة والقبيلة ،ولكنها لم تخرج عن إطار تحقيق المصالح ومنها زواج يوسف بن عبد المؤمن من ابنة بن مردنيش صاحب مرسية قبل سيطرة الموحدين عليها،وتم هذا الزواج سنة (٥٦٧ هـ /١١٧١ م)[١] ' أضف إلى ذلك تزوج العديد من الخلفاء من الاماء الروميات اللائي كانت بعضهن أمهات لحلفاء الموحدين،فكانت أم المنصور رومية اسمها قمر [٢]،وأم الرشيد التي كانت زوجة المأمون تدعى حبابة وهي رومية أيضا [٣]،وكان جميع أبناء الخليفة المأمون من أمهات روميات وسريات مغربيات[٤].

الخطبة كانت أولى خطوات الزواج،وما كانت هذه الخطوة لتتم لولا مساعدة الخاطبة وهي امرأة كانت تتولى مهمة البحث عن عروس تتوفر على شروط يطلبها أهل الخاطب وغالبا ما تبالغ الخاطبة في مدح الخاطب[٥] ،وبعد الوصول إلى الفتاة المعينة تتولى أيضا مهمة التمهيد بين أهل العروسين ،ليذهب بعدها أهل العريس لطلب الفتاة للزواج رسميا[٦]،وغالبا ما كانت الصفات المطلوبة في زوجة المستقبل تتلخص في ثلاث خصال هي،طيب الأصل، وحسن الخلق، وكمال الدين[٧]،ونادرا ما كانت الفتاة ترفض طلب المتقدم إليها إلا في حالات قليلة جدا(٨)،فقد كانت النسوة تشترط على الرجال إتقانهم لصنعة ما يتقون بها شر الحاجة والعوز[٩]، وأن يكون الزوج كفء للزوجة في الدين والمال والحسب،وأن يكون سالما من العيوب التي تتجنبها النساء في الرجال [١٠] مثل القبح الذي

---

(١)ابن عذارى ،المصدر السابق،،قسم الموحدين،ص،١٣٥.

(٢)ابن أبي زرع،روض القرطاس،ص،١٣٦.

(٣)ابن عذارى،نفسه،ص٢٢٨.

(٤)لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١،ص٤١٦.

(٥)رضا الكشو،أمثال تونسية ،مجلة التراث الشعبي ،تصدر عن دار الجاحظ للنشر ،وزارة الثقافة والإعلام عدد ٣،س١٣،آذار ١٩٨٢ ،ص٤٦..

(٦)كمال السيد أبو مصطفى:جوانب من الحياة الاجتماعية ،ص،١١ .

(٧)النوبري،نهاية الارب،ص٤٦٤.

(٨)ابن الآبار ،المقتضب من تحفة القادم،ص٢١٦.

(٩)ابراهيم القادري بوتشيش ،المغرب والأندلس ،ص٢٣.

(١٠) جمال أحمد طه،الحياة الاجتماعية،ص٢٨٢.

ردت من أجله الشاعرة نزهون القلاعية – التي عاصرت المرابطين- أحد خاطبيها[١]،وكذلك رد الرجال الذين بهم عمى وشلل والجذام البين[٢]، فالفتيات كن يفضلن البقاء عازبات على الزواج بمن لا يتوفرفيهم ما يتمنينه حتى أن العامة قالو،جلوسي في الدار ولا زواج العار[٣]

كانت الصفات المطلوبة في الزوجة كثيرة ومنها الجمال، الذي كان أهم الأسباب التي تجلب النظر إلى الفتاة وتجعلها مرغوبة من قبل الجميع ،وما يؤكد ذلك كثرة الأمثال التي تتحدث عن حب الرجال للجمال كقولهم :إذا بغاتك الحمرا خسر مال بوك وجدك عليها في حال العسل إذ طاح على الجرح كايبريها[٤]،ولم تستهو المرأة النحيفة الرجال في تلك الفترة ،فقد كانوا يفضلون النساء البدينات [٥]،حتى أنهم قالوا:الشحم زين ومن يفقد حزين[٦]، ولهذا فإن النسوة اجتهدن في الحفاظ على أوزانهن وحتى على زيادتها ،ومن أجل هذا أقدمت الكثير منهن على الإفطار في شهر رمضان مع العلم أن ذلك فيه معصية لله تعالى وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،وكذلك امتنع المغاربة عن الزواج من السودانيات ،لأنهم عدوا ذلك مجلبة للذل والعار[٨].

وقد عددت صفات المرأة المناسبة والمفضلة عند الرجال وهي:المرأة الكاملة القد العريضة ،خصيبة اللحم كحيلة الشعر ،واسعة الجبينين ،زجة الحواجب واسعة العيون مفخمة الوجه أسيلة الخدين،ظريفة الأنف ،ضيقة الفم، محمرة الشفاه واللسان طيبة الرائحة في الأنف والفم ،طويلة الرقبة ،غليظة العنت عريضة الأكتاف والصدر ،واقفـــة النهد ممتلئة صدرها ونهدها معا، ظريفة اليدين والرجلين،عريضة الذراعين بعــيدة المنكبيــن... وفضلت المرأة قليلة الضحك والكلام من غير نفع ولا تعمل من النساء صاحبة ولا تطمئن

---

(١) ابن الآبار : المقتضب من تحفة القادم، ص ٢١٦.

(٢) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية ،ص٢٨٨.

(٣) الزجالي: المصدر السابق،ج٢، ص ٢٠٨.

(٤) نفسه: ص،٣٤.

(٥)ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب، ص ،٢٨٤.

(٦) الونشريسي :المصدر السابق،ج٢ ،ص ص ٤٨٧-٤٨٨ .

(٧) الونشريسي:نفسه، ص ص ٤٨٧-٤٨٨.

(٨) ابن قنفذ القسنطيني:أنس الفقير وعز الحقير ،ص٤٦.

لأحد ولا تركن إلا لزوجها ولا تخون في شيء ولا تغدر و لا تتستر على حرام ،تعين الزوج في كل حال من الأحوال قليلة الشكاية والنكاية"[١]،ومع أن شرط الأصل الطيب والخلق الحسن وكمال الدين عدوا أساس اختيار الزوجة إلا أنه وجد من اضطرته الظروف إلى الزواج من مومس لا تتوفر على شروط العفة والطهارة[٢] وهذا يعني أن الظروف والقدر يمليان على الفرد أحيانا أمورا تتنافى مع العادات والتقاليد السائدة،ولهذا فقد ورد مثل يذكر أنه على كل واحد أن يأخذ ما كتبه الله له" دي مكتوب من عند سيد ربي هي زي تكون"[٣]

وكانت العذرية أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الفتاة المقبلة على الزواج لأنها الدليل الوحيد والأساسي على طهارتها وعفتها[٤]ولمعرفة أو بالأحرى التـأكد من عذرية الفتاة وجدت نسوة عرفن بالقابلات واختصصن في الكشف على الفتاة قبل الزواج لرؤية إن كانت البنت بكرا أو ثيبا ويشهدن على ذلك[٥]، وإذا كانت الفتاة فاقدة لغشاء بكارتها فإن ذلك يكون بمثابة الكارثة التي تحل على العائلة بأسرها وليس عليها فقط، لأن ذلك كان سببا كافيا في جلب الذل والعار والخزي للعائلة[٦]،ولهذا السبب فقد كانت الفتيات حتى إذا أقمن علاقات مع الشباب وتمادين فيها إلا أنهن كن يجتهدن في الحفاظ على عذريتهن وشرفهن ويدل على ذلك المثل القائل:" من واقرص وخلي موضع العروس[٧]،وإذا كان سبب فقدان العذرية أمرا أخر غير الجماع كالسقوط من مكان عال أو وثبة عنيفة أو الحيض فإنه على أسرة الفتاة أن تشيع ذلك عند المعارف والجيران ،وأن يخبرا بأمر ابنتهم قبل الزواج تفاديا للذل والمهانة التي يتعرضوا لها حال جهل الزوج[٨]، فالفتاة التي كانت تتزوج ويثبت عدم عذريتها ترد إلى أهلها على الفور[١].

١- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص.٣٠٨

٢- الونشريسي: المصدر السابق،ج٣، ص.١٢

٣- الزجالي:المصدر السابق،ص، ص،

٤- الونشريسي:المصدر السابق،ج٣ ، ص ص ، ١٣٣-.١٣٤

٦- الحسن الوزان :المصدر السابق،صج١ ، ص ص ١٩٩-.٢٠٠

٧- الزجالي:نفسه،ج٢ ،ص.

٨- الونشريسي، نفسه،ج٣،- ص٢٣٠.

وكان الزواج بالنسبة للمرأة شأنا عائليا أكثر منه شأنا خاصا ،مع أن الإسلام أعطى المرأة حق اختيار الزوج والقبول به أو رفضه[٢] إلا أن الأب كانت له السلطات على كامل أفراد عائلته[٣]، ومنها أمر تزويج ابنته لمن يريد والتكفل بترتيب أمور زواجها[٤]،أما من لا ولي لها ومن كانت يتيمة كان يتم عقد نكاحها عن طريق الولي بغير وكالة منهن ،وكانت خطبة اليتيمة ومن لا ولي لها بتوجيه شاهدين إليها في منزلها يعرضان عليها الأمر فإن أظهرت الرضا والقبول من جانبها تتم الخطبة أو العكس[٥]وعند القبول بالخاطب واتمام إجراءات الخطبة يعمل الطرفان على الاتفاق على ما يقدم من النقد والهدية والكالي[٦]، وهذه الأمور كانت تتسبب في بعض الأحيان في بعض المشاكل بين أسرة الخاطب وخطيبته ،وكان الوالد يملي بعض الشروط الخاصة بالصداق والوليمة[٧] ،وتمادي بعض الآباء في شروطهم فزادوا على الصداق بعض الهدايا مثل الكبش والثور[٨]، واعتبر البعض أن ذلك نوعا من الصداق مع أن العادة هي بعدم تسمية الهدايا صداقا إذ أنها لم تكتب في رسم الصداق[٩].

وبعد الاتفاق بين الطرفين أهل الزوج والزوجة يتم الإعلان في المدينة أو القرية أن فلانا قد خطب فلانة بنت فلان ،عندها يتقدم الأهل والأصحاب بالتهاني [١٠] وطوال فترة

١- البرزلي:المصدر السابق،ج٢،ص ص ،٢٠٢-٢٠٣

٢- حسين عبيد الحميد رشوان: علم اجتماع المرأة ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية مصر، ١٩٩٨، ص.٥٢

٣-أحمد عبود: التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيليا في عهد دول الطوائف ،تقديم مونتغمري ،مطابع الشويخ،تطوان ،المغرب ١٩٨٣ ،ص.١٩٢

٤- الونشريسي :المصدر السابق،ص ، ص.٢٤٦

٥- نفسه :ص.١٦٩

٦- نفسه:ص.٢٤٧

٧-نفسه:ص.٤٦

٨- نفس:،ص.٤٦

٩- نفسه: ج١ ، ص.٤٦

١٠- نفسه:ج٣، ص٩٦.

الخطوبة كان الزوج يقدم العديد من الهدايا لعروسه وذلك في الأعياد والمناسبات،وغالبا ما كانت الهدايا عبارة عن حناء وصابون وفاكهة[١] وقدم لها أحيانا عصفرا لصبغ الثياب وقصب ذهب وثوبان من الحرير، وعقد جوهـــر وقطيفـــــتان، وخفان وجوربان[٢]،وكان مقدار الهديـــة وفـــــق إمكانية كل زوج و مكانـــــــته الاجتماعية.

وبعد انتهاء فترة الخطوبة التي كانت في العادة تدوم من عام إلى عامين أحيانا[٣] يتم عقد القران في أحد الجوامع أو المساجد على يد القاضي أو صاحب الأنكحة[٤]،أما في المناطق النائية البعيدة عن المدن كالقرى والحصون كان إمام المسجد هو من يتولى عقد القران دون إذن القاضي نظرا لبعد المسافة بينهما[٥]، وكان عقد النكاح يتضمن العديد من الشروط التي يحددها الطرفان رغبة منهم في تفادي ما قد يكون سببا لتعكير حياتهما الزوجية في المستقبل ،ومن الشروط التي حددتها المرأة على زوجها أن لا يدخل عليها زوجة ثانية وإن حدث ذلك فإن الجديدة طالق وأن لا يتسرى بأي كانت[٦]، وهناك من اشترطت على زوج المستقـبل أن لا يضربها ،وأن لا يلحق بها أذى ما دامت على ذمته[٧]،وان كان لها قدرا من المال اشترطت على زوج المستقبل ألا تمتد يداه إلى ما تملكه[٨]، ويتضمن عقد القران قيمة المـبلغ المتفق عليه ليكون صداقا للزوجة،وينقسم الصداق إلى معجل ويسمى النقد، ويدفع عند إقامة العرس ومؤخـــر ويسمى الكالي،ومقدار يكون حسب إمكانيات الزوج وظروفــه [٩] فيوسف بن عبد المؤمن خليفة الموحدين قدم لابنة ابن مردنيش عندما تزوجها ما مقداره ألف دينار عينا، و وهبها جميع ما أهدى إليه اخوتهـا عنـد فتحـه

١- الونشريسي:المصدر السابق،ج٣،ص.٩٦

٢- نفسه: ج٣، ص.٩٦

٣- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية ص٩٢

٤- نفسه:ص.٢٩٢

٥- الونشريسي:نفسه،ج٣ ، ص١٩٧-.١٩٨

٦- نفسه:ج٣،ص.١٧

٧- نفسه:ج٣،ص.١٥٤

٨-نفسه: ج٣،ص .١٢١

٩- ابراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس،ص٢٨.

مرسية من الكسى والحلي والخدم، و زادها من عنده الكثير[١]، هذا كان الصداق الذي يقدمه خليفة لزوجته أما باقي الرجال فقد اختلف مقدار ما قدموه من صداق ،فقدم أحدهم مبلغ ٧٠ دينار كصداق لزوجته كان النقد منه ٣٠ دينار[٢]، وقدم آخر ٢٠٠ دينار كصداق، وذلك بطلب من والد الزوجة، على أن يرد الزوج ١٥٠ دينارا للوالد بعد الزواج، أي أن مقدار صداقه كان ٥٠ دينار[٣]، وكانت الزيادة التي أعطاها الوالد للزوج مقصودة من أجل التباهي والتفاخر أمام الناس لا غير،فقد كان مقدار الصداق في تلك الفترة مدعاة لذلك.

وهناك من الرجال من زاد على الصداق فقدم لزوجته خادما ونصف أملاكه[٤]،ومنهم من قدم لها كل أملاكه[٥] ،و ورد في عقود القران أيضا حق المرأة في زيارة أهلها والانتقال من موضع إلى آخر على أن يتكلف الزوج مصاريف النقل[٦]، وألا يمنعها من زيارة أهلها من النساء وذوي محارمها من الرجال ولا يمنعهم منها[٧]، وأن يلتزم الزوج بعدم الغيبة طويلا ،وأن لا يتعدى غيابه عن منزله ٦ أشهر إلا إذا تعلق الأمر بالحج يدوم أطول من ذلك بكثير [٨] وأن أقدم الزوج على شيئ عاهد نفسه على عدم القيام به فإن العقد تضمن أيضا شروط رادعة تعمل على منعه[٩].

مع كل الاحتياطات التي اتخذها الزوجان لاستقرارهما والروادع التي تضمنتها عقود النكاح،إلا أن الكثير من الأزواج تجاهل ما كانوا قد ألزموا أنفسهم بها وأقدموا على

١- ابن عذارى :المصدر السابق، قسم الموحدين،ص.١٣٥

٢- الونشريسي : المصدر السابق،ج٣، ص.١٥٦

٣- نفسه:ج٣،ص.٢٩٩

٤-نفسه: ج٣، ص،.٢٧٠

٥- نفسه: ج٣،ص.١٤٧

٦-نفسه: ج٣، ص،.٣٠٢

٧-٨- نفسه:ج٣،ص،

٩- نفسه:ج٣،ص ١٠٨

نقض عهودهم ،فتشير نازلة إلى أن رجلا كانت زوجته اشترطت عليه في عقد النكاح الأول أنه متى تزوج عليها فالداخلة عليه حرام وأن أمرها بيدها ،قام بالزواج ثانية من ابنة عم له تولى بنفسه طرف العقد في تزويجها ،وقدم لها ما بقي من ملكه كصداق[١]

أما عقد نكاح النساء من أهل الذمة فكان شبيها بعقد نكاح النساء المسلمات ،فإذا كان للكتابية ولي يذكر خلال العقد انه قد تم انكاحها عن طريق أخيها النصراني أو اليهودي، أما إذا لم يكن لها ولي فيتولى الأسقف إتمام عقد نكاحها بعد أن تكلفه هي ذلك،وكان نساء أهل الذمة في حال زواجهن من رجال مسلمين يلتزمن بالاغتسال من الحيض والنفاس،وأن تجتنب أكل كل ما هو حرام وأن لا تقترب مما يكرهه المسلم ويشهد على عقد القران مسلمين[٢].

وأمّا زواج العبيد فكان مقرونا بسلطة السيد على عبيده الذكور والنساء منهم ،فكان له القرار الأول في أمر زواجهم [٣]، حتى أنه كان يجبرهم على قبول الزوج الذي يريده هو ويتماشى مع مصالحه،واعتبر المجتمع أن زواج الحرة من العبد مذلة ومهانة، ولهذا فقد كان مثل هذا الزواج يمنع[٤]، وفي حال اعتق السيد مملوكته أو أم ولده ليتزوجها فإنه يعطيها صداقها نقدا وكالتا يقدم لسيدها الذي اعتقها [٥] والمعتقة كانت توكل أمر نكاحها وتقبل به زوجا ،بما يبذل لها من حقوق الزوجات حيث كان يتم الإشهاد على المعتق والناكح والمنكح نفسه ،والمنكحة بعد إقرارها بأنها مملوكته أو مدبرته أو أم ولده[٦]

وبعد عقد القران تبـــــدأ أسرة العروس في إعداد الجهاز الذي ستحـــمله العروس معها[٧] وكانـــت العـــادة أن يقـــوم الأب والأم بتجـــهيز ابنتها من وقـــت

١- ابن عذارى:البيان المغرب،قسم الموحدين،ص.١٧١

٢- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية ،ص.٣٠

٣- الونشريسي :المصدر السابق ،ج٣ ،ص.١٢٥

٤- إبراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص.٢٦

٥- الونشريسي :نفسه،ص .١٢٦

٦- إبراهيم القادري بوتشيش:،نفسه،ص.٢٦

٧- كمال السيد أبو مصطفى:جوانب من الحياة الاجتماعية،ص١٤.

مبكرا أي قبل خطبتها بسنوات فالعادة تشهد أن الأباء يعدون للبنات في صغرهن من الهبات والعطايا ما يكون لجهازهن [١]، ففي بعض المدن الأندلسية كان الأب يجهز ابنته بما يوازي أو يفوق ما قدمها لها زوجها[٢]، وامتلك رجل نصف دار خصص ثمن بيعها لتجهيز ابنته،واضطرت بعض الأمهات إلى بيع ما يملكن لتجهيز بناتهن[٣]، واكتفى بعض الآباء بما حصلوا عليه من الزوج في تجهيز بناتهم[٤] ،واضطرت اليتيمات إلى بيع ما يمتلكن – إن كان لهن- لتجهيز أنفسهن[٥].

وكان جهاز العرائس سببا في هم اعترى أهلهم، لعدم قدرة البعض منهم على تكاليف تجهيزهن مما اضطر البعض منهم إلى الاستدانة للتكفل بالمصاريف،[٦] وشاع في تلك الفترة اهتمام الكثير من الأولياء الصالحين بشؤون الناس والعمل على التخفيف عنهم، فكان الكثير منهم يعمل على تجهيز اليتيمات والفقيرات من النساء،[٧] وكان أحد حجاب الخلفاء الموحدين أهدى ابنته عشرة آلاف دينار كان الخليفة أعطاه إياها ،وأهداها الكثير من الحلي والثياب حتى أتي على أكثر أمواله مجاراة منه لما قام به صهره زوج ابنته معه عند ما كان في السجن حيث وضع كل ما يملك تحت تصرف زوجته لانفاقه على والدها في السجن[٦].

اشتمل جهاز العروس على الكثير من الثياب منها الغفائر والمحرزة والثياب والرازي ،والثياب المحشوة والقطيفة والسراويل والمنطقة[٩]،ومن أمتعة البيت أخذن الطست والمنارة والقباب والحجال و الفرش والبسط والحلي ،وعلى عكس جهاز عروس المدينة كان جهاز عروس البادية بسيطا ،إذ لم يتعد غالبا فراشا ولحافا وبعض

١- الونشريسي :المصدر السابق،ج٣، ص.٢٤٦

٢- ابن رشد: المصدر السابق،ج٢، ص.٨٩٧

٣- الونشريسي :نفسه،ج٦ ، ص ٧٧

٤-البرزلي:المصدر السابق ،ج٢، ص .٢٨٢

٥- الونشريسي :نفسه، ج٣، ص،.١٣٣

٦-جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية،ص.٣٠١

٧- ابن مريم:المصدر السابق،ص،.١٠١

٨- جمال أحمد طه:نفسه،ص.٣٠٢

٩- ابراهيم القادري :المغرب والأندلس ،ص٢٧.

الملابس والحلي[1].

بعد الانتهاء من إعداد الجهاز يتم الاتفاق على موعد الزفاف ،وتبدأ بذلك مرحلة جديدة وهي التحضير لوليمة العرس وفيها يقوم الزوج بإرسال هدايا من لحوم وغيرها إلى بيت الزوجة، لاعداد الطعام الذي سيأكل منه أهل العروسين ليلة الزفاف ،وكان الطعام الذي يصنع في بيت الزوجة، ويرسل إلى بيت الزوج سببـــــا في إدخال الفرحة على نفس العروس[2]، اليوم الأول من العرس يخصص لذبح الخراف والشياه ،بينما يكون اليوم الثاني مخصصا لاستقبال الضيوف واطعامهم ،وفي الليل يقام حفل الزفاف ،وانقسم حفل الزفاف إلي حفلين واحد يقام في النهار للرجال والثاني يقام ليلا للنساء[3]، حيث كانت توقد الشموع والثريات والقناديل[4]

وفي ليلة الزفاف كانت العروس تحرص على أن تكون في أبهى حلتها[5] وليست هي فقط من يعمل على ذلك، فكل النسوة اللائي يحضرن العرس يحرصن على ذلك، فكن يأتين في أبهى الحلل [6]، وبذلك كانت كل النسوة الحاضرات يتميزن بالأناقة والجمال حتى كان يصعب التفريق بينهن وبين العروس لولا التاج الذي كانت تضعه العروس على رأسها[7] ووصف بن قزمان حال النسوة في العرس بقوله:" وقد زينت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل ، وحرر السواك على موضع التقبيل ،وطوقت الأعناق بالعقود ، وضرب العكر على صفحات الخدود ،ومد بالغالبه على مواضع السجود، وأقللت صنعا بأوشيتها وعنت بأرديتها ودخلت العروس في حليتها و رمقت الكفوف بالحناء وأثنى على الحسن و هو أحق بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثا بعد البناء،وعض الذراع بالسوار وتختم في اليمين واليسار،وأمسكت بأيدي البكار،و مشت الإماء أمام الأحرار وتقدمـــــت الدايات بالأطفال

١- إبراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص.٢٩

٢- الونشريسي:المصدر السابق،ج٢، ص.١٢٩

٣- نفسه :ج٣، ص .٢٥١

٤- البرزلي :المصدر السابق ،ج ،ص

٥- الونشريسي :نفسه، ج٣،ص.٢٧٨

٦- ابن الزيات: المصدر السابق، ص.١٥٢

٧- ابن قزمان: المصدر السابق،ورقة ٣٨A

والصغار..."[١]واستعملت النسوة وسائل كثيرة للتزين،فكانت الماشطة تشرف على تصفيف شعور النساء،[٢]وكانت تقوم أحيانا بتقطيع شعر الغير وتعطيه لمن لا شعر لها وتعمل لها به سالفا لتزينها[٣] ،واستعملت نساء المصامدة زيت أرغان لتجميل شعورهن وإطالتها[٤]،ودهنوا شعورهن برقيق البيض والطين الأندلسي في كل يوم جمعة [٥]،وكانت عادة نساء الأندلس إسدال شعورهم[٦]،فيما كانت نساء غمارة وشرق المغرب يعملن من شعـــــــــورهن جدائل[٧]،وكان الوشم طريقة من طرق التزين بالمنطقة،وأشرفت على هذه العملية امرأة عرفت بالواشمة كانت تقوم بشق الجلد ثم تحشيه أي الجرح- بالكحل حتى تخضر[٨]،وتزينت النسوة بالكحل[٩]والحناء[١٠]أيضا،ودهن أجسادهن و وجوهن ببعض الطيب والأصباغ التي تظهر الجمال [١١] وكانت الحلى إحدى مظاهر التزين عند النساء،فنساء الأندلس عرفن بالتفنن في الزينة والتماجن في أشكال الحلي)[١٢]،وامتلكت زوجة المنصور الكثير منها حتى أنها باعتها وتبرعت بثمنها لصنع التفاحات الثلاث التي تزين مسجد الكتيبة [١٣]،ومن أشكال هذه الحلى نجد القرط الذي يعلق في أسفـــــــــل الأذن[١٤]،والخواتم و الأساور والخلاخيل التي تلبس في أسفل الساق[١٥] ،وكذلك السلك الذي يعد نوعا من أنواع الحلي التي تزين العنق[١٦].

١-نقلا عن ابن الخطيب:الإحاطة،ج٢،ص.٥٠٢

٢- طاهر الصدفي :المرجع السابق.

٣-الونشريسي :المصدر السابق،ص.٥٩

٤- الادريسي:نزهة المشتاق ،ج٢،ص.٢٣١

٥- نفسه: ص.٢٢٧

٦-ابن الخطيب:،نفسه،ج١،ص.١٣٩

٧-ابن القطان:المصدر السابق،ص.٩٣

٨- الونشريسي :نفسه ،ج١، ص.١٤٥

٩- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص.٣١٥

١٠- الادريسي :نزهة المشتاق ،ص.٢٢٥

١١- الونشريسي :نفسه،ج١١/،ص١٤٥

١٢- ابن الخطيب :نفسه،ج١،ص.١٣٩

١٣-الوزان:المصدر السابق،ج١،ص. ٢٣١

١٤-ابن القطان:نفسه،ص.٩٣

١٥- ابن منظور:المصدر السابق،ج١،ص. ٢٣١

١٦- التادلي:،المصدر السابق،ص١٠٠.

ومن كانت تفتقر إلى كسب ما تذهب به حفل الزفاف كانت تستعير ما يلزمها من صديقاتها[١]،وهذا ما تسبب في الكثير من المشاكل بين الزوجين،لأنه في العرس كانت بعض النساء تفقدن بعض الأشياء المستعارة وهذا ما دفع الرجال إلى نهي زوجاتهم عن هذا التصرف[٣].

ولإحياء حفلات الزفاف استدعى المغنون والمغنيات،وغالبا ما كانوا من السودان لاشتهارهم بالرقص والضرب على الدفوف[٤]،فكان الرجال منهم يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون، ونسائهم كن يضربن على لآلة اللعب ويغنين[٥]، واحترف آخرون هذا العمل فالعديد من الزهاد قبل اعتزالهم لحياة اللهو والمجون كانوا يغنون في الأعراس[٦]، ولاشتمال حفلات الزفاف على الكثير من المناكر والمفاسد فإن الفقهاء قد دعوا إلى تجنب الحضور في مثل هذه الحفلات ،ويذكر الونشريسي لنأصفة العرس: قائلا" صفة العرس أن يحضر المزامير... فيجتمع مع الفساق ويخرجو لهم إلى موضع واسع ،فيجلبون الخمر ويشربونها ،وإن كان الليل يحضرون النساء والزواني مختلطات معهم،ويجتمع أهل الموضع الرجال معهم النساء فوق اسقاف الديار وعلى الجدران والطرق"[٧].

أما عن كيفية نقل العروس إلى بيت الزوجية فإن البيذق يذكر،إنه لما دخل المهدي مدينة تلمسان وجد بها عروسا تزف لبعلها وهي راكبة على سرج ،واللهو والمنكر أمامها:فكسر الدفوف وغير المناكر وأنزلها عن السرج [٨]، وكان الاحتفال يقام في الشارع أحيانا[٩] ،وفي العرس استخدم الطهاة لطهي الطعام وتهيئ الحلويات اللازمة في العرس[١٠]،

١- التادلي:المصدر السابق،ص.١٠٠

٢- القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص.٣٠

٣- :المصدر السابق:ج٤،ص.٢٣٢

٤-الزجالي:المصدر السابق،ج٢،ص:٢٠٢

٥- ابن غازي:المصدر السابق،.٣٩

٦-التادلي:نفسه،ص.٣٠٧

٧-الونشريسي،نفسه،ج٣،ص.٢٥١

٨- البيذق:المصدر السابق،ص.٣٩

٩- الحميري:جذوة المقتبس ،ص.٣٤

١٠-ابراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس ص٣١.

وبعد إطعام الضيوف ،تدخل العروس مع عريسها إلى غرفة من غرف المنزل الذي يقام فيه الحفل وتجلس امرأة إلى جانب باب الغرفة تنتظر إعلان فض بكارة العروسة[1]وجرت العادة أن يتجه العروسان بعد انتهاء الحفل إلى بعض الصلحاء برسم الدعاء لهما والتبرك عليهما ويضحكمهما – الولي الصالح- حتى يقع بينهما الأنس والـليف المأمول وينصرفوا لبيت بنائهما[2]،وكان الحفل يستمر سبعة أيام ،وعرف اليوم الأخير بسابع العروسة[3].

وشاع في تلك الفترة زواج المتعة الذي رأى فيه طلبة العلم وسيلة لتجنب الوقوع في الرذيلة ،وكان الزوجان يحددان مدته ويعقدانه دون ولي،ولم يتـــــجاوز المهر فيه نصف درهم[4] وسجلات حالات للزواج السري[5] وكذلك حالات أخرى كانت نادرة للزواج بطرق غير شرعية[6].

- الأبناء (تربيتهم وتعليمهم) .

ولأن المال والبنون زينة الحياة الدنيا فقد كان الزوجان بعد الزواج يبدآن بالاستعداد لاستقبال مولودهما الأول، وكثيرا ما كان الزوج يحبذ إنجاب الذكور لإعانتهم على أعباء الحياة في المستقبل[7]،وحتى في تلك الفترة استخدم الناس طرق بسيطة وبدائية لتحديد جنس المولود، وإثناء فترة الحمل عمل الزوج على تلبية رغبات زوجته وخاصة ما تشتهيه من مأكولات حتى لو كان أمر جلبها صعبا[9]، وعندما يحين الوضع تدخل المرأة مرحلة صعبة، - فترة المخاض- فكثير من النساء استعصت عليهن الولادة،ولأن أغلب النسوة في تلك الفترة لم يكونوا على مستوى كبير من الثقافة والتعلم، فقد كانوا يؤمنون بالخرافات والشعوذة

١- الوزان :المصدر السابق،ج١،ص ص ١٩٩-.٢٠٠

٢- محمد بن علي محمد على الصباغ القلعي:بستان الأزهار، ورقة ٥٢

٣- الونشريسي:المصدر السابق،ج٤،ص

٤- ابن رشد:المصدر السابق،ج٢ ،ص ص ٥٦-٥٧ ، وزواج المتعة محرم في المذاهب الأربعة ،أنظر عبد الرحمن بن محمد عوض الحريري ،كتاب الفقه على المذاهب الأربعة،دار ابن حزم ،بيروت ،ط١،٢٠٠١ ،ص٨٠١-٨٦٢

٥- الونشريسي :نفسه،ج٣،ص

٦- نفسه:ج٣،ص.١٣٠

٧- ابراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص٣٣

٨- نفسه:ص.٣٤

٩- نفسه،ص٣٣.

ويرون في اللجوء إليها نوعا من التخفيف من آلام المخاض وتسهيل الوضع عليهن ومنها أن مؤدى الكُتاب يقوم بإرسال الصبيان يطلقون رداء يمسكون بأطرافه ويتجولون في طرق المدينة، مرددين بعض الدعوات ،وأثناء قيامهم بهذا العمل يلقي أصحاب الدكاكين والمارة التين والبيض والدراهم،ومرور الصبية أضرحة الصالحين بالمدينة ويغطسون الرداء في السواقي والصهاريج حتى تنكسر بيضه أو عدد من البيض الموجود في الرداء فيعتقدون أن الحامل قد وضعت وتخلصت من أوجاعها فيعودن إلى المكتب ويستحوذ المؤدب على ما فيه من مواد ودراهم[١]وكانت القابلة هي من يشرف على هذه العملية فيذكر ابن خلدون أن دور القابلة تمثل في استخراج المولود الأدمي من بطن أمه"[٢]وفي العائلة الثرية كانت الطبيبة هي من يشرف على ذلك فنساء المنصور كانت تشرف عليهن أخت ابن زهر وابنتها[٣]،وبعد الولادة تبدأ وفود المهنئين بالقدوم للمباركة وإبداء الفرحة بالمولود الجديد[٤]،وكان ميلاد الذكر مدعاة للفرحة والسرور في الأسرة أكثر من ميلاد الأنثى[٥]،فعندما غادر المهدي بن تومرت مراكش متجها إلى أغمات سمع زغاريد ،وعندما سأل عن سبب ذلك أجابوه بأن امرأة ولدت صبيا[٦]،وفي اليوم السابع من الولادة كانت الأسرة تقيم حفلا للمولود عرف بالعقيقة [٧]، وكان هذا الحفل مكلفا خاصة على الأسر البسيطة التي لا تملك الكثير ،فالمتصوف أبو يلخيت الأسود(ت٦٠٢ هـ/١٢٠٢ م) أهدى أحد الفقراء ثورا ليطعمه أهله لأن زوجته نفست ولم يجد ما يطعمها إياه أو يقيم به حفل العقيقة[٨]

لم تحظ بعض الأسر بنعمة الأولاد لأن أحد الزوجين عانى من داء العقم[٩]أو أن الموت كانت تحصد أحد أولادهم[١٠] منذ الولادة،في حين حظيت أسر أخرى بعدد كبير من

١- ابراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص.٣٣

٢-ابن خلدون : المقدمة ،ج٣،ص١٠٣.

٣-ابن أبي اصبيعة:المصدر السابق،ج٣،ص

٤-ابن دحية:المصدر السابق،ص.١٧٩

5-Levi provençal:op.cit p:404.

٥- البيذق :المصدر السابق،ص.٤٩

٦- الونشريسي:المصدر السابق،ج١،ص.٢٢

٧- التادلي:المصدر السابق،ص.٣٨١

٨-نفسه:ص.٢٨٧

٩- التادلي:نفسه،ص٣٥٧.

الأطفال[١]،ولم كل الأطفال المولودين بصحة جيدة فالكثير من الأمهات رزقن بأطفال مشوهين[٢]

اهتماما بأطفالهم قام الكثير من الآباء بشراء أنواع من اللعب لهم خاصة في عيد النيروز وتمثلت هذه اللعب في بعض التماثيل والصور، إلا أن الفقهاء نهو الآباء عن شراء مثل هذه اللعب لأبنائهم ،وأباحوا لهم بعض اللعب كالدوامات والزرابيط[٣]،وأعدت حلوى المدائن الكبيرة التي تحتوي على أصناف من الفواكه وهذا النوع من الحلويات صنع في الأسر الثرية دون غيرها.[٤]

من خلال كتب النوازل وغيرها من المصادر التي تعود للفترة موضوع الدراسة ينمكن معرفة المعدل التقريبي للأطفال داخل الأسرة الواحدة ،حيث كانت الأسرة تتألف من ثلاث أطفال [٥]،أو أربعة أطفال وحتى خمسة فأكثر من ذلك[٦] فالمعدل العام كان بين ثلاثة إلى أربعة أطفال إلا أن عددهم في البوادي كان يزيد عن ذلك بكثير[٧].

١- المقري:أزهار الرياض،ج٥،ص٧٢.

٢- السلفي:المصدر السابق،ص.٥٩

٣- ابن رشد:المصدر السابق،ج٢،ص.٣٦٥

٤- ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب،ج٢،ص.٢٩٤

٥- أبو العباسي المراكشي:المصدر السابق،ج١،ص.٢٣١

٦-الونشريسي :المصدر السابق،ج٣،ص.١٤٧

٧-نفسه:ص١٤٩.

المشاكل الأسرية:

عرفت الأسر عبر كل الأزمنة فترات الانسجام والتفاهم،كما عرفت الكثير من المشاكل والأزمات التي هزت استقرارها،وفرقت شملها بالطلاق أحيانا، والفترة الموحدية هي الأخرى شهدت الكثير من المشاكل ،وهذا ما تدل عليه وتوضحه النوازل الكثيرة التي طرحت بخصوص هذا الموضوع.

ومن هذه المشاكل التي كانت شائعة جدا في تلك الفترة هي مشكلة الضرب المبرح للزوجة، وعدم إنفاق الزوج عليها(١)،حتى إن إحدى النساء شكت إلى الولي الصالح أبو العباس السبتي ضرب زوجها الدائم لها، حتى أنها كادت تقدم على الانتحار برمي نفسها من البئر وعندها نصحها أبو العباس السبتي بالقيام بأمور معينة للحفاظ على بيتها وإرجاع الاستقرار إليه(٢)،وهذا يوضح الدور الاجتماعي الكبير الذي يلعبه الأولياء الصالحين في معالجة المشاكل الأسرية،وكان إقبال النساء وحتى الرجال عليهم كثيف أملا منهم في تسوية أوضاعهم وتحسينها، وبالإضافة إلى الأولياء الصالحين لجأ الناس من أجل القضاء على مشاكلهم الأسرية العالقة، وكثيرا ما كان القضاة يأمرون بوضع أمينة من النساء المعروفات الصلاح والتقوى لضمان شهادتهم،وكانت الأمينة تقيم لفترة في بيت الزوجية موضوع الجدل من أجل معرفة المتسبب الحقيقي في المشاكل ليكون حكم القاضي عادلا(٣) وكان تعدد الزوجات أحد أهم الأسباب المحدثة للمشاكل وخاصة أن أغلب الأزواج لم يكونوا عادلين في معاملة زوجاتهم ويفضلون واحدة على البقية فأهل افريقية كانوا يتداولون مثلا الحث على تفضيل الزوج للزوجة الثانية ولو كان في ذلك هضم لحقوق الزوجة الأولى (٤)

وكانت طلبات الزوجات التي لا تنتهي وعـدم قدرة الأزواج على مجاراة زوجاتهم في طلباتهن سببا آخر لبث جو من الـــتوتر وعدم الانسجام بين الزوجين (٥) ،وأيضا عرفت

١- الونشريسي:المصدر السابق،ج٣،ص.١٣١

٢- الهواري:مناقب أبو العباس السبتي، ورقة ٢١

٣- الونشريسي: نفسه،ج٣،ص .١٣١

٤- رضا الكشر:أمثال شعبية تونسية ،مجلة التراث الشعبي ،تصدر عن دار الجاحظ للنشر ،وزارة الثقافة والاعلام ،العدد الثالث ، السنة ١٣ ،١٩٨٢ ،ص ٤٣ المثل يقول " الثانية محبوبة لو كان نقدها خروبة".

٥- الزجالي :المصدر السابق، ج٢، ص:٣٤ يقول المثل بيع كساك واعمل كذاك .

تسبب في الكثير من المشاكل[1] وأحيانا كان الزوج يتفق مع ولى الزوجة على أن ترافقه زوجته إلى كل مكان يذهب إليه،وذلك قبل الدخول بها، ولكن بعد الدخول بها يرفض الأب وابنته فكرة المغادرة من البلدة إلى مكان ـآخر، وهذا النوع من المشاكل كان يحل على يد القضاة اللذين كانوا يقضون بمرافقة الزوجة لزوجها أينما حل[2]

ومن أهم المشاكل التي ضربت استقرار الأسر، التي لم يرتبط حدوثها بفترة معينة دونا عن أخرى، أي أنها كانت قبل قيام دولة الموحدين واستمرت بعد زوال سلطانهم،وحتى إلى أيامنا هذه، وهذه المشكلة هي مشكلة الخيانة الزوجية فابن قزمان الذي عاش في اواخر دولة المرابطين يذكر أنه أعجب بزوجة جاره وراودها عن نفسها وتمكن من وطئها، وهو يصرح بذلك في أزجاله بدون حرج[3] ويذكر صاحب التشوف أن المتصوف أبو يعزى تمكن من اكتشاف خيانة أحدهم لأخيه بوطئه لزوجته في غيابه[4] وهذا في وقت نهانا عز وجل عن الزنا بقوله **" وَلاَتَقْرَبُوا الزنَا اِنَهُ كَانَ فَاحِشَةَ وَسَاءَ سَبِيلاً" (٥)**

وحالات الخيانة الزوجية غالبا ما كانت تحدث في حال عدم تكافؤ الزوجين كأن يكون الرجل كبيرا في السن بالمقارنة مع زوجته، وكان مثل هذا العمل سببا وجيها بموجبه تقتل المرأة عقابا لها لما اقترفته[5]

وكثيرا ما كانت المرأة هي المتسبب الأول في المشاكل، فزيارتها الكثيرة والمتكررة لأهلها أحد الأسباب التي تغيض الزوج وتزعجه ،حتى أن الفقهاء أفتوا أنه من حق الزوجة زيارة أهلها من حين إلى آخر ولكن في حدود المعقول[6]

ومن المشاكل التي كان الرجل هو المتسبب فيها غيابه المطول عن البيت، وذلك لعدة أسباب كالتجارة أو الحج أوالجهاد، وعند انقطاع أخبار الزوج كانت الزوجة تتقدم إلى القاضي لتطلب منه السماح لها بالزواج من آخر، غير أن القضاة كانوا يتشددون في هذا الأمر، ويؤكدون على ضرورة التيقن من وفاة الزوج للاقدام على آية خطوة بعد ذلك[1].

١-البكري: المصدر السابق، ص :١٨٧.

٢-الونشريسي : المصدر السابق،ج٣، ص١٥٩.

٣-ابن قزمان: المصدر السابق،ورقة ١٣

٤-التادلي: المصدر السابق،ص٢١٤

٥- سورة الاسراء.الآية .٣٢

٦-البكري: نفسه، ص:١٨٧

٧-الونشريسي: نفسه ،ج٣،ص ١٠٨

وكانت طباع الزوج وأخلاقه أحد أهم العوامل التي تحدد وضعية الأسرة ،فقد كان الكثير من الرجال يدعون الصلاح والورع من أجل الزواج،وبعده يظهرون على حقيقتهم الفاسدة، فكثير منهم كان من معاقري الخمرة،ومخالطي أهل اللهو والفساد،وهذا ما كان يدفع ببعض الأولياء إلى رفع دعوى للتفريق بينهما، من أجل تخليص بناتهم من مثل هؤلاء وخشية منهم أن يفسد الأزواج طباع بناتهم ودينهن[٢].

واختلاف المذهب الديني بين الزوجين يعد من بين مسببات الخلاف والتوتر بينهما، فيشير الونشريسي إلى زواج الكثير من الرجال السنيين من نساء شيعيات، وتذكر إحدى نوازله إلى أن رجلا سنيا رغب في الزواج من شيعية لها الفائق، ولكنه خشي على نفسه الفتنة في مذهبه السني[٣]

وبعض المشاكل كانت تتسبب في حل الرباط المقدس بين الزوجين ،ولا يحدث هذا إلا بعد السعي لحل تلك المشاكل بطرق مختلفة ،وعند الوصول إلى باب مسدود وفشل كل محاولات الإصلاح يحدث أبغض الحلال عند الله،وبحدوث الطلاق يتحمل الرجل كمسؤولية أخرى تثقل كاهله وهي مسؤولية النفقة المفروضة عليه تجاه طليقته وهو أمر مفروغ مه عند المسلمين إلا أن مقدار النفقة كان مربوطا بإمكانيات الرجل ومستواه المادي .

١- الونشريسي: المصدر السابق، ج٣، ص ص :٤٣٠-٤٣٢

٢- نفسه: ج٣، ص.٢٧٢

٣- نفسه: ج٣، ص ص :٢٠٠-٢٠١

٤- ابراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس ،ص : ٤

٤ العادات الجنائزية:

حتى الموت اعتبر حدثا اجتماعيا هاما ،ومع أنّه حدث مؤلم إلاّ أنّه لم يخل من مظاهر الاحتفال وارتبط بالكثير من العادات التي تشابهت عند المسلمين في شتى بقاع المعمورة،ويبدأ القيام بهذه العادات حتى قبل الموت،وهذا ما نجده عند الأولياء الصالحين خاصة،الذين كثيرا ما يحسون باقتراب أجلهم ،فيحضرون لجنازتهم وهم على قيد الحياة.

كان بناء المقابر أو تحضير ضروري لاستقبال الموتى،وفي الشريعة الإسلامية ينصح بالإسراع بالدفن، حتى قيل إكرام الميت دفنه ذلك لعدة اعتبارات ،فقد عرفت منطقة الغرب الإسلامي بناء المقابر منذ الفتوحات الإسلامية لها ،وكان المسلمون يقيمون مقابرهم خارج المدينة وبجوار أبوابها[١]،وكانت تقتطع أراضي واسعة وتخصص لبناء المقابر،ولهذا الغرض حبس بعض الأغنياء أراضي واسعة[٢]،وقد خصّصت بعض المقابر لاستقبال الوجهاء والأعيان من رجال الدولة والخلفاء وأفراد أسرهم دون سواهم[٣]،وكان بعض الناس وخاصة المتصوفة يقومون بحفر قبورهم بأنفسهم أو يتركوا وصية يحددون فيها الشخص الذي يقوم بحفر قبرهم[٤].

ومن العادات التي ارتبطت بالموت إقدام الكثيرين على ترك وصية لأبنائهم أو أحد أقربائهم أو أصدقائهم،وتضمّنت هذه الوصايا أمورا عدة، منها تحديد المكان الذي يرغب الميت أن يدفن فيه[٥]،فالششتري اختار مقبرة دمياط ليدفن بها[٦]،وحدّد بعضهم في وصيته الشخص الذي يقوم بالصلاة عليهم[٧]،وأوصى البعض أيضا بالمكان الذي يصلى فيه عليه[٨]

١- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص.٢٢٣

٢-التادلي:المصدر السابق،ص.٢٠٦

٣-ابن عذارى:المصدر السابق،قسم الموحدين،ص.٣٤

٤-التادلي:نفسه،ص.١٤٤

٥-ابن الأبار:المعجم،ص.٣٠٤

٦- المقري:نفح الطيب،ج٥،ص.١٨٧

٧-ابن عذارى:نفسه،ص٢٣١-٢٣٢

٨-التادلي:نفسه،ص١٢٦.

وهناك من أوصى بمن يغسله إذ أوصى أبو محمد عبد الله المليجي أن يغسله عبد الجليل[١]،وأوصوا أيضا بالشخص الذي يقوم بحفر القبر لهم[٢]،وأوصى أحدهم بشراء كفن وقلة وقدح قبل وفاته،وأمر أبو مور الدكالي أن تكون مصاريف جنازته من الدراهم التي تركها تحت فراشه، وهو ثمن المصحف الذي باعه،وكذلك أوصى بالاحتفاظ بقلنسوته التي حج بها أربع وعشرين سنة،[٣]وأوصى أبو الحسن على بن محمد الزواوي أولاده حين بكوا عليه بقوله" لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض فأتوا إلى قبري واذكروا واشكوا همكم واسألوا الله يفرج عنكم[٤]وكثيرا ما رغب الناس الموت يوم الجمعة،وهذا لما لهذا اليوم من فضل كبير عند المسلمين[٥]فأبو عبد الله محمد بن الحسين اليصـــــلتي (ت٥٩٥ هـ/١١٩٨م) دعا ربّه الموت يوم الجمعة بعد صلاة الصبح[٦].

عمل الكثير من الأولياء الصالحين على التجهز لملاقاة خالقهم ،حيث كانوا يتنبؤون باقتراب أجلهم[٧]،فيقومون بالاغتسال والتزين والتطيب قبل موتهم[٨]،ويطلبون من الفقراء الالتفاف حولهم لمساعدتهم ويوصونهم بالتقوى وغيرها من الأعمال الصالحة[٩]،وكانت جنازات الأولياء الصالحين كثيرة الحشود [١٠]،وكذلك جنازات العلماء والفقهاء الأفاضل،[١١] وكان الأعيان والوجهاء وأهل العلم والفقهاء يدفنون في مقابر خاصة فالطبيب بن زهر دفن في روضة الأمراء بمراكش، وكانت جنازته مشهدا عظيما.

١-التادلي:المصدر السابق،ص.١٢٤

٢-أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج٤،ص.٣٥٦

٣-التادلي:نفسه،ص١٤٥-١٨٧-٥٢٦-٤٠١.

٤-الغبريني:المصدر السابق،ص.١٣٤

٥-ابن عبد الملك:المصدر السابق،ق١، س٠٥،ص .٣٧١

٧-التنبكتي:نيل الابتهاج،ص٨٣

٨-ابن أبي زرع:المصدر السابق،ص.٧١

٩-جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية ،ص.٢٢٥

١٠-أحمد بابا التنبكتي :نفسه،ص١١١

١١-ابن عبد الملك:نفسه ،ق١، س١ ،ص.٢٣١

١٢-أبو العباس المراكشي:نفسه ،ج١ ،ص١١٢.

صاحب حدث الموت بعض العادات والتقاليد التي سارت عليها جلّ الأسر في العدوتين، ومنها أنّ الرّجال كانوا يقفون لتقبل التعازي ،في حين تحيط النسوة بالميت يندبنه ويبكين عليه(١)،ومنهن من أقدمت على لطم خدودهم والصراخ أيضا(٢)تعبيرا منهن على مدى مصابهن،ويقمن بذلك وهن حاسرات كاشفات الوجه،لذلك طولب بمنعهن(٣)ومن عادات الأندلسيين ليس البياض للتعبير عن الحزن والأسى(٤)وهذه العادة تعود إلى العصر الأموي ،وقد انتقلت فيما بعد إلى العدوة المغربية(٥) وشاع في تلك الفترة خروج النساء في الجنازة ،وكانت المرأة التي يتوفر زوجها أو ولدها تعاهد قبره كل يوم جمعة(٦)'ولم ينقطع الناس عن عيادة المقابر في الأعياد والبكاء عندها على المفقودين(٧)،ومن عاداتهم أيضا طلي نعش الميت بالزعفران(٨)،كما أحدثوا عادة القراءة على القبر وتكرار زيارته(٩).

ومن المستحدثات عندهم بناء السقائف والقباب والروضات على مقابر الموتى،(١٠) فقبرا المهدي بن تومرت كان عليه بناء متقن كالقبة العالية لكنها غير مزخرفة و لا مزيّنة حتى(١١) ،في حين زيّنت بعض القبور ،حيث اتخذت شواهد بعضها من المرمر ونقش عليها اسم المتوفى وتاريخ وفاته(١٢)،بالإضافة إلى الكثير من العادات الأخرى التي تقبلها الناس وساروا وفقها،وفيها ما استهجنوه وأنكره الفقهاء وأقروا بطلانه لما فيه من مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية ،وأغلب تلك العادات توارثها الناس جيلا بعد جيل إلى أن وصلت عهد الموحدين واستمرت بعدهم،ومنها ما هو باق إلى أيامنا هذه.

١- ابن قنفذ القسنطيني:المصدر السابق،ص.١٠٨

٢-الونشريسي:المصدر السابق،ج٥،ص ص :٤١٩-.٤٢٠

3-Asalki de malga : un manuel Hispanique des Hisba, p68.

٤- ابن الحسن علي ابن بسام الشنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق سالم مصطفى البدري مج ٣، منشورات دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،،ق ٣،م ٢، ط١، ،١٩٩٨ ،ص ٢١٨ .

٥-النبهاني:المصدر السابق،ص.٧٩

٦-الونشريسي:نفسه،ج٦، ص ص ٤١٩-.٤٢٠

٧-ابن قزمان:ديوانه، ورقةa ٢٧

٨- الونشريسي:نفسه،ج٢،ص.٤٨٤

٩-نفسه:ج٢،ص ص ٤٨٥-.٤٨٦

١٠-ابن رشد:المصدر السابق،ج٢،ص١٢٤٢.

(١١)الادريسي:نزهة المشتاق،المصدر السابق ،ج١ ،ص.٢٣٠

١٢-جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،المرجع السابق،ص٣٢٥

المجالس:

إن المجالس المقصودة هنا هي عبارة عن حلقات كانت تقام لمناقشة أمور فكرية متنوعة علمية وأدبية،وقد شهدت المغرب والأندلس الأكثر منها في عهد الموحدين،وكثرة هذا النوع من المجالس يعني تطور الفكر والمكانة الرفيعة والمرموقة لأهله،وهذه المجالس عقدت في أماكن عدة ،فمنها ما عقد في بلاط الخلفاء والأمراء وبحضورهم،ومنها ما عقد في المساجد والبيوت وحتى في الأسواق وأماكن أخرى ويسمى هذا النوع من المجالس بمجالس الوعظ التي اختص فيها العلماء والصلحاء.

مجالس الخلفاء:

انتشرت المجالس العلمية أيام الموحدين انتشارا واسعا،وكان الخلفاء يقومون بالإشراف عليها والمشاركة فيها[١]،وعمل الخلفاء على إثراء هذه المجالس فجلبوا إليها أنبغ العلماء وأجل الفقهاء من شتى الأقطار والبلدان،وكانت هذه المجالس تعقد في قصورهم وقصور الأمراء[٢]،ولأن قصور الخلفاء كانت مليئة بالعلماء والفقهاء وأهل كل فن فهذا يعني أن موضوعات المجالس كانت متنوعة ،وكان المنصور يخصص لكل فن من هذه الفنون يوما من أيام الأسبوع للخوض فيه والبحث في أغراضه،وكان المنصور من الخلفاء الذين يشاركون بأنفسهم في المناقشات التي تحدث في تلك المجالس[٣]،خاصة إذا علمنا أن أغلب الخلفاء الموحدين عرف عنهم حبهم للعلم ورجاله وتمتعهم بقدر كبير من العلم .

وكانت هذه المجالس تدار في نظام شديد وذلك حتى في كيفية الجلوس ،فكان الخليفة يتصدر الجلسة ويجلس بجانبه الخطيب الجماعة ثم قاضي الجماعة بمراكش فرئيس الأطباء، فأكبر العلماء في تلك الفترة فباقي الأعـــلام الحاضرين،[٤] بعدها يفـــتح باب المناقشة حول موضع علمي أو أدبي ،ويكـون الخليفـة هو البادئ.

بذلك أو يسمح لأحد العلماء بذلك،وكانت المجالس تخـتتم دائما بالدعاء للخليفة [١]وكان عدد

١- محمد قريبز:الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين،رسالة ماجستير جامعة الجزائر،١٩٨٦ ،ص.١٩

٢- ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق،ص.٢٧٥

٣-محمد الرشيد ملين:المرجع السابق،ص ص :١٦٣-.١٦٤

٤- المنوني :حضارة الموحدين ،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ،المغرب،١٩٨٩ ،ط١،صص٨٨.

الخلفاء والمفكرين الذين حضروا هذه المجالس كبير جدا منهم الطيب بن زهر(ت ٥٩٥ هـ/١١٩٨مم)[٢]وابن طفيل(٥٨١هـ/١١٨٥م)[٣] وابن رشد الفيلسوف(ت ٥٩٥ هـ/١١٩٨م)[٤]والطيب أبو الحجاج يوسف بن أحمد على المربيطري(ت٥٦٠ هـ/١١٦٤م) الذي كان يدخل المجلس للمذاكرة في العربية[٥] وعبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن التجيبي[٦] وأحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حريث بن عاصم ابن مضاد بن مهند بن عمير اللخمي القرطبي (ت٥٩٢ هـ/١١٩٥م) وكان من كبار حضار مجلس أبي يعقوب[٧]،وعبد الرحمان بن دحمان بن عبد الرحمان الأنصاري (ت٦٣٦هـ/١٢٣٨ م) [٨]، وعبد الله بن علي بن أبي العباس من أهل مالقة الذي كان من جلساء يوسف وأبيه عبد المؤمن[٩].

ومن الموضوعات المتداولة في تلك المجالس العلمية موطأ المهدي بن تومرت حيث عرضه أبو يعقوب بن يوسف بن وانودين في أحد مجالس الخليفة عبد المؤمن بن علي في جمع من أشياخ الموحدين[١٠]،وتطرقت هذه المجالس أحيانا إلى المشاكل اليومية التي يعيشها الناس، ومنها أن يحي بن العزيز الزيري – ملك بجاية قبل استيلاء الموحدين عليها ثم أحضره معه إلى مراكش،كان في مجلس عبد المؤمن بن علي يوما فذكر الحاضرون تعذر الصرف وشاركهم القول في ذلك يحي في أنه يعاني من ذلك أيضا لأن خدمه لا يجدون العملات الصغيرة متوفرة [١١] ،فلما سمع عبد المؤمن ذلك أمر

١- المنوني:حضارة الموحدين، ص ٨٨.

٢- أبو العباس المراكشي :المصدر السابق،ج١، ص .١٣٤

٣-ابن سعيد المغربي :المغرب في حلي المغرب،ج٢،ص.٨٥

٤-ابن عبد الملك:المصدر السابق،سفر،٠٦ ،قسم ٠١ ص ٣١

٥-ابن أبي أصبيعة :المصدر السابق،ج٣ ،ص .١٢٨

٦-حسن علي حسن:المرجع السابق،ص ص :٤١٥-.٤١٦

٧-ابن عبد الملك،نفسه:السفر الأول، القسم الأول،ص.٢٢٠

٨-أبو العباس المراكشي:نفسه،ج٨،ص.٨٩

٩- بن عسكر :أعلام مالقة، تقديم عبد الله المرابط الترغني،دار الغرب الإسلامي،بيروت دار الأمان،الرباط،ط١ ١٩٩٩،ص،.٢٢١

١٠- حسن علي حسن،نفسه،ص.٤١٦

١١- المراكشي،المصدر السابق،ص٢٠٧.

بتحقيق طلبهم وتوفير العملات الصغيرة للتداول[1]،وهذا يعني أن هذه المجالس التي كانت تدار في قصور الخلفاء ،بالإضافة إلى أنها كانت أحد العوامل الأساسية في تشجيع البحث في المجالات العلمية وتقريب العلماء وإكرامهم،فإنها لم تغفل عن مناقشة أمور الرعية وما يواجهون من مشاكل والعمل على حلها.

مجالس الوعظ:

وهي نوع آخر من المجالس،وكانت هذه الأخيرة بمثابة مدارس شعبية عملت دوما على تثقيف الناس وتنويرهم خلال العصور الوسطى،ومثل هذا النوع من المجالس يعكس حرية التدريس ،إذ كان مسموحا لأي فرد أن يحضر هذه المجالس،وأن يسأل عن كل ما كان مبهما وغير واضح بالنسبة إليه[2]،وكانت هذه المجالس تقام بإشراف العلـــــــماء والصلحاء[3]،وكان هذا النوع من المجالس إلى وقت متقدم يعقد في المساجد[4]،والمدارس والرباطات الصوفية والبيوت والمقابر[5] ،وحتى في الأسواق، والشوارع، حيث كان أبو العباس السبتي يجلس حيث أمكنة الجلوس ويقوم بوعظ الناس وحثهم على الصدقة ،مذكرا إياهم بالآيات والاحاديث النبوية التي تدعوا إلى ذلك[6]‘وكان للولي الصالح الذائع الصيت أبو مدين شعيب مجلس وعظ مشهور يقصده الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم ودرجـــات تعلمهم[7]،وكثرت مجالس الوعظ والوعاظ في تلك الفترة ومنهم أيضا الشيخ أبو تميم من أهل وهران[8]،والفقيه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري البلسني(ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م) الذي عقد مجالس وعظه بمراكش وآغمات وحواضر الأندلس قبلهما[9]،وخلف بن يحي بن

١- المراكشي:المصدر السابق،ص.٢٠٧

٢-بدري محمد فهد: "الحياة اليومية في المدينة العراقية"،المدينة والحياة المدنية،ج٢ بغداد ،١٩٨٨ ، ص.٢٣٣

٣-البرزلي :المصدر السابق،ج٦،ص.٤٢٨

٤- لسان الدين بن الخطيب:الكتيبة الثامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان،١٩٨٣،ص.٥٥

٥- بدري محمد فهد،نفسه،ص.٢٣٤

٦-أحمد بابا التمبكتي:نيل الابتهاج بتطريز الديباج،المطبعة الجديدة بفاس،المغرب د.ت.ط ص.٣٣

٧- نفسه:ص.١١١

٨- مصطفى بن ذرفة:الحلة القمرية في السيرة المحمدية ،مخطوط رقم ٢٥٩٧ ورقة ٤٨b

٩-ابن عبد الملك:المصدر السابق،السفر السادس،القسم الأول (تحقيق بن شريفة) ص ص ٣٤٦-٣٤٧.

خطاب الزاهد[1] من أهل قرطبة،الذي كان له مجلس وعظ في جامع الزاهرة،وكان يقصده الكثيرين ،ومجالس الوعظ هذه لم تقتصر على الرجال فقط،إذ أن النساء حضرنها أيضا للاستفادة مما يلقى فيها ، وقد جلس في المساجد في أماكن مخصصة لذلك، وهذا رغم إنكار بعض العلماء لذلك،وكان لمجالس الوعظ أيام محددة من الأسبوع كيوم الاثنين والخميس[2]،وكانت كل حلقة من حلقات الوعظ يلقي فيها أمر محدد ، يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل مجالسا أقرأ فيها الطلبة علم الكلام[3]

مجالس عامة:

وهي مجالس اختص بعقدها الأمراء والولاة وأكابر رجال الدولة في قصورهم ومنتدياتهم،وقد حضرها الأدباء والشعراء وغيرهم من أهل الفكر ،وتواجدهم كان كثيفا بالأندلس وساهم احتكاك المغرب والأندلس ودخول الأندلس في طاعة الموحدين في انتقال أعداد كبيرة منهم إلى المغرب و التفوا حول الأمراء و أولوا الأمر، ونزلوا بمراكش وفاس وتلمسان الذين اشتهروا بمثل هذه المجالس[4] كما اشتهرت اشبيليا الأندلسية بها[5] ومن هذه المجالس مجلس الأمير أبو زكريا بن يوسف بن عبد المؤمن الذي كان من بين من حضر مجلسه المراكشي صاحب المعجب ،وأبو إسحاق إبراهيم الزويلي الشاعر المجيد،وكذلك مجلس صاحب بستة الأمير أبو يحي بن أبي زكريا الذي ضم أبو الوليد الشقندي وأبو يحي بن المعلم الطنجي حيث وقعت المناظرة في المفاضلة بين الأندلس والمغرب[6] ولم يكتف الأمراء والولاة بشرف تنظيم مثل هذه المجالس وحضورها فقط بل كانوا يشاركون الحاضرين في المناقشة وإبداء آرائهم تجاه الموضوع المطروح.

وبهذا كانت هذه المجالس مجالا واسعا ساهم في نشر العلم في المجتمع، ولم تقتصر هذه المجالس على الرجال فقط بل حضرت بعضها النسوة فقط،ولم تميز بين طبقات

١- ابن الآبار:التكملة،،ج١،ص،٣٠٤

٢- الغبريني:المصدر السابق،ص.٣٧

٣-ابن مريم:المصدر السابق،ص.٣٠٠

٤- حسن علي حسن:المرجع السابق،ص.٤١٧

٥- المنوني:حضارة الموحدين،ص ص ٣١-٣٢.

المجتمع حيث حضرها الوجهاء والأعيان والوزراء كما حضرها العامة [١] وما زاد في انتشار هذه المجالس هو أن خلفاء الموحدين خاصة الأوائل تمتعوا بقسط وافر من التعلم، وعرف عنهم حبهم للعلم والعلماء ،فالمنصور أنشأ قصرا خاصا بمراكش سماه قصر الطلبة، استقبل فيه العلماء الوافدين إلى حضرته[٢]،ومن قبله جده عبد المؤمن كان قد أقر إجبارية التعليم في بلاده على الجنسيين الذكور كما الإناث[٣]، وهذا ما سيعطي جيلا محبا للعلم يعمل على تطوير البلاد.

الصحة و وسائل العلاج:

تفشت في تلك الفترة الكثير من الأمراض والأوبئة والمجاعات وهذا غير مستغرب، إذ عرف ما مرت به المنطقة من فترات اضطراب وحروب لم تبق على شيء إلا و دمرته، ومن الأمراض التي كانت منتشرة مرض الحميات والطحال بين أهل أودغشت[٤] ومرض العيون بين سكان سجلماسة[٥] ومرض الجذام المعدي،[٦] لهذا السبب فقد كان انتشاره كبيرا في العدوتين ،ولنفس السبب عمد أولى الأمر بالدولة إلى عزل المصابين به في حارات خاصة بمراكش وفاس أو في كهوف ومغاور خاصة ،وتفشى مثل هذا المرض خلف العديد من المشاكل في المجتمع ،إذ تقدمت الكثير من النساء بشكوى ضد أزواجهن المصابين بهذا الداء طالبين فيها التفريق بينهم خوفا من انتقال العدوى إليهن[٧]،وكذلك انتشرت الكثير من الأمراض في أوساط الأطفال منها القروح التي تصيب الرأس ،وداء الحية الذي يسبب تقشر الجلد وسقوط الشعر،[٨] وداء السعفة المتمثل في قروح تخرج بوجوه الأطفال ورؤوسهم'

١- ابراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس،داراالفكر العربي ،بيروت،لبنان ،دت .ط، ص.٦٠

٢- محمد الرشيد ملين،المرجع السابق،ص.١٦٨

٣- عبد المجيد النجار،المرجع السابق ،ص ٣٦٤.

٤- البكري:المصدر السابق،ص١٥٨

٥- الادريسي:القارة الإفريقية،ص.٦١

٦-أبو مروان عبد الملك بن زهر:التيسير في المداواة والتدبير،تحقيق محمد بن عبد الله الروداني ،مطبعة فضالة المحمدية ،الرباط ،المغرب ،١٩٩٥ ص ٣٧٨.

٧- المحمودي أحمد: المرجع السابق،ص.١٢١

٨- إبراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ص١٠٣

وعرفت أمراض الصداع، والشقيقة، والبرنسام، التي تتسبب كلها في آلام حادة في الرأس،[١] وداء النقرس الذي مات به الخليفة الموحدي المستنصر[٢]،والطبيب الأندلسي أبو الحجاج يوسف المربيطرى[٣]،ومرض الخذر وهو عبارة عن وهن يصيب المفاصل[٤] ،والبرص الذي يصيب جراءه بياض في جميع البدن أو بعضه،[٥] وبعض أمراض المعدة والإسهال[٦]، والمصاب بالبرص لم يمنع من مزاولة عمله ،فقد سمح لبائع الأشربة والمعاجن المصاب بهذا المرض ببيع سلعه دون حرج، [٧] والفالج، والشانج، والذبحة، وأمراض الساقين، والأمراض الجلدية[٨]،ومرض الجدري [٩]،والسعال وسدد الكبد ومرض الفواق[١٠]،وأمراض الكلى والكبد والبواسير[١١]،وداء البطن والرتق والرمد والعقم[١٢]،ومرض القلاع الذي يصيب الفم واللسان.

بالإضافة إلي هذه الأمراض العضوية، انتشرت بعض الأمراض النفسية كالصرع والجنون[١٣]،ويذكر ابن خلدون أن الأمراض الناتجة عن النظام الغذائي المتبع تكثر بين أهل الحواضر والمدن ،لأنهم يأكلون أطباقا متنوعة تحوي مكونات أكثر تنوع على ،عكس أهل البادية الذين لا يعانون من هذه الأمراض لأن أطباقهم محدودة جدا[١٤]

١-الونشريسي:المصدر السابق،ج٥، ص.٢٣٢

٢- عبد العزيز بن عبد الله:تاريخ الغرب ،ج٢،ص.٣٢

٣-ابن أبي أصيبعة :المصدر السابق،ج٣،ص.١٢٧

٤-ابن زهر:المصدر السابق،ص.٣٨٤

٥-جلال الدين السيوطي:الرحمة في الطب والحكمة ،مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت ،لبنان ،دت.ط،ص٧٥

٦- الحسن الوزان:المصدر السابق،صج٢،ص٨٣

٧- الونشريسيك المصدر السابق،ج٥،ص.٥٩

٨- ابن زهر: نفسه، ص ٣٨٥ –٣٨٧ وما بعدها

٩- نفسه،ص٣٧٠

١٠-أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج٣، ص.٢٥١

١١-نفسه:ص.٢٥١

١٢-إبراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص.١٠٣

١٣-ابن زهر:نفسه،ص.٨١

١٤- ابن خلدون :المقدمة ،ج٣،ص،١٩٨.

وأمراض أخرى كثيرة ،تفشت في الغالب في أوساط العامة واستفحلت فيهم لعدم قدرتهم على مجابهة هذه العلل، عدم امتلاكهم الإمكانيات التي تساعدهم على التصدي ومحاربة ما يصيبهم من أمراض ،أما الأسر التي امتلكت إمكانيات كبيرة فقد تمكنت من التصدي لبعض الأمراض ومحاربة تفشيها بينهم وكثيرا ما صاحب انتشار الأمراض فترات الأزمات السياسية والكوارث البيئة التي ضربت البلاد.

اعتنى أولى الأمر في دولة الموحدين بالشؤون الصحية للرعية ولم يقفوا موقف النتفرج إزاء ما يصيب الناس من أمراض و أوبئة فتكت بالكثيرين منهم،فنجد أن المنصور قام ببناء مستشفى بحاضرته مراكش،وعمل جل الخلفاء على تشجيع الأطباء على القدوم إلى المغرب والأندلس بمنحهم المكانة الرفيعة عندهم[١]وبهذا تمكن الخلفاء من إحاطة أنفسهم بأبرع الأطباء وأفضلهم ،وقد لقيت أسرة بن زهر التي عمل أفرادها عند المرابطين والموحدين من بعدهم اعتناءا خاصا من قبل خلفاء الموحدين منذ عصر عبد المؤمن بن علي ،وكان أغلب أفرادها في الخدمة الخاصة للخلفاء وحاشيتهم[٢]ونال الوزير أبو بكر بن طفيل القيسي الوداشي (ت٥٨١ هـ/١١٨٥م)[٣] المكانة الرفيعة عند أبو يعقوب يوسف الذي خدم عنده بالإضافة إلى ابن طفيل الطيب أبو جعفر بن هارون الترجالي[٤]،وأبو الوليد بن رشد الفيلسوف الذي خدم المنصور أيضا[٥]،أما المنصور فقد خدمه عيد الله بن علي بن عبد الله غلندة الأموي وأبو جعفر أحمد بن حسان القضاعي البلنسي الذي كان له كتاب تدبير وأبو جعفر الغزال المري الذي اعتمد عليه المنصور في الأدوية المركبة والمعاجين[٦]،وكان لأبي مروان عبد الملك

بن زهر أخت طبيبة عملت هي وابنتها التي احترفت نفس المهنة في قصر المنصور،وقد

١- صفية ديب: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،٢٠٠١ ،ص.١٦٤

٢- المراكشي:المصدر السابق،ص.٣٣٢

٣-المنوني :حضارة الموحدين،ص

٤-أحمد أمين:ظهر الإسلام ،ج٣، ص ٢٤٦

٥- المنوني:نفسه،ص.١٢٠

٦- نفسه: ص١٢١.

عملن على تطبيب نساء القصر[1]وخدم الناصر أحمد بن عتيق البلنسي المراكشي الذهبي(ت٦١٩ هـ/١٢٢٢م)وأبو مروان بن قبلال الغرناطي[2]،وأبو الحجاج يوسف بن أحمد على المريبطرى (ت ٦١٩ هـ/١٢٢٢م) وأبو بكر بن الحفيد أبي بكر بن زهر(ت ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م) وأبو محمد الشذوني الاشبيلي [3]وأبو عبد الله بن سحنون القرطبي،والمستنصر خدمه عبد العزيز بن سلمة السباجي[4].

ولمداواة الرعية قام الخلفاء ببناء عدد من المستشفيات لاستقبال المرضى، وتوفير الرعاية الصحية لهم،وكان أهمها مستشفى مراكش ،الذي لم يكن له مثيل حسب المراكشي الذي يصفه قائلا:" ما أظن لي الدنيا مثله وذلك أنه تخير مساحة مسبقة بأعدل موضع في البلد وأمر البنائيين بإتقانه على أحسن الوجوه،فأتقنوا فيه من النقوش البديعة ما زاد على الاقتراح وأمران يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك فقي وسطه إحداها من رخام أبيض ثم أمر له من الفرش النفسية من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره ما يزيد عن الوصف وأجرى له ثلاثين دينار في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارج عما جلب إليه من الأدوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء،فإذا أنقه المريض فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يتقوى ،وإن كان غنيا دفع إليه ماله وترك وسببه ،ولم يقتصر على الفقراء دون الأغنياء ،بل كل من مرض بمراكش من غريب ،حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت،وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله،يعود المرضى ويسأل عن أهل كل بيت ،يقول كيف حالكم ،وكيف القومة عليكم"[5]

وعالجت البيمارستانات الأمراض العضـــــــــــوية وبعض الأمـــــراض النفسية

١-عامر النجار:في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية،دار المعارف،القاهرة،١٩٩٤ ،ص.٢٢٨

٢- المنوني :المرجع السابق،ص.١٢٠

٣- ابن أبي اصبيعة:المصدر السابق،ج٣،ص،.٣٠٢

٤- المنوني:المرجع السابق،ص.١٢٠

٥- المراكشي:المصدر السابق،ص٣٣٣

كالجنون[١] ،وأشرف على إدارة هذه المؤسسات الاجتماعية العديد من الأطباء[٢] منهم الطبيب أبو إسحاق الداني ومحمد بن بكر المالقي[٣]،و وجد بها بيت الأشربة والمعاجين والطبية يشرف عليها أفاضل الأطباء[٤]وكان للمستشفى أمين يشرف على السيرالحسن لها[٥].

ولعدم جدوى العلاج عند الطبيب أحيانا وغلاء تسعيرة الكشف الطبي أحيانا أخرى فإن الكثيرين لجأوا إلى العلاج الشعبي ،المعتمد على الأعشاب والعقاقير المقتناة من العطارين المتخصصين في صناعة الأشربة والمعاجين[٦]،مستفيدين بذلك مما تنتجه الطبيعة لمداواة الأمراض والعلل، فكان الناس كثيرا ما يقصدون أحد أنهار مدينة فاس لتفتيت حصى المثانة وأيضا لتخفيف من آثار بعض الحشرات وألام الرأس [٧] واعتمدوا أيضا على مياه الحمامات في علاج بعض الأمراض كالفالج والخدر، ومن هذه الحمامات نجد حمام غرناطة والمرية وبجانة الذين قصدهم الكثيرين لفعاليتهم في العلاج، حيث أن كل من قصـــــدهم برأ من علته[٨]،واستخدمت الكثير من النباتات للعلاج[٩]،فنبات العرعر الذي كان متوفرا في المغرب الأوسط ،من تلمسان إلى المهدية استعمل للتقليل من حدة وجع القلب والخفقان[١٠]، واستعمل سكان سوس زيت الأرغان في معالجة الكلى والبول[١١]،وكان الصنوبر مفيدا في علاج الفالج [١٢]، ولأمراض العيون استعمل الأثمد وهذا كان مأثورا على الرسول(ص)الذي قال":**اكتحلوا بالاثمد فإنه يجلوا البصر وينبت الشعر**"[١٣]وكذلك نصح الأطبـــاء بذلك

١- المراكشي: المصدر السابق،ص:٣٣٣

٢- نفسه.

٣- رحاب خضر فكاوي :الموجز في تاريخ الطب عند العرب،دار المناهل ،ط١ ،١٩٩٥ ،بيروت ص٢٥٠

٤- المنوني :حضارة الموحدين،ص.٩١

٥- نفسه: ص.٩٣

٦- ابن رشد:نفسه،ج٢،ص.١٠٦٣

٧- المحمودي:المرجع السابق،ص.١٢٠

٨- إبراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس ،ص.١٠٤

٩- مجهول :الاستبصار ،ورقة

١٠- ابن خير الدين الاشبيلي:الطبيب في معرفة النبات ،ج٢، قدم له وحققه محمد العربي الخطابي ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط١، ص٤٢٧٢

١١- الادريسي: القارة الإفريقية ،ص١٤١.

١٢- نفسه.

١٣- مجهول :السيرة الشامية ،ج٤ مخطوط رقم ١٦٩٣ ورقة ٣٤٨ ب

والطبيب ابن زهر كان يكتحل بشراب الورد لمعالجة البصر وتقويته[١]،واستعملت الحناء في عـــــلاج داء القرع[٢]،وأمراض أخرى[٣]،واستخدم أهل قلعة بني حماد نبات الفوليون المراني للتحرص من ألم سم العقارب[٤]،وبجاية توافرت على الكثير من النباتات الطبية مثل شجر الحضض والبرناريس والتنطوريون ونباتات أخرى كثيرة [٥]واشتهرت الأندلس بالنباتات الطبية أيضا منها الجنطايانا وهو عقار رفيع يتوفر في لبلة ويحمل من الأندلس إلى كل الحواضر[٦] .واستخدمت شحوم النعام في معالجة الصمم وسائل الأوجـــــــــاع البدنية [٧]،ولحوم السلحفاة في علاج الجذام، ويتم ذلك بتناوله سبعة أيام متتالية ،وكانت بعض الحيوانات البحرية مفيدة في القضاء على داء النقرس والفالج والبرد[٨]،وكذلك استعمل النعنع لأغراض طبية،ونباتات أخرى كثيرة فصل في ذكرها وتوضيع ما تستعمل فيه صاحب الاستبصار[٩]

لجأ الناس إلى الأولياء الصالحين من أجل الاستشفاء ،وهذا لما عرف عنهم من قدرتهم على علاج الكثير من العاهات والأمراض التي استعصت عند الأطباء فالولي أبو تميم عبد الواحد الأسود أحضر له أحدهم أخته التي أعد لعلاجها ١٠٠ دينار، وحملها لابن أفلاطون بفاس، غير أنه لم يتمكن من رفع الضر عنها،وتمكن هذا الولي من علاجها بمسح مواضع الداء- البرص- بريقه فقط[١٠] ،وكان أبو مدين شعيب يبرئ المجانين والمرضى [١١] وكان يبرأهم بمجرد المسح على أماكن الداء [١٢]،وأما الولي أبو يعزي فكان

١- ابن زهر:المصدر السابق،ص.٤٢

٢-نفسه:ص.٥٢

٣-جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص٣٨٣

٤-الادريسي:نزهة المشتاق،ص.٢٥٥

٥- نفسه:ص.٢٥٩

٦-كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي ،ص٣٤٣

٧- الادريسي:القارة الإفريقية ص ٤

٨- إبراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص١٠٥

٩- مجهول الاستبصار:ورقة ١٢١ ب

١٠- التادلي:المصدر السابق،ص.٢٦٠

١١-محمد بن محمد الصباغ القلعي،بستان الأزهار،ورقة ٥٢ ب .

١٢- ابن مريم:المصدر السابق،ص١٠٩.

يعالج الناس بأوراق الدفلى الممضوغة ،حيث كان يمضغ هذه الأوراق ومن ثم يضعها على مكان الألم[١] ، وعالج ضريرا فأبصر حيث بعث له برقعة من برنوسه وأمره بإحراقها بالنار والاكتحال برمادها[٢]،وكان يعالج النساء بلمس صدورهن،وهذا الأمر استنكره عليه جماعة من الفقهاء إلا أنه رد بأن الرجال يأخذون نساءهم للعلاج عند الأطباء ولا يتحرجون من كشف الأطباء لهن،وهو يقوم بما يقوم به الطبيب فلما يستنكر عليه هو دون الأطباء[٣] وشفي الكثيرين بدعاء الأولياء فأبو العباس السبتي كان يقول أن من يمنحه درهمين يزل عنه وجع رأسه[٤]،وكانت ابنة المنصور أرسلت إليه الكثير من الهدايا مقابل الدعاء لها فقط[٥] ، وبركات الأولياء الصالحين لم تنقطع بموتهم فقد ساد الاعتقاد بأن زيارة قبورهم والدعاء عندها وحتى أخذ القليل من تراب القبر كفيل بإزالة الضر[٦].

وتعالج الناس بالرقية الشرعية التي كانت متداولة منذ أيام الرسول(ص)،وفي المقابل لجأ الكثير من الناس إلى السحرة الذين كانوا يقومون بأعمال التطبيب آنذاك[٨] وأدت بعض الاعتقادات منها أن المغاربة كان عندهم رأس عين بمنبع سبو في بئر غامض بها كان يدخل إليه من به مرض مزمن ويغطس فيه حتى يكاد يموت ثم يخرجونه فإن خرج على فمه دم استبشروا وإن حدث العكس تأكدوا من موته[٩].

مما سبق نستنتج أن طرق العلاج تنوعت كثيرا ،إلا أن العلاج الشعبي كان أكثر الطرق انتشارا وتداولا، خاصة في أوساط العامة لأن هذه الطريقة في العلاج لا تكلف كثيرا على عكس العلاج عند الأطباء الذي يكلف الكثير.

١-التادلي:المصدر السابق،ص.٣٠١

٢- التادلي: نفسه،ص٢٧٧

٣- محمد بن محمد علي الصباغ :بستان الأزهار،ورقة ٤٩ p

٤-التادلي:نفسه،ص٤٧١

٥- الهواري:مناقب أبو العباس السبتي،ورقة ٣١b

٦- محمد بن محمد بن علي الصباغ :نفسه،ورقة ٥٢ ب

٧- البرزلي:المصدر السابق،ج٦، ص،ص ،ص ،٤٧٧-٤٧٩-٤٨٧

٨- سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي،ج٥،منشورات المعارف،الإسكندرية،مصر ،٢٠٠٠ ص ص ١٠٦

٩- نفسه،ص١١٧.

الاحتفالات :

احتفل سكان المغرب والأندلس بالعديد من المناسبات والأعياد، وكان كل احتفال يقام يحضر له على قدر المناسبة أو العيد المقام له، ولوجود عناصر عدة بالعدوتين اختلفت عاداتهم و دياناتهم ،فقد تنوعت المناسبات والأعياد، ومع الأيام امتزجت هذه العناصر فيما بينها وكانت أي مناسبة للاحتفال عند أي من شرائح المجتمع هي فرصة لبث الفرح والبهجة في كل أوساطه وشرائحه ،على اختلاف معتقداتهم ،وكان الكل يحتفل بالأعياد سواء كانت دينية، أو أسرية،أو مناسبات عامة رسمية، تحددها الحاكمة والظروف السائدة من نصر وسواه.

أ- الاحتفالات الدينية:

لقد كانت كثيرة،إلا أن أهمها هما عيدي الفطر والأضحى[١] ،اللذان يحتفل بهما في كل الأقطار الإسلامية ،ففي عيد الفطر يخرج الناس لأداء صـــــــلاة العيد باكرا في ؟أول أيام العيد [٢]، ويلبسون من الثياب الجديد والأنيق منها، قصد التباهي فيما بينـــــهم في ذلك اليوم[٣]، واستقبالا لذلك اليوم كانت تحضر الحلويات اللذيذة والأطباق الشهية[٤]، وفي أيام العيد يقوم الناس بزيارة بعضهم البعض،ومنهم من يقصد أولياء الله الصالحين[٥]، وبهذه المناسبة كان الخلفاء كرما منهم يمنحون الصفح والإحسان إلى بعض عمالهم[٦]،وبهذا كان العيد مناسبة للفرح والتسامح.

---

(1)Levi provençal,op cit.p435

٢- الطيبي:،المرجع السابق،ص.٨٦

٣- ابن قزمان: ديوان ابن قزمان ،كتبه محمد بن أبي بكر بن القطان ،ورقة ٥٤٢

٤- أحمد بن عامر: الدولة الحفصية ،صفحات خالدة من تاريخنا المجيد،دار الكتب الشرقية،تونس،١٩٧٤ ،ص.٧٩

٥- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية،ص.٣٤٥

٦- ابن عذارى:المصدر السابق،البيان الموحدي،ص٣٥٨.

أما في عيد الأضحى فكان الناس يستعدون له بشراء الأضاحي ،غير أن شراء كبش العيد لم يكن في مقدور كل فئات المجتمع،ولذلك اقتصر ذلك على الفئات الميسورة فيه المجتمع ،وتخفيفا على غير القادرين ومساعدة لهم كان بعض الخلفاء في هذه المناسبة يشترون أعدادا كبيرة من الكباش ويقدمونها للرعية للتضحية بها يوم العيد،فالمنصور مثلا فرق ما يزيد عن ألف شاة من ضَأن وماعز على الأمراء والجند والفقراء [١] ،وكثيرا ما كان الميسورين من الرعية يقومون بهذا أيضا ،حبا منهم في ادخال البهجة والسرور على الأسر العاجزة عن شراء الأضاحي[٢]

في يوم العيد كان الناس يخرجون للصلاة صباحا وعلى رأسهم الخليفة، وبعد الصلاة يدعوا أمير المؤمنين للناس بدعائه ويذبح الكبش بين يديه،[٣] وفي الوقت الذي كانت فيه الأسر الفقيرة تعجز عن شراء الأضحية مهما كان ثمنها رخيصا،فإن الطبقات الغنية كانت تتنافس في لشراء أحسن وأفضل الأضاحي السمان قصد التباهي فقط،وقد نهى العديد من الفقهاء عن ذلك، لأن القصد من وراء التضحية في عيد الأضحى هو نيل الأجر من الله عز وجل[٤]، وفي تلك الفترة تمكن الكل من أكل اللحم، الذي كان أكله يعز في باقي أيام السنة لأثمانه الغالية، وهذا لأن ديننا الحنيف شرع وجوب تقديم جزءمن الأضحية كصدقة على الفقراء والمساكين،وبذلك تمكن الفقراء من التعييد ولكن بطريقة غير مباشرة.

بالإضافة إلى هذين العيدين احتفل أهل العدوتين بالمولد النبوي الشريف فـفـي سنة(٦٤٧ هـ/١٢٤٩م) احتفل الفقيه أبو القاسم محمد العزفي بليلة المولد النبوي ، ووزع على الناس كل أنواع الطعام، وفي تلك الليلة لم يتوقف أهل سبتة عن مدح محمد صلي الله عليه وسلم في كل مكان[٥] وخاصة في المساجد[٦].

١- المقري:نفح الطيب،ج٤، ص٣٥٨.

٢- التادلي:المصدر السابق،ص.١٠٥

٣-ابن صاحب الصلاة:،المصدر السابق،ص.٤٥٧

٤-الطرطوشي:الحوادث والبدع،ص.٢٠٢

٥- ابن عذارى:المصدر السابق،ص.٣٩٨

٦-نفسه: ص :٣٩٩.

والاحتفال بهذه المناسبة لم يكن متداولا في القرون الثلاثة الأولى للهجر[١]،حيث بدأ الاحتفال بالمولد النبوي بقيام دولة الفاطميين بمصر، وكان الفاطميون يحتفلون به ضمن ستة مواليد وهي مولده(ص) صلى الله عليه وسلم، ومولد على بن أبي طالب (ض) والحسن والحسين وفاطمة الزهراء والسادس هو مولد الخليفة الحاضر[٢].

وكان دافع الفقيه أبو القاسم محمد العزفي من وراء بعث هذه العادة بالبلاد ما رآه من اتباع للمسلمين في إحياء أعياد المسيحيين،كيوم مولد عيسى عليه السلام، واقامتهم لعيدي النيروز ،والمهرجان ،وحبه في أن يشتغل النّاس بإحياء ذكرى نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره من الاحتفالات[٣] ،وكان يوما تقام فيه الولائم وتوزع اللحوم والحلويات وغيرها من ألذ الأطباق والأطعمة [٤]،ويحييه المنشدون والمغنون من مدن مختلفة[٥]،وفي البداية كان الاحتفال ليوم واحد، إلاّ أنه أصبح أيام المرينين أسبوعا كاملا يجمع فيه الكل على اختلاف طبقاتهم[٦] ، وتتلى الأناشيد التي يُمدح فيها الرسول إلى آخر الليل[٧] ،وفي سنة (٦٩١ هـ/١٢٩١ م) أمر يوسف بن عبد الحق المريني بالاحتفال به ،وتعظيمه وسّيره عيدا من الأعياد[٨]،وفي هذا اليوم تُشعل الشموع احتفاءا بالنبي صلى الله عليه وسلم[٩].

١- على بن سلطان محمد هروي:المورد الروي في تاريخ المولد النبوي،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم١٦٩٤ ورقة ٠٣.

٢- محمد المنوني:ورقات عن حضارة المرينيين ،مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط ،المغرب،١٩٩٦ ،ط٢ ،ص.٥١٧

٣- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص.٣٥٢

٤- ابن عذارى :المصدر السابق،قسم الموحدين،ص.٣٩٨

٥- حميد عبد المنعم محمد حسنين:مدينة سلاني في العصر الإسلامي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،مصر ١٩٩٣، ص.٧٨

٦- ابن مرزوق :المسند الصحيح في مآثر محاسن مولانا أبي الحسين،دراسة وتحقيق ،ماريا نيسوس بيغيرا تقديم محمود بوعياد،الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ،الجزائر ١٩٩٠ ص ١٥٤.

٧- محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ،مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،تحقيق محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ١٩٨٥،ص.١٦٤

٨-قدور الورطاسي الحسني: المطرب في تاريخ شرق المغرب من عهد الكاهنة داهية الجراوية إلى سنة ١٩٥٦ ،مطبعة الرسالة ١٩٨٤، ط١، ص.٣٨

٩-ابن مرزوق:نفسه،ص١٥٤.

وكان لشهر رمضان قداسة خاصة عند المسلمين في المغرب والأندلس ،وباقي بلاد الإسلام،وكان الناس يستعدون له منذ اليوم الأول بشراء كلّ ما يلزمهم من مأكل ومشرب للفطور والسحور[١] ، وكان القضاة يشرفون على ترقب هلال رمضان بشغف، وهم من يعلم كافة المسلمين بحلوله[٢]، قد عرف رمصان بأنه شهر العبادة، ولما ذُكر من فضل التهجد والتعبد فيه قراءة القرآن والحديث ،فإنّ كافة النّاس كانوا يواضبون على قراءة الأذكار والقرآن وتأدية الصلوات بالمساجد،وأحيا الخلفاء هذا الشهر بالقراءة في مصحف سيدنا عثمان[٣]،ولكثرة الوافدين إلى المساجد في هذا الشهر فإنها كانت تُملئ عن آخرها.[٤]

وتدعيما لأواصر المؤاخاة في المجتمع، كان النّاس يدعون بعضهم بعضا إلى الإفطار في منازلهم طوال شهر رمضان[٥]،واستعملوا عدة وسائل لإيقاظهم وقت السحور ومنها النفح في النفير،[٦]أو الدق على الطار ،وضرب الشبابة، والرقص، وغالبا ما كان مؤذنوا المساجد من يتولى مهمة إيقاظ الناس للسحور [٧] .

سبقت الإشارة إلى أن الناس في هذا الشهرمحافظ، يواضبون على العبادة وأما المتصوفة فكانوا يزيدون على ذلك ،فكانوا يُغيرون مكان إقامتهم قصد التفرّغ للعبادة[٨] ،ومنهم من كان يختم القرآن الكريم عدة مرات في رمضان[٩]،وكانت أعظم ليلة في هذا الشهر هي ليلة السابع والعشرين منه[١٠] ،والتي يتم فيها ختم القرآن الكريم في المساجد[١١]،وهي ليلة يوزع فيها اللحم والحلويات،وفي هذه الليلة كان أهل المغرب يقصدون بعض المدن من أجل

١- الهواري :مناقب أبي العباس السبتي،٣١ ب

٢- الونشريس: المصدر السابق،ج١، ص.١٤٩

٣- حسن علي حسن:المرجع السابق،ص.٤١٩

4-Levi provençal op cit p 436.

٥- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية،ص٣٤٥.

٦- نفسه.

٧- الزجالي:المصدر السابق،ص١١٨.

(٨) التادلي،المصدر السابق،ص٣٤٤

(٩) التادلي،نفسه.

(١٠)نفسه،

(١١) ابن الوردي ،تاريخ ابن الوردي ،ج٢، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،ط١، ١٩٩٦ ،ص٢٦.

الاحتفال مجتمعين، فيقول ابن الخطيب في ذلك: "وظلت ليلة سبع وعشرين إحدى المواسم المختصة باستجلاب الأمم وتخييم الخيم واحتفال الأسواق"[١]واحتفلوا بآخر ليالي رمضان وبرؤية هلال شوّال[٢].

وكانت عاشوراء من بين المناسبات التي احتفل بها الناس في تلك الفترة واستمر حتى أيامنا هذه ،واقترن أكل الدجاج بهذه المناسبة،وهذا اليوم كان يوم صوم وإحسان،وهناك من اعتبره يوم لهو وترويح، فتشبّه الرّجال بالنساء وحتى باليهود والنصارى وضربوا آلات اللهو على أشكالها[٣]،وصام الناس يوم عرفة واجتمعوا فيه بالمساجد للدعـــــــــاء والتذاكر، [٤]واحتفلوا بليلة المنتصف من شعبان،وكذلك منتصف رجب واليوم السابع والعشرين منه[٥]،وكان رأس السنة الهجرية يوما مهما عند المسلمين إذ عدوه مناسبة للاحتفال وصنع ما لذ وطاب من الأطعمة [٦]

أمّا يوم الجمعة فكانت له خصوصية عند كلّ المسلمين لارتباطه بصلاة الجمعة ،وكان خلفاء الموحدين أصدروا أوامر بأداء الصلاة [٧]فكان هذا اليوم يوم عطلة ليتمكّن الكلّ من إقامة صلاة الجمعة في المسجد ،فكانت المتاجر تُغلق أبوابها لأجل ذلك[٨] واستعدادا لهذا اليوم قصد الناس الحمامات ،لأن النظافة فيه محببة ،ولبسوا فيه النظيف من الثياب[٩]،وذلك اقتداءا بالرسول(ص)لأنّه حثّ على ذلك ،هذا كان عن أعياد المسلمين الدينية التي لا زالوا يحتفلون بها إلى غاية اليوم،وطقوس الاحتفالات لم يدخل عليها تغيير كبير، وما كان منه سببه التطوّر الذي حدث وابتعاد الفترة الزمنية.

١- ابن الخطيب: نفاضة الجراب،ص:١٢٢.

٢-ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج٢،ص٥٠٠

٣-نفسه:ص٥٠١

٤-جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية،ص.٣٤٦

٥-أحمد ين عامر:المرجع السابق،ص.٧٩

٦-عثمان الكعاك:المصدر السابق،ص

٧-محمد الرشيد ملين:المرجع السابق،ص٢٥١-٢٥٣

٨- ابراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص.٨٦

٩- جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص٣٤٠.

- أعياد أهل الذمة:

أمّا الأعياد المسيحية واليهودية فكان الاحتفال بها مشتركا بين أهل الكتاب أجمعين،ومن هذه الأعياد عيد النيروز الذي يمثّل أول يوم من السنة الشمسية الفارسية[١] وأعد الأندلسيون لهذه المناسبة أنواع عديدة ولذيذة من الحلويات، [٢]وبعد مدة ليست بالطويلة يقام عيد آخر هو عيد المهرجان، وهذا أوّل أيّام الشتاء[٣]،واُحتفل به قبل أيام الموحدين[٤]،وبقي مستمرا في أيامهم،وفيه كان الناس يتبادلون الهدايا،واعتادوا فيه على تغيير الفرش والأدوات المنزلية وكثيرا من الملابس[٥]

وأقام اليهود عيد العنصرة ،ويمثّل هذا العيد الأسابيع التي أنزل الله تعالى فيها على بني إسرائيل الفرائض المتضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلى موسى عليه السلام والاسم العبري لهذا العيد هو عشرتا ويعني الاجتماع.[٦]

وفي أيّام العيد كانت النّساء تخرج لمشاركة الرجال في الاحتفالات والاستمتاع بها معا،وحدث هذا في الأندلس خاصة[٧]،فالأندلس عرفت حياة أكثر تفتحا من تلك التي عاشها المغاربة،ففى المغرب تشدُّد الخلفاء كثيرا في مسألة الاختلاط بين النّساء والرجال في الأماكن العامة، وخاصة الأوائل منهم مقتدين في ذلك بإمامهم المهدي بن تومرت[٨]

١-آدم ميتر:الحضارة الإسلامية في ق ٤ هـ،تعريب ، محمد عبد الهادي أبو ريدة،دار الفكر العربي،بيروت ،لبنان ،١٩٤٦ ،ص١٩٧.

(2)Levi provençal op cit p 439

٣-أدم ميتر:نفسه،ص.١٩٩

٤-الفتح بن خاقان:مطمح الانفس،مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر المحمدية ١٣٦٠ هـ.ط.ص٣٠١

٥-المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج٣ ، تنقيح وتصحيح شارل بلا ،دار صادر ،بيروت،١٩٦٨. ،ص.٤٠٤

٦- قاسم عبد قاسم:اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ص.١٥

٧-حسن يوسف دويدار:المرجع السابق،ص.٣٠٤

٨-البيذق:المصدر السابق،ص٣١.

ب- الاحتفالات العسكرية والمدنية:

كانت كثيرة :منها العروض العسكرية التي كان عبد المؤمن يحبها كثيرا ،حيث كان يستمتع بالنظر إلى العسكر في عروضهم ويفضل ذلك على كل المناظر[١] وهذهالاستعراضات كانت تسبق خروج الجيش لقتال الأعداء من النصارى أو المتمردين والثائرين على سلطة الموحدين[٢] ،وكثيرا ما كان النّاس يخرجون إلى الطرقات لمشاهدة مراكب الجند وحشودهم[٣].

وكانت الاحتفالات تُقام في كل مدينة ينزل بها الخليفة،وذلك احتفاءا به وتعظيما لشأنه،فكانت تُوزّع العطايا ويطعم الناس في كل مدينة ينزل بها الخليفة[٤] وكان قرع الطبول الكبيرة عادة اتخذها الموحدون للإعلان على بداية المسيرة قصد الجهاد[٥]وتبركا بالقرآن الكريم قام الخلفاء بوضع مصحف عثمان بن عفان على جمل مرتفع عليه قبة حمراء لتصونه وهو منظم بالجوهر والياقوت الأحمر والأصفر،وقدّموا الجمل على مركب العسكر[٦]

ويصف لنا ابن القطان مواكب الموحدين العسكرية بقوله"وعلّم النّاس الحركة كيف تكون فأمرهم إذا عزموا على الركون أن ينادوا منادى،الاستخارة بالله والتوكل عليه وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرحالة يكون بينهم وبين الأمير مقدار ربع ميل،ويكون الأمير متقدم على النّاس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به ويحضون به ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بال ثم كلّ قبيلة على ترتيب وحسن وهيئة معه علاماته[٧]واصطحب الخلفاء معهم كبار الوزراء والفقهاء وغيرهم من رجال الدولة ،وأثناء المسير تُرتب القبائل على حسب منزلتها الاجتماعية[٨].

١-المراكشي:المصدر السابق،ص.٢٠٢

٢-ابن عذارى:المصدر السابق،قسم الموحدين،ص ص ١٧٧-.١٤١

٣-نفسه:ج٤،ص.١٤٠

٤٥-ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق،ص.٥٠٢

٦-ابن عذارى:نفسه،قسم الموحدين،ص.١١٨

٧- ابن القطان :المصدر السابق،ص.١٢٧

٨-ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق،ص٤٣٩.

ففي سنة (٥٨٠ هـ/١١٨٤م م) خرج أبو يعقوب يوسف من المغرب قاصدا الأندلس للجهاد، وجازت معه قبائل العرب وقبائل زناتة والمصامدة ثم غمارة وصنهاجة وأوربة وبعدها جازت جيوش الموحدين والاغزاز ويليهم الرقيق(١)،وكانت تعلوا مراكب الجيش رايات بيض مكتوب عليها :الواحد الله محمد رسول الله المهدي خليفة الله" من جهة والجهة الثانية كتب عليها:" ما من إله إلا الله وما توفيقي إلا بالله وأفوض أمري إلى الله"(٢)بقي الشعار نفسه غير أن لون الرايات تغير فيما بعد إلى أصفر وأحمر وألوان أخرى (٣)،وكثيرا ما خرجت المواكب في شهر صفر (٤)،وعقب كل انتصار يحققه الموحدون كانت تقام احتفالات بهيجة وينشد الشعراء قصائد التهاني والنصر وتدوم هذه الاحتفالات لأيام(٥).

كان تنصيب خليفة جديد ومبايعته أحد أسباب الاحتفال في سائر البلاد(٦) ،فأبو يعقوب يوسف عند توليه الخلافة عفا عن المسجونين وحط البقايا عن العمال الخائفين وأمنهم ،(٧) وكان أول ما فعله المنصور بعد توليه توزيع المال على الفقراء والمساكين، ورد المظالم ،وإكرام العلماء والصلحاء، وإجراء الانفاق على أهل الفضل والصلحاء، وتفريق الأموال على الجند، واحتفل الموحدون بزوال العلل على الخلفاء وامتثالهم للشفاء(٩).

استقبلت وفود الأمراء والولاة بحفاوة كبيرة فأبو يعقوب يوسف كسى العبيد بالثياب في احتفاله بمقدم أخيه السيد أبي حفص ،وصنف الفرسان الكمل المدرعين من الموحدين

١- ابن أبي زرع:الأنيس المطرب،ص.١٣٥

٢-ابن القطان :نفسه،ص.١٢٨

٣-ابن صاحب الصلاة:نفسه،ص.٤٤٧

٤-ابن خلكان:المصدر السابق،ج٦ ، ص.٠٨

٥- ابن صاحب الصلاة:نفسه،ص١٢٥-.١٢٦

٦- ابن عذارى :المصدر السابق،قسم الموحدين،ص.٢٣٦

٧- نفسه، ص.٩٩

٨-الآغا عودة المزاري :طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر ق ١٩ ،ج١ ،تحقيق يحي بوعزيز ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،١٩٩٠ ،ط١ ،ص

٩-نفسه،ص ١١٦.

وغير الرجال بالدرق والرماح صفوفا وجعل الرايات والعلامات خلف ركابه والطبالين[١]وعند ما لبى العرب طلب الخليفة الموحدي الثاني للجهاد سنة (٥٦٦ هـ/١١٧٠م) احتفل بهم احتفالا عظيما عند وصولهم الى مراكش ،فيقول ابن عذارى:"ونفذ الأمر بلقاء السيد – ابو زكريا يحي بن عبد المؤمن وأبو عمران موسى بن الخليفة – والعرب الوافدين من إفريقية بالتبريز الكامل صحوة يوم السبت ٢ ربيع الآخر من السنة ،فخرج أمير المؤمنين للقائهم وخرجت معه الجيوش والعساكر في زينتهم"وأكرمهم أشد الكرم حتى قيل إنه أي الناس في هذا الإطعام ما لم يرقط من الإكرام والاهتمام"[٢]

ج- احتفالات مختلفة: المناسبات

تنوعت الاحتفالات بالبلاد فمنها ما كان يقام داخل الأسرة ،كالاحتفال بازدياد مولود جديد للزوجين ،وبعدها يحضر للاحتفال باليوم السابع الذي عرف بعقيقة الصبي[٣]، تقام فيها وليمة يذبح فيها خروف ،وتحضر العصيدة ويطعم منها الأهل والفقراء من الناس ،وفي ذلك اليوم تقص خصلة من شعر المولود[٤]، وأقاموا الولائم بمناسبة ختانه[٥]،وكتب الشعراء قصائد تهنئة بمناسبة ازدياد الصبي فقال ابن سهل[٦]

هي طلعة السعد الأغر فمرحبا وسنا الرئاسة قد أضاء فلا خبا

واعتاد الناس على تقديم الهدايا لأهل المولود [٧]، وكان ختم الأولاد لحفظ القرآن في الكتاب سببا آخر لاحتفال وإعداد الولائم[٨].

وأقيمت الولائم في الأعراس وحفلات الزواج ،وأحياها المغنون والمغنيات وكان يحضرها الأهل والأحباب والجيران[٩].

١-ابن صاحب الصلاة كالمصدر السابق،ص.٢٨٩

٢- ابن عذارى :المصدر السابق،قسم الموحدين،ص١١٧

٣-محمد الفاسي:تاريخ رباط الفتح،ص.١٥٨

٤-الونشريسي:المصدر السابق،ج١، ص.٢٢

٥- محمد بيرم الخامس :صفوة الاعتبار ومستودع الأمصار والأقطار،مج ٢ ، تحقيق ،على بن الطاهر الشنوفي رياض الزروقي :عبد الحفيظ منصور ،بيت الحكمة ،تونس ١٩٩٤ ،ط٢ ،ص.٧٢٤

٦- ابن سهل :ديوان ابن سهل، تقديم: إحسان عباس،دار صادر،بيروت ،لبنان ،١٩٦٧ ،ص٨٥

٧- الونشريسي:نفسه،ج٨، ص.٣٤٤

٨- ابن أبي دينار :المصدر السابق،ص.١٢٣

٩-محمد بيرم الخامس: نفسه،ص٧٢٨.

وشارك المسلمون النصارى في الاحتفال بما يسمى"دانتسيا" وهو احتفال يقام عندما تبدأ أسنان الطفل في الظهور،[١]وكان بلوغ الطفل سن السابعة من عمره مناسبة استدعت الاحتفال، كان الأب يقيم وليمة يدعوا إليها الأهل والأقارب والأصدقاء إلى داره[٢]المواسم الاحتفال،واحتفل الأندلسيون بمواسم جني المحاصيل،منها محصول العنب،وعرف الاحتفال بعيد العصر وساده جو من الرقص والغناء والفرح والسرور[٣]

وانتشر بالمنطقة ما يسمى بالصنيع وهي عبارة عن مجالس للهو والطرب التي يصحبها النفخ بالبوق والضرب على العود واحتساء وشرب المصطار – عصير العنب قبل طبخه- أو تخمره[٤]، واحتفال الأندلسيون بموسم صباغة الحرير،وفيه كانوا يخرجون لجمع القرمز ويقيمون خيامهم في بطون الأودية والحقول،ويصطحبون معهم آلاتهم الموسيقية ويقضون أوقاتهم في الغناء والرقص،[٥] .

وسائل التسلية:

شغل الناس أوقات فراغهم في عهد الموحدين بالاستمتاع بكل ما أتيح لهم من وسائل المتعة والتسلية،لأن في ذلك تجديد لطاقاتهم وشحذ لهممهم وبعثا لها ،ومن بين وسائل التسلية التي عرفوها ممارسة بعض الرياضات ،وبعض اللعب،وارتياد الحدائق والمتنزهات وسماع الموسيقى والغناء، والإقبال على أماكن اللهو والأنس.

وقد عرفت المغرب والأندلس انتشار الحدائق والبساتين التي كانت ملجأ للناس وحتى الخلفاء للترويح عن أنفسهم،فاشتهرت شاطبة بمنتزهاتها كالبطحاء والغدير والعين الكبيرة وباب الثمارين التي تطل على ساقية ومناظر جميلة جدا ،وكذلك غرناطة عرفت بذلك[٧]

(١)إبراهيم القادري بوتشيش:مباحث في التاريخ الاجتماعي،ص١١٤.

(٢) كمال السيد أبو مصطفى:دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة،مركز الإسكندرية للكتاب ،مصر ١٩٩٧ ، ص١٨.

(٣) مريم قاسم الطويل :المرجع السابق،ص٢٥٩.

(٤) كمال السيد أبو مصطفى:جوانب من الحياة الاجتماعية ص ص ،٤٥-٤٦.

(٥) المقري:المصدر السابق،ج١،ص١٧٢.

(٦)التادلي:المصدر السابق،ص٣٨١.

(٧) ابراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص٩٤.

ومنتزه اشبيليا الذي قدم فيه من النوادر والمضحكات ما فيه كفاية، فقد كان ميدان لهوهم ومضحكاتهم[١]،وفيه تتوفر جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر[٢] ،وعرفت بسطة بجمالها الخلاب[٣].

وفي المغرب اهتم الخلفاء شخصيا بإنشاء الحدائق ـفعبد المؤمن بن علي أنشأ حديقة كبيرة، وغرس فيها أنواعا من الثمار،وأنشأت حدائق أخرى بسلا وسبتة[٤]، وغالبا ما تحفر البرك في تلك المنتزهات، وذلك ليتسنى لزائريها ممارسة رياضة العوم ،ويذكر صاحب الحلل الموشية أن عبد المؤمن صنع خارج سبتة بركة مربعة كان يتعلم طلبة المصامدة وغيرهم التجديف على قوارب صنعت لهم بتلك البحيرة[٥]،واستخدمت الزوارق للتنزه حتى أن الخليفة الرشيد مات غريقا،عندما كان يتنزه في أحد البحيرات ،فيقول ابن عذارى في ذلك "دخل في زورق في الصهريج في الرياض الكبير المذكور مع بعض جواريه برسم التنزه فانقلب بهم الزورق[٦].

وكان بعض الناس ينشئون حدائق صغيرة في أسطح منازلهم،وذلك لقضاء أوقات هنية مع الأهل والأصدقاء وقام الأندلسيون بكراء المنازل المتواجدة بالقرب من الحمامات ،وذلك من أجل الذهاب إليها قصد الاستشفاء والمتعة معا[٧].

وأحب بعض الأفراد قضاء أوقات فراغهم في الصيد والطراد، فكان الخليفة عبد المؤمن بن علي يهب ابن حماد ألف مثقال مقابل كل أسد يصطاده[٨]،وعرفت العاب أخرى كالشطرنج،الذي برع في لعبه الطبيب أبو بكر بن زهر،وعرفت هذه اللعبة انتشارا واسعا في

---

(١) ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب،ج٢،تحقيق شوقي ضيف،دار المعارف المصرية،مصر ١٩٥٣ـص٢٨٦.

(٢) ابن حزم:فضائل الأندلس وأهلها ،قدم لها،صلاح الدين المنجد،دار الكتاب الجديد ،بيروت ١٩٦٨ ،ط١ ص،٥١.

(٣) لسان الدين بن الخطيب: معيار الاختيار،ص٦٠.

(٤)حسن علي حسن، المرجع السابق،ص٤٢٩.

(٥) مجهول: الحلل الموشية، ص١٥٠.

(٦) ابن عذارى :المصدر السابق، قسم الموحدين،ص٣٥٩.

(٧) ابراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص٣٥٩.

(٨)ابن عذارى: المصدر السابق،قسم الموحدين،ص٤٦.

أوساط العامة[1]،و وصفن هذه اللعبة بما يلي:

هلم إلى تدبير جيش جمعـــــــــا رخاخ وأفيال وخرود سوابح

تكبرن عن عمل السلاح إلى الوغر فأرماحها البابناء والقرائح[2]

واستمتع الناس برمي النشاب واللعب بالصولجان،[3]واشتهرت الأندلس بالعاب الفروسية ،وكان ذلك يقام في الساحات العمومية وخاصة في مدينة غرناطة واستمتعوا بالتفرج على المصارعات، التي كانت تنظم بين الحيوانات كالثيران والكلاب[4]،وحتى الأسود[5] ،وبعض المبارزات الفردية والجماعية ،والتي كانت تجري بجدية تصل إلى ذهاب أحد المتبارزين ضحية عنف وصرامة من يبارزه[6]،وعلى الرغم من أن القـــمار كان محرما[7] بناء لقوله تعالى:**"يَا أَيُهَا الذِينَ آمَنُوا إنَمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ َعَمِلِ الشَيْطَانْ فَاجْتَنِبُوُه لَعَلَكُمْ تُفْلِحُوْنْ،إنَمَا يُرِيدُ الشَيْطَانْ أنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ"**[7]، ومع هذا فقد عرف هذا النوع من اللهو انتشارا واسعا بين أهالي الأندلس[8]

الموسيقية والغناء:

كان أهل الأندلس محبين للغناء واللهو بطبيعتهم[9]،ويعود الفضل في نقل الموسيقى المشرقية إلى الغرب الإسلامي لزرياب تلميذ إسحاق الموصلي [10]،الذي دخل الى الأندلس أيام عبد الرحمن الثاني(٨٢٢-٨٥٢ مـ) وكان له الخظوة على الموسيقيين،وكانت له مدرسة موسيقية في قرطبة تحولت فيما بعد إلى معهد للموسيقى الأندلسية[11].

---

(١) حسن دويدار:المرجع السابق،ص٣١٥.

(2)Levi provençal op cit p 443

(٣) الاصفهاني :جريدة القصر وجريدة العصر،تحقيق محمد المرزوقي وآخرون،الدار التونسية للنشر،تونس، ١٩٦٦ ، ص٢٥٣.(٤)

(٥) الادريسي،نزهة المشتاق،ج١،ص٢٣٧.

(٦)إبراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص٩٦.

(٧)سورة المائدة. الآية ٩٠-٩١

(8)Levi provençal op cit p 444.

(٩) المقري:المصدر السابق،ج ،ص

(١٠) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،١٩٨٥، ص ١٤٧.

(١١)فارمر :تاريخ الموسيقى العربية ،تر. حسين نصار،مراجعة ،عبد العزيز الأهواني ،دار الطباعة الحديثة،مصر ،دت ط،ص،١٥٣.

وعرف عن أهل الأندلس ميلهم إلى السماع، ففي غرناطة كان الغناء متفشيا في أوساط المجتمع(1)،وعند فتح المغاربة لبلاد الأندلس وافتكاكها من أيدي النصارى تأثروا بحياة الترف التي يعيشها الأندلسيون،وانتقل إليهم حب السماع،وحدث هذا في وقت سجل أغلب الفقهاء اتفاقا حول تحريم الموسيقى والغناء(2)،وهذا التحريم هو ما جعل خلفاء الموحدين الأوائل يبذلون قصارى جهدهم في محاربة تفشي ظاهرة السماع في أوساط الناس،فمحمد بن تومرت عندما دخل مدينة فاس مر بزقاق زرقالة الذي به دكاكين مليئة بأدوات اللهو من قر، ومزامير ،وعيدان ،و روطا، وكيتارات، فأمر من كان معه بكسرها كلها(3)،وسلك الخليفة عبد المؤمن طريق المهدي في محاربة وسائل اللهو والسماع(4)،وأمر المنصور بمعاقبة كل من ثبت في حقه ممارسته لأي نوع من أنواع اللهو والمنكر، و وصلت العقوبة إلى درجـــــة القتل أحيانا(5)ومع هذا فإن أخبار مجالس اللهو والأنس لم تنقطع، وخاصة في بلاد الأندلس،وتمادوا في مجالس لهوهم،حيث ضمت وسائل اللهو غير المباحة من مغنيين وشعراء ماجنين يتداولون بينهم كؤوس الخمر(6)،وهذه الظاهرة لم تبـــــدأ مع الموحدين حيث شاعت قبلهم بكثير(7).

في تلك الفترة ظهر فن الزجل الذي يعد أغنية شعبية تناقلتها ألسنة العامة، و رددها الناس في مواسم العصير وأيام القطاف(8)،ولم يستعمل الزجالون اللغة العربية في أزجالهم بل استخدموا اللهجات العامية(9) ويعد ابن قزمان أبرع من كتب الزجل(10)،وظهر في عـــــهد

---

(1)لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة،ج2،ص282.

(2)ابن حزم :رسائل بن حزم ،ج1 ، تحقيق إحسان عباس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،لبنان 1987 ،ط2، ص ص،430-431-436

(3) البيذق:المصدر نفسه،ص12.

(4)نفسه:ص42.

(5) ابن عذارى :المصدر السابق،قسم الموحدين،ص173

(6) ابن سهل: المصدر السابق،ص

(7) عبد المجيد بن عدة:ثقافة المجتمع القيراوني ،في ق3 هـ ،شركة فنون الرسم،القصبة،تونس 1997،ط1،ص114

(8)إحسان عباس:تاريخ الأندلس عصر الطوائف والمرابطين،دار الثقافة،بيروت،ط،1962 ،ص22.

(9)محمد رضوان الداية:المختار من الشعر الأندلسي وفصول في الشعر المغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،دار الفكر دمشق،1992، ط3،ص296

(10)Mahmoud guettat :la musique classique du Maghreb . la bibliothèque arabe sindbad .paris .1980.p135.

الموحدين الكثير منهم، كعبد الغافر بن رجلون المرواني،أبو الحسن على بن جحدر،أبو عمر الزاهد ،ابن ناجية اللورقي،وابن عمير الذي استحدث نوعا جديدا من الشعر الملحون، سمي بعروض البلد[١] و من الزجالين أيضا علي بن صفية الصنهاجي وعلي بن عمر الفهري السبتي وإبراهيم بن الطراحة ،وكان هؤلاء يذيعون أزجالهم في الأسواق والأعراس[٢]،ومن ثم تناقلتها النسوة والأطفال وأصحاب المهن[٣]،وحتى المتصوفة كان لهم إنتاج في هذا المجال ومنهم الششتري(ت٦٦٨ هـ-١٢٦٩ م)[٤]و آخرون.

والزجل تغنيه جماعة من الناس ،ويبدأ الزجال بإنشاد مقطع من الزجل والباقي من الناس ساكتين، ثم يعود الجمهور إلى الإنشاد يغني مقطعا أخر من الزجل[٥]، وطريقة تأدية الزجل قريبة جدا من طريقة تأدية بعض الأغاني الشعبية التي تؤدي اليوم في الأعراس وفي بعض المناسبات ،وهذا النوع من الغناء لم ينل يوما اعتراف الطبقات الأرستقراطية في تلك الفترة[٦]،لأنهم آنذاك وخاصة في الأندلس لم يخل أي قصر من قصور الأثرياء والأعيان من أبرز المغنيين والمغنيات والأدباء والشعراء[٧].

وكان الرقص المصاحب لإيقاعات الآلات الموسيقية من أعمال الصوفيين الذين عملوا على إنشاد الكثير من القصائد الصوفية والقيام بشطحات معينة مع كل قصيدة [٨]

وفي الأخير يمكن القول أن الزجل كان متنفسا للكثيرين،وخاصة الطبقات الدنيا من المجتمع ولذا (فإنه كان يعبر عمن كل ما يمسهم المحزن منه قبل المفرح وبهذا فقد كانت هذه

---

(١) إحسان عباس:تاريخ الأدب الأندلسي ،ص٢٧٩.

(٢) المحمودي أحمد :ـالمقال السابق،ص١٢٣.

(٣) إحسان عباس:نفسه،ص٢٢٢.

4)Mahmoud guettat .op.cit.p186.’

(٥) نفسه:ص٣.٢٦١.

(٦)نفسه: ص ٢٢٣.

(٧) إحسان عباس،":في أخبار الغناء والمغنيين في الأندلس" ، مجلة الأبحاث،ج١،سنة ١٦.آذار١٩٦٣،دار الكتاب،بيروت ،ص: ١٢.

(٨)ماهر عبد القادر محمد،التراث والحضارة الإسلامية ،دارالنهضة العربية ،بيروت،د ت ط، ص:١٩٩٩

الأزجال مرآة عكست ما يحدث في المجتمع حقا.

الألات الموسيقية:

لم تعرف تلك الفترة الكثير من الآلات الموسيقية وكان على رأسها الطبول التي اقترن قرعها بالاحتفالات العسكرية والاستعداد بخروج الجيش للجهاد [١]،وعرفت الدفوف التي استعملتها جل طبقات المجتمع[٢]،والقرن الذي يصنع من قرون الحيوانات[٣]،والقانون والمزامير والنفير والعــود والرباب[٤]والأرغن الذي استعمل لتغني بالموشح،[٥]والناي والبوق،[٦]والطار الذي يقال أن الششترى كان يستعمله في أذكاره الصوفية حتى أخذت هذه الآلة اسمه[٧]،والروطة و الشبابة التي هي عبارة عن قصيبة جوفاء مزودة بفتحات في جوانبها معدودة وينفخ فيها فتصدر صوتا [٨]،وأدوات أخرى كثيرة خاصة ببلاد الأندلس فيقول ابن حزم : "كانت بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة"[٩]،ومن الأدوات الموسيقية التي استخدمها المتصوفة عند إحيائهم لطقوسهم الكوسات وهي عبارة عن صنوج من النحاس تشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع خاص وهي أيوبية الأصل[١٠].

(١)ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق،ص٤٠٢

(٢) شانت وبوزرروث :تراث الإسلام:تر:حسين مؤنس واحسان صدقي ،مراجعة فؤاد زكريا من علم المعرفة مجلة ثقافية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،ماي ١٩٨٨ ،ج٢ ،ط٢، ص٣٨٣

(٣)صبحي أنور رشيد:الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية،منشورات وزارة الإعلام،العراق،١٩٧٥،ص ٣١٤.

(٤) محمد المنوني،حضارة الموحدين،ص١٦٢

(٥) إحسان عباس ،أخبار الغناء والمغنيين ،ص١٣ ،وعن الوشح ،هو فن من فنون الشعر العربي وهو قصيدة أو قطعة شعرية موضوعة للغناء وهو بتنوع أوزانه وقوافيه أقرب قطعة موسيقية منه إلى قصيدة شعرية ـ.أنظر ،أنطوان محسن القوال ،الموشحات الأندلسية ، دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٩٤ ،ط١،ص٠٨

(٦)فارمر،المرجع السابق،ص١٨٣.

(٧)صالح المهدي،الموسيقى العربية مقامات ودراسات،دار الغرب الإسلامي،بيروت،١٩٩٣ ،ط١،ص٩٢

(٨)السيد عبد العزيز سالم،في تاريخ وحضارة الأندلس،ص١٥٥.

(٩)ابن حزم،فضائل الأندلس،ص٥٦

(١٠)المناوي،الكواكب الدرية،ج٢،ص٤٧٠

لم يفوّت الناس في تلك الفترة مناسبة إلا واحتفلوا بها ذلك لأن الاحتفالات كانت بالنسبة لهم متنفسا يروحون فيها عن أنفسهم، ويستمتعون خلالها بكل ما يجدون من وسائل الترفيه والتسلية واستفاد الفقراء من إحياء بعض المناسبات فكانوا يتلقون الثياب والطعان من قبل أولى الأمر كثيرا ما قدم الصلحاء المساعدة لهم لقضاء أيام العيد غفي أحسن الأحوال وهذا يعني أن الأعياد والمواسم كانت مناسبة للتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع ،وأما كيفية إحياء الاحتفالات فقد اختلفت فكالما كان مستوى الناس أرقى زادت الإسراف والبذخ التي يسودها أحيانا بعض المحرمات والعكس فكالما مكان الناس بسطاء كان احتفالهم اكثر بساطة.

الطعام والشراب:

في بداية دولة الموحدين سادت حياة التقشف والزهد وهذا يعني أن الناس اكتفوا بما حضر من الطعام ،ولم يكن لديهم أنواع كثيرة من الأطباق ،وهذا أمر منطقي لما عرف به صاحب دعوتهم من حبه لحياة التقشف، ونبذه لحياة الترف،[١]والمجون،فكان طعامه اليومي رغيف من صنع أخته تصحبه كمية قليلة من الزيت أو السمن[٢]،وحياة التقشف هذه لم تدم طويلا ،فبدخول دولة الموحدين مرحلة جديدة، وبسط الموحدين نفوذهم على بلاد الأندلس، واحتكاكهم بأهلها، أخذوا عنهم حياة الترف، التي من متطلباتها التنوع في أصناف الطعام،وعرف عن المطبخ الأندلسي ثراءه وما زاده ثراءا هو ما جلبه زرياب من وصفات بغدادية ومشرقية إلى المنطقة، وإشرافه على تعليمها لأهل البلاد،[٣]وظهر في تلك الفترة كتابان اختصا في التحدث عن الطبخ في عصر الموحدين وهما كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس لمجهول[٤]وكتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام لابن رزين التجيني المؤرخ عام ٦٣٦(هـ/١٢٣٨ م) اللذان أمدانا بالكثير من الوصفات وبخصوصيات وميزات المطبخ في الغرب الإسلامي،[٥]

طعام الطبقات الخاصة:

كان طعام الطبقة الحاكمة والمقربين إليها والأثرياء متنوعا جدا، ومكلفا جدا، لاحتوائه على الكثير من المكونات الباهضة الثمن من أنواع اللحم كلها،ومن هذه الوصفات الثريد الذي يتكون من أنواع اللحم والدجاج ممزوج بكثير من التوابل وبهارات اللحم والبيض والزيتون وتقدم مصفوفة بنظام على طبق كبير ،وقد عرف بأنه طبق الوزراء والملوك،[٦]وكان هذا الطعام محبوبا عند العرب منذ القديم، وقد روى حديث عن الثريد يقول :"فضل عائشة على

---

(١)ابن خلكان:المصدر السابق،ج٥،ص٤٦.

(٢)الوزير السراج:المصدر السابق،ج٢،ص١٠٦.

(٣) حسن يوسف دويرار:المرجع السابق،ص٢٨١.

(٤) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية.ص١٨٤

(٥) نفسه.ص١٨٥.

(٦) دايفيد وينز:فنون الطبخ في الأندلس،تر عبد الواحد لؤلؤة،مركز الدراسات الوحدة العربية،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج٢،نوفمبر ١٩٩٩ ،بيروت ص ١٠٢.

النساء ،كفضل الثريد على سائر الطعام"[1] و طبق آخر عرف بالأحرش و سمي في مراكش بسفيريا و هو مصنوع من لحم الغنم المدقوق المنقوع بالخل و الزيت و الثوم و التوابل مع القليل من البيض، يمـزج الخليط ثم تأخذ منه كرات صغيرة تقلى في الزيت حتى و يصحب هذا الطبق في الغالب بطبق الثومية المكون من الثوم المدقوق و الدجاج و قوانصها و تقلى في الزيت و يجمع مع الدجاجة بملح و فلفل وزنجبيل وزعفران ولوز مقشر و يترك حتى ينضج و يخرج من القدر و يصب في إناء نظيف [٣]، و الصنهاجي الملوكي المكون اساسا من لحم البقر و لحم الغنم و فراخ الحمام و اليمام و كذلك العصافيـر و يرش فوقه لوز مقسوم و يطهى في الفرن[٤] .

و اشتهرت هذه الطبقة بحبها للأمخاخ حتى أن موائدهم لم تخلوا منها، و لم يقتصروا على نوع معين منها، فأكلوا أمخاخ كل ما يذبح من الحيوانات و الطيور[٥] ، و فضل بعضهم أكل المشاوي، فعرف في تلك الفترة شواء عجل كامل و كذلك خروف كامل و تقديمه كما هو على موائد المترفين[٦] ، و أكلوا ما عرف بالتفايا المكونة من لحم الغنم السمين مع اللوز المقشر المحلول بماء ورد البيادق [٧] ،و أكلة جشيشة المصنوعة من القمح المطحون الخالي من النخالة و المعجون بالماء و الحليب، و عندما ينضج يخلط عليه لحم قليل و صب عليه بعض من الدجاج المطبوخ[٨]، و المجنبات التي اشتهرت بها العديد من المدن الأندلسية كإشبيليا التي اعتاد أهلها على حمل هذا النوع من الطعام معهم عند التنزه لحـــــبـهم له[٩] و المجنبة هي نوع من القطايف التي يضـــــــاف إليها الجبن في عجنــــها

(1) ابن قيم الجوزية:الطب النبوي،تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة،دار القار،بيروت،لبنان،ط٢، ٢٠٠١ ،،ص:٢٣٤

(٢) جمال أحمد طه :الحياة الاجتماعية.ص:١٨٦

(٣) نفسه، ص:١٨٦

(٤) نفسه، ص:١٨٦

(٥) نفسه، ص:١٨٧.

(٦) نفسه، ص:١٨٧.

(٧) دايفد ونير: المرجع السابق،ص:١٠٣٣.

(٨) جمال طه. نفسه.ص١٨٧

(٩) ابن سعيد المغربي:اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي،تحقيق،ابراهيم الأبياري،دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٨٠،ط٢،ص:٦٥٦.

و تقلى بعدها في الزيت [١] تنوعت طرق إعداد المعجنات ،فالمعجنات الطليطلية كانت تصنع من دقيق القمح النقي على شكل هلال و تحش بخليط من الجبن الطري و تخبز على ملة فوق النار، وعندما تنضج تغطى بطبقة من العسل و الزبدة و مزيـــــــــــــج من السكــــر و القرفـــة[٢]، و اعتاد الناس على أكل هذه الوجبة صباحا و هي ساخنة و قدموها في حفلات الأعراس و الختان و النزهات [٣]، و كذلك الثردة [٤] و هي عبارة عن عجين من الدرمك- الدقيق الأبيض النقي- بالفلفل و الزيت يعمل منه اربعة رغائف رقاق تقلى في مقلات بزيت حتى تحمر ثم تدق جيدا و تصب في صحفة و تقلى في زيت عذب ثم يضاف إليها فستق و لوز و صنوبـر مقشر و سكر و تصب في صحفة، و ترش بماء الورد و تقـدم[٥].

لم يقتصر طعام الخاصة على الموالح من الأطباق فقد احبوا أكل الحلويات كثيـــــرا و أبدعوا في صناعة الكثير منها كسنبوسك الملوكي الذي كان يعمل في دار المنصـــــــور، وهو عبارة عن سكر أبيض ممزوج بماء الورد و اللوز المهشم و بعض التوابل تخلط كلها و يصنع منها أقراص على قدر الكعك[٦]، و بتغيير في بعض المقادير يمكن صنع سنبوسك مالح[٧]، و عرفت حلوى الترافست التي تصنع بتفتيت رغيف الرقاق دقيقا و يضاف عليه كمية من الماء و مثلها من العسل مع مزيج من الزعفران و يخلط الكل حتى يكون عجينة متماسكة و يفرغ في جفنة و ينثر عليه لوز، و يصنع في وسطـــــــه حفرة و صنع الكعك بطرق مختلفة[٩]، و منها الكعك المصنوع من الدرمك والسميد و الزيت [١٠]

---

(١) الزجالي: امثال العوام، ج٢،ص:٣١.

(٢) دايفد ونير: المرجع السابق،ص:١٠٣٠.

(٣) إبراهيم القادري بوتشيش. المغرب و الأندلس،ص:٧١.

(٤) الزجالي:المصدر السابق، ج٢،ص:١٣٢.

(٥) جمال أحمد طه .الحياة الاجتماعية.ص.١٨٨

(٦) نفسه:ص:٢١٣.

(٧) أحمد قدامة: قاموس الغذاء و التداوي بالنبات،دار النفائس،بيروت،١٩٩٢،ط٧،ص:٣١٠.

(٨) جمال طه: مدينة فاس،ص:١٧٩.

(٩) الهادي روجي إدريس:المرجع السابق،ج٢،ص:٢٠٠.

(١٠) جمال أحمد طه. مدينة فاس.ص.١٨٠

والفطائر التي كانت تقدم في الصباح [١]، و الحلوى المسماة القاهرية التي كانت تصنع للخلفاء بمراكش [٢]، و هي عبارة عن لوز مع سكر مضاف إليه سنبل و قرنفل و القليل من كافور و مسك محلول ماء الورد و يدق الجميع متى يختلط جيدا ثم يعمل منه كعك و أرغفة و يبرد قليلا ثم يغمس في شراب الورد السكري [٣]،و هذا النوع من الحلوى تفننت السودانيات في صنعها [٤]، و أنواع أخرى كثيرة اتفق أغلبها على دخول العسل في مكوناتها[٥]،و قدمت على موائدهم الكثير من الفواكه المجففة الطازجة و المكسرات بأنواعها المختلفة [٦].

طعام باقي شرائح المجتمع:

تنوع الطعام و ذلك حسب كل أسرة و ما تملكه من إمكانيات إلا أن الخبز لم تخلو منه أي دار من الدور في تلك الفترة، و كان يقدم في الفطور و العشاء[٧]، و لا يزال الخبز كذلك إلى اليوم، إذ تعتمد عليه الوجبات في أغلب البلدان المتوسطية، و كثرة الأرحاء في مدن المغرب و الأندلس يدل على الاستهلاك الواسع للقمح و الشعير، المادتان الأساسيتان في صنع الخبز [٨]، و لصناعة الخبز كيفيات كثيرة، و كان خبز القمح أفضلها و أغلاها لما له من فوائد صحية كثيرة ،و نصح الأطباء مرضاهم بتناول خبز القمح دون سواه[٩]،وقد ذكرت المصنفات أسماء أنواع من الخبز المصنوع من القمح منها خبز الطابوني، المغموم، المشوك، الرقاق،اللبق، المشطب ، المرشين الأصفهاني، خبز الماء، و كان خبز قنتورية بالأندلس من أحسن الأنواع [١٠].

---

(١) عثمان الكعاك:المرجع السابق،ص:٣٠.

(٢) جمال أحمد طه :الحياة الاجتماعية .ص.١٩١

(٣) إبراهيم القادر يبوتشيش،نفسه،ص:٧٤

(٤) جمال أحمد طه:نفسه،ص:١٩٢.

(٥) نفسه:ص١٩٣

(٦) Levi provençal-op-cit-p:420

(٧) جمال أحمد طه: نفسه،ص:١٩٥

(٨) الإدريسي،نزهة المشتاق،ص:٢٣١

(٩) جمال أحمد طه:نفسه،ص:١٨٩

(١٠)نفسه.ص:١٩٠

وقد تعذر على الشرائح الفقيرة في المجتمع تنازل خبز القمح لغلائه و استهلكوا بدلا له خبزا صنع من الشعير[١]، يشوى في مقلاة فخارية [٢]، و أنواع أخرى من الخبز كخبز العرس و الدخن و خبز الشليم و خبز الدرة و خبز الحمص ،و خبز شجرة الأرز[٣]، و أكل المتصوفة أقراص صنعت من دقيق البلوط [٤]، و يعد هذا مظهرا من مظاهر تقشف هذه الشريحة و كان للقمح استعمالات أخرى إذ صنعت منه أنواع كثيرة من العصائد[٥]،و الكسكسي[٦]، و البركوكس[٧]، و كذلك السخينة التي صنعت من الدقيق و تعد أحد أنواع أطعمة اليهود في المغرب، و يضاف إلى الدقيق لحم و إدام و حمص[٨]، و بالإضافة إلى أنواع من الحلويات و كان الخبز يحمل إلى الأفران ليطهى فيها[٩]، أو يطهى طهوا يدويا داخل المنزل[١٠]، و ذلك يحدد مستوى الأسر.

عرفت الفترة انتشار أنواع كثيرة من الوصفات بين الناس منها وصفة تاحفصت المعروفة بمراكش و هي نوع من التفايا المقلية المكونة من اللحم المقطع إلى قطع صغيرة ممزوج ببعض التوابل يترك على النـار حتى يجف و يقلى بعدها في الزيـــت حتى يتم نضجـــه [١١] و طبق المخلل و هو طبق يمكن الاحتفاظ به لأيام دون أن يفسد[١٢]، و طعام البلاحة المكونة من اللحم البقري والغنمي السمين المقطع صغير و المضاف إليه الملح و البصل و الكزبرة و اليابسة و الزيت و يوضع على نار هادئة لينضج، بعدها تصفى من المرق و تقلى بزيت

---

(١) الحسن الوزاني:المصدر السابق،ج٢،ص:٩٦.

(٢) سعد زغلول:المرجع السابق،ص:١١٢.

(٣) جمال أحمد طه:نفسه،ص:١٩٣.

(٤) التادلي:المصدر السابق،ص:١٩٧.

(٥) نفسه،:ص:٣٠٣.

(٦) دافيد وينر: المرجع السابق،ص:١٠٣٤

(٧) الرجالي:المصدر السابق،ج٢،ص:

(٨) الزجالي،البكري،المصدر السابق،ص:١٥٨،ص:٣٠٣.

(٩) التادلي:المصدر السابق،ص:٢٢٧،٣٤٢.

(١٠) دايفد وينر:المرجع السابق،ص:١٠٢٣.

(١١) جمال أحمد طه .نفسه.ص.١٩٣

(١٢) نفسه ص١٧٩

حتى تحمر في طاجن و يضاف عليها اللوز و الزعفران و تعاد إلى الفرن حتى تجف مرقتها[١]،و طبق الإفريقية المكونة من دجاجة مطبوخة بزيت الزيتون[٢]، و طبق أساس الذي أعده عبد المؤمن لأصحابه ومن مكوناته لحم الخراف[٣].

كانت أطباق تلك الفترة غنية بأنواع كثيرة من الخضر، و منها السبانخ الذي يعد مكونا أساسيا في أطباق كثيرة [٤]،و طبق البيسار المكون من فول مطبوخ مع الزبـــدة و الحليـــب، و النيسابورية المكونة من سبانخ و جزر ،و الفستقية هي الأخـــرى تتكـون من سبانـــــخ و فـول[٥]، و الكوكبية المصنوعة من سلق و حمص ، و السماصاخية و الحريرة التي هي حساء بالفلفل و الثوم [٦]، و عرفت المخللات كالباذنجان المخلل[٧]، و يذكر صاحب كتاب الفلاحة كيفية تحضير الزيتون ليصبح صالحا للاستهلاك[٨]، و خضر أخرى كثيرة كل حسب موسمه.

واشتهرت أطباق السمك في المناطق الساحلية خاصة و مثلت طعامهم الأساسي لتوفرها [٩]،إلا أن البعض اعتبر أن الإكثار من أكل السمك ليس جيدا للعقل[١٠]، و الرأي العلمي فند ذلك لان الأسماك لها قيمة غذائية كبيرة، والإكثار من أي شيء ليس مفـــــــيدا و كانت الأسماك تأكل مشوية أو مقلية[١١].

ومن الأطباق التي أعدت في تلك الفترة السكباجة، السنبوسك، البرزق والأطرية[١٢]

---

(١) جمال أحمد طه :الحياة الاجتماعية،ص:١٨٠.

(٢) نفسه:ص:٢٠٣

(٣) البيدق،المصدر السابق،ص:١١٩

(٤) جمال أحمد طه،الحياة الاجتماعية، ص:١٩٣

(٥) نفسه،ص:٢٠٣.

(٦) نفسه، ص:٢٠٣.

(٧) الزجالي، المصدر السابق،ج٢،ص:١٩٥.

(٨) أبو خير الأشبيلي،كتاب في الفلاحة،المطبعة الجديدة،فاس،١٣٥٧ه،ط،ص:٦١

(٩) الهادي روجي ادريس،المرجع السابق،ص:٢٠٢.

(١٠) المقري،ازهار الرياض في أخبار عياض،ج٥،ص:٧٩.

(١١) دايفد وينر،المرجع السابق،ص:١٠٢٥.

(١٢) جمال أحمد طه،ص:١٨٨.

و الميرة [١]،و العدس باللحم المقلي[٢]، و أعدت الهريسة بطرق مختلفة منها المالح ومنها الحلو،ويعد المالح بلحم العجل أو لحم الضأن و حتى صدور الإوز و أفخاذها، و كذلك الدجاج وقد تصنع بالأرز، أو بفتات الدرمك عوض القمح[٣]، و كانت حلوى الهريسة سلعة رائجة في الأسواق[٤]، و كذلك الإسفنج المقلي و المعسل [٥]،و الكعك و المسمنات و الشهـــــــــدة و الخشكلان و المشماش و السنبوسك و القطايف و العباسية و الزلابية[٦]، و الملبس المعسل و اللوزينج بالسكر و القباط المحشو باللوز[٧]، و الجوزنيقات و القاهريات و أطباق مشرقية أخرى منها المزونة المصرية، والفروج المصري، والدجاجة العباسية، وبعض الأطباق اليهودية كالفروج اليهودي، والحجلة اليهودية، وطعام الاجرش،[٨] وثريدة الفـــــــول بالسمن،[٩]والمرقاس، وآسلو وهو حنطة مقلية وبعدها تطحن ثم تمزج بالعسل والسمن وتعجن فوق نار ثم توضع في مزاود[١٠]،وعرف في أهل السوس أكلهم للجراد الذي كانت تجارته رائجة حتى أن المرابطين فرضوا عليها ضريبة القبالة[١١]،وأكلت الكلاب في بعض المناطق،ومنها سجلماسة ، التي أكل أهلها حيوانا اسمه خردون[١٢]وكانوا يعملون من اللحم مشاوي في سفود ويحتفظون به لمدة طويلة في شكل قديد.

وكان طعام المتصوفة والأولياء الصالحين طعاما خاصا ،فقد كانوا أناسا يكتفون بما يسد

---

(١) جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية ص:١٨٠.

(٢) نفسه،ص:١٨٩.

(٣) نفسه ص ١٩٠

(٤) التادلي،المصدر السابق،ص:٢٢٨.

(٥) الإدريسي،نزهة المشتاق،ج٢،ص:١٣٥.

(٦) إبراهيم القادري بوتشيش،المغرب و الأندلس،ص:٧٤

(٧) الهادي روجي إدريس،المرجع السابق،ص:٢٠١.

(٨) جمال أجمد طه: ص:١٩٠

(٩) التادلي :المصدر السابق،ص١٠٣.

(١٠) الهادي روجي ادريس :المرجع السابق،ص

(١١)الادريسي:نزهة المشتاق،ص٢٢٦، ٢٣٥.

(١٢) نفسه:ص٢٢٦.

جوعهم فقط ،كثيرا ما كانت وجباتهم تنحصر في خبز بلبن[١]وأحيانا خبزا بماء[٢]،وخبزا وحده [٣]، غير ان هذا النظام طبقوه على أنفسهم فقط ،حيث كانوا يقدمون افضل ماعندهم من طعام لزائريهم،فأبو يعزى كان يؤثر على نفسه ويمنح الواصلين إليه العسل ولحم الضأن والدجاج[٤]،وكان أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله بن محـــــمد أمغار الصنهاجي لا يأكل إلا الأسماك[٥]،وأقتات البعض على خبز كان يصنع من أصول الأرض،أو رغيف البر بالعسل[٦]وعصيدة شعير بسمن[٧].

وكان المتشددين منهم لا يتناولون أي شيئ لعدة أيام،وكان أحدهم يفطر على ثلاثين تمرة كل يوم وراح ينقص عددها إلى أن وصل إلى نصف تمرة وعند انتهاء التمر كان يمص عظمه،وكانوا يأكلون الحشيش في حال الجوع الشديد[٨]وصنعوا طعاما من ورق البلوط المعجون[٩]،وحتى أوراق الدفلى[١٠]،وكثيرا ما كانوا يرفضون طعاما كان يقدم إليهم لشكهم في شرعية مصدره[١١]،وعلى الرغم من حياة التقشف والفاقة التي عاشوها إلا أنهم تميزوا بالكرم فأبو مدين شعيب ذبح لأحد ضيوفه كبشا احتفاء به[١٢]،و قد آخرون الارغفة مع العسل الأبيض والسمن[١٣].

تميز المطبخ المغربي بالاستعمال الكثير للزيت ومنها زيت ارغان التنسي،[١٤]) التي كان يقلى بها الاسفنج في الأسواق[١٥]،و أكثر المغاربة من استعمال الفلفل الأسود في

(١)التادلي:المصدر السابق،ص١٨١.

(٢)نفسه:ص:١٩٧.

(٣)نفسه:ص٢٩٤.

(٤)نفسه:ص٢١٧.

(٥)نفسه:ص٢١٧

(٦)نفسه:ص٢١٧

(٧)نفسه:ص٢١٧.

(٨)جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية،ص:٢٠٧.

(٩)التادلي:التشوف،ص ص ١٩٧-١٩٨ .

(١٠)أبو العباس المراكشي:المصدر السابق،ج١،ص:٤٠٨.

(١١) التادلي:نفسه،ص:٢٣٢.

(١٢)نفسه: ص٣٤٠.

(١٣)نفسه:ص٢٦٢.

(١٤)نفسه: ص، ٢١٥.

(١٥) الادريسي:نزهة المشتاق،ج١،ص :٢٣٠.

أطباقهم،وعرف عن الأندلسيين استعمالهم الكثير للبيض الذي كان يخفق ويجعل منه طبقة تغطى العديد من أصناف الطعام المطبوخ،وقد يمزج أحيانا ثم ترش فوقه المطيبات(١) ،وهي عادة نقلوها عن جيرانهم الأوربيين(٢)،وكانوا مولعين باستعمال التوابل بأنواعها(٣).

المشـــــــروبات

ويأتي على رأسها الخمر، الذي كان المهدي متشددا في تحريمه وتبعه في ذلك عبد المؤمن والمنصور الذي أمر بإراقة كل المكسرات،(٤)حيث وجه رسالة إلى كل الولايات أمر فيها بإخلاء الحوانيت التي يباع فيها الخمر، وجعلها حوانيت مخصصة لما هو حلال من المبيعات،(٥)ورغم المجهودات التي بذلها الموحدون للحد من ظاهرة شرب الخمر إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك،وكان شربها سببا في حرمان محمد بن عبد المؤمن من الخلافة(٦) .

وكانت المجالس التي يشرب فيها الخمر كثيرة، والدليل على ذلك كثرة المصنفات الشعرية التي ورد فيها أن مجالس اللهو لا تكتمل إلا بوجود الخمر، فديوان ابن سهل ملئ بذكر هذه المجالس وما كان يحدث فيها ومنها قوله:

حتى يخيل إني شارب ثمل   بين الرياض وبين الكأس والوتر (٧)

وكان ديوان بن قزمان أكثر ثراء بالأزجال التي تصف الخمر(٨)،وهذه المجالس وجدتا صدى في الحواضر المغربية أيضا،حيث كانت شائعة بالقيروان مـــــن القرن الثالث الهجرة(٩).على الرغم من أن الله تعالى قال في تحريمها:**"يَا أَيَهَا الذِّينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْـــــــرُ وَ المَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَيْطَانِ فَإِجْتَنِبُوهُ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونْ".**(١٠)

(١)دايفدوينز:المرجع السابق،ص١٠٣٣

(٢)محمد عبد المنعم:العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا المسيحية،ص٤٣٩.

(٣)ابراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس،ص٢٢٨.

(٤)المهدي بن تومرت:المصدر السابق،ص٣٦٣-٣٧٦

(٥) ابن عذارى :المصدر السابق،قسم الموحدين ،ص١٧٣.

(٦)نفسه:ص،٧٨.

(٧)ابن سهل:المصدر السابق،ص١٤٨.

(٨)ابن قزمان:المصدر السابق،ورقة ٨b-١٤b-١٧b.

(٩)عبد المجيد بن حمدة:ثقافة المجتمع القيرواني في ق ٣ هـ،شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ،القصبة ،تونس ،١٩٩٧ ،ط١،،ص١١٤.

(١٠)سورة المائدة:الآية ٩٠.

صنعت الخمر من العنب والتين[١]،وكانت المصنوعة من العنب هي الأكثر انتشارا في المغرب والأندلس، وكانت تعرف بالرّب ،وهذا المشروب إذا لم يغلى كثيرا لم يكن مسكرا ويسمى بالرب الحلال، وهو طبيخ عنب خائر فقط[٢]،ومن المشروبات المسكرة التي تعاطاها أهل السوس شراب أنزير، وهو حلو لكنه يفعل بشاربه ما يفعله الخمر، و هو مصنوع من عصير العنب الحلو المطبوخ على النار إلى أن يذهب منه الثلث ويشرب بعدها، ولم ير أهل السوس في ذلك حرج إذ أنهم اعتبروه مشـــــــــروبا حلالا' [٣]'وعرفت مالقة بصناعة الخمور الجيدة [٤]،وكذلك مرسية ولو رقة[٥]،وصنع من العسل نوع من الخمور[٦] .

عرفت مشروبات أخرى كثيرة حلالا منها مشروب عرف بالجلاب و هو نوع من شراب العسل أو الزبيب ،ويصنعون شراب الورد والبنفسج،[٧]واعتاد الأندلسيون على شرب الماء المعطر دائما سواء بزهر البرتقال أو الورد[٨]،واستخرج في تلك الفترة مشروب حلو من قصب السكر[٩]،وقاموا بنقع مدقوق الزبيب في الماء وهو ما يعطي مشروبا حلوا يصفى ويشرب بعدها[١٠]،وعصائر أخرى كثيرة،وكان ينصح بتناول مشروب ما بعد أكل المجبنات الدسمة والعسيرة الهضم[١١].

أما الشاي فلم يعرف بالمنطقة إلا في العصور الحديثة،وأول ما اكتشف كان بالصين في قارة آسيا[١٢]،وأما النعنع فكان موجودا ونصح بشربه بعد الأكل وكان دواء لبعض

---

(١)ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب،ج٢،ص٢٧٤.

(٢)ابن صاحب الصلاة:المن بالامامة،ص١٧٤.

(٣)الإدريسي :نزهة المشتاق،ص ٢٢٨.

(٤)ابن سعيد المغربي:نفسه،ص٤٢٤.

(٥)الحميري:المصدر السابق،ص١٧١.

(٦)مجهول الاستبصار،ورقة :

(٧)الهادي روجي ادريس:المرجع السابق،ص٢٠١.

(٨)Levi provençal,op.cit.p421

(٩)الهادي روجي ادريس:المرجع السابق،ص٢٠٠.

(١٠)الإدريسي:القارة الافريقية ،ص١٢٦.

(١١) دايفد وينز:المرجع السابق،ص١٠٣٢.

(١٢)ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب،ج٢،ص،٢٧٤.

الآلام[١]،أما القهوة فقد ورد ذكرها في اشعار ابن قزمان وازجال ابن قزمان[٢]إلا أن القهوة التي دكرت لم تكن القهوة المعروفة عندنا،حيث قصدوا بها الخمر في الغالب،والقهوة لم تظهر إلا في العصور الحديثة،نقلها إلى بلاد المغرب الحجاج العائدي من الحجاز[٣]،مثلها مثل الشاي الذي كان ظهوره متأخرا كما سبق وأن ذكرنا [٥]، على عكس النعنع الذي كان واسع الاستعمال آنذاك [٦]

أدوات المطبخ:

إن الحديث عن الطعام يجر دائما إلى الحديث عن المطبخ والأدوات التي تستخدم لإعداد الطعام،وأهم هذه الأدوات كان الموقد والتنور،اللذان بدونهما لا يمكن إعداد الطعام،فمن الموقد تصل الحرارة مباشرة إلى قاع الإناء الملئ بمكونات طبخة ما،أما التنور فيقدم حرارة جافة تناسب طهو الخبز والشراء،ويمكن للطاهي التحكم في حرارة هذين الجهازين[٧]ويستخدم أيضا مجمر النار لطهو بعض أنواع الطعام[٨]

وأغلب الأواني التي كانت تستعمل للطهو في تلك الفترة كانت من الفخار،فالقدور الكبيرة كانت تستخدم لطبخ الثريد، [٩]وأنواع اللحوم[١٠]،واستعملوا القدور وذات العنق،سميت هكذا لأنها قدور ضيقة القاع واسعة الفم،أما القدور المثقبة من الأسفـــــــــــــــــل فكانت لإعداد

(١)مجهول:الاستبصار،ورقة ١٢١ p

(٢)ابن دحية:المصدر السابق،ص١٧١.

(٣)ابن قزمان:المصدر السابق،ورقة :.٨p

(٤) Larousse:dictionnaire de civilisation musulmane, aubin imprimeur ligugé,paris . France.1995p58

(٥)أحمد قدامة:المرجع السابق،ص٢٠٣.

(٦)ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب ،ج٢،ص٢٧٤.

(٧) دفيد وينز:المرجع السابق،ص ١٠٢٣.

(٨)التادلي :المصدر السابق،ص٢٦٥.

(٩)جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص٢٠٩.

(١٠)نفسه:ص٢٠٩.

الكسكسو[١]،وعرفت القدور باسم البرمة أيضا[٢]وبالإضافة إلى القدور استعملوا الطواجين لغلي حشيش الشعير،وصنع الأطعمة المركبة،وأخرى استخدمت لطهو الحساء وحشيش القمح وبعض الوجبات الأخرى،وهذه الأطباق كانت تزين بالجبن الطري[٣]،والطاجن هو طبق مخروط الجذع بحافة انسيابية مزودة بحواف مثلثة،حوافها السمن تكون قيمة تأخذ اللون الأصفر وتكون قاعدتها تترواح نحو ١٨ إلى ٣٠سم وهي أطباق لطهو اللحوم والسميد [٤]،أما الطيفور فهو عبارة عن طبق واسع عميق استخدم لتقديم اللحوم[٥]وأنواع المجبنات[٦]،

و وجدت أطباق سميت (Gazula) حفظت في المطبخ للمأدبة الصغيرة[٧]،وبالإضافة إلى الأواني الفخارية وجدت الأواني النحاسية أو المصنوعة من معادن أخرى كالذهب والفضة،غير أن الأواني المصنوعة من هذين المعدنين لم تكن شائعة في تلك الفترة ،حيث كانت الأواني الفخارية هي الأكثر استعمالا[٨]

وعرف أهل العدوتين أنواع كثيرة من المقالي منها ما استعمل لشي خبز الشعير،[٩]وأخرى لقلي السمك[١٠]،والبيض،ولطهو الكنافة[١١]،ومقلاة من الفخار أو الحديد لشواء اللحم المخلوط[١٢] والدجاج [١٣]،ومقلاة لصنع المجبناة[١٤].

---

(١)نفسه:ص٢١٠.

(٢)عصام سالم سيسالم:جزر الأندلس المنسية،التاريخ الإسلامي لجزر البنيار،دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،١٩٨٤،ص٥٦٩.

(٣)جمال أحمد طه:نفسه،ص٢١٢.

(٤)نفسه

(٥)عصام سالم سيسالم:نفسه،ص٥٦٩.

(٦)جمال أحمد طه:نفسه،ص ص ،٢١٣،٢١٤.

(٧)دايفد وينز:المرجع السابق،ص١٠٢٤.

(٨)نفسه:ص١٠٢٥.

(٩)سعد زغلول:المرجع السابق،ص٤٠٨.

(١٠)دايفد وينز:المرجع السابق،ص ١٠٢٤.

(١١)جمل أحمد طه.نفسه.ص.٢١٥

(١٢)نفسه:ص.٢١٦ .

(١٣)مجهول:الطبيخ:ص١٨٧.

(١٤)جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص ص ،٢١٣،٢١٤.

وأخرى لصنع الحميص[١].

ولأن أغلب الأطباق يوجد بين مكوناتها شيئ مطحون فإن الرحى كانت ضرورية، و تنوعت هذه الآلة بتنوع المواد المطحونة ،فالطريحة هي مطحنة يدوية مثبتة على الأرض [٢]،وأخرى شبيهة جدا بالرحى التقليدية التي تستعملها الأسر في المناطق الريفية ببلاد المغرب اليوم،وهي عبارة عن جزئين سفلي وعلوي يدور العلوي فوق السفلي وسمى هذا النوع بالكادحة[٣]،وعرفت أيضا الطاحونة الهوائية المخصصة لطحن الحبوب، وتعمل هذه الأخيرة بقوة الرياح التي تحرك الناعورة المواجهة في الهواء[٤]،ويعد طحن القمح وباقي أنواع الحبوب يستخدم الغربال للتصفية، وجعل المادة جاهزة للاستعمال[٥]،وبعدها تعجن السميد في معجنة معدة للعجن واختمار الخبز، ففي مراكش استعملت أصداف السلاحف كأواني للعجن[٦]،وحتى تخمر العجائن كانت توضع على لوح خشبي،وعليه تحمل رقائق الكعك والحشو[٧]أما الشوبك فهو عود من الخشب المخروط غليظ الوسط رقيق الطرفين،استخدم لحل وقطع العجين[٨]وكانت الكوشة تستخدم في صناعة الكعك[٩]،ومنقاش النحاس لنقشه[١٠]ومفرش الحديد لتطوي وتثقب فيه القطايف[١١]واستخدمت الملة المصنوعة من الفخار المزجج أو من معدن ما لطهو الخبز في المنازل[١٢]واستخدم المقص لأغراض مطبخية ،والمنديل لمسح وتنظيف الرقائق عند اخراجها من الفرن ولتغطيتها[١٣]،وكذلك

---

(١)نفسه:ص٢١٤.

(٢)عبد العزيز بن عبد الله:معجم الطحانة والخبازة والفرانة،الدار البيضاء،د ت ط ، ص ص ،٠٧٠٦.......

(٣)نفسه:ص٧.

(٤)جمال أحمد طه:المرجع السابق،ص٢١٤.

(٥)-

(٦)الادريسي:قارة افريقيا،ص١٣٩.

(٧)جمال أحمد طه .نفسه.ص.٢١١.

(٨)نفسه:ص٢٠٧.

(٩)نفسه:ص٢٠٧.

(١٠)نفسه:ص٢٠٨.

(١١)نفسه:ص٢٠٩.

(١٢)دايفد وينز:المرجع السابق،ص١٠٢٣.

(١٣)Levi provençal:op.cit ,p420

استخدم المنديل على الموائد من أجل المسح به أيضا[1]

واستخدم السفود لشواء اللحوم والأسماك[2]،وأوعية من الفخار لغلي الحليب وصنع الزبد[3]،وكذلك الأباريق المخصصة للشرب المسماة النياطيل المصنوعة من الفخار وكانت كروية مستديرة ضيقة مع منقار مزود بمقبض واحد،وهي مزخرفة بنقوش بارزة تكون أحيانا مغطاة بزخرفة من نفس الطلاء الأبيض،وغالبا ما يكون أصفر أو أخضر[4]،واستخدمت الجرار لحفظ المياه،والكبيرة منها فكانت مخصصة لحفظ الزيت والزيتون وأنواع الزروع والحبوب الجافة وغيرها[5]،ولنفس الغرض استخدمت القلة و الاوزرة[6]،واستخدمت إحدى أنواع القلل لصنع الاسفنج[7] واستعملت الطواجن المزججة لتحمير الدجاج في الفرن ولقلي الزبد الطري[8]

و وجدت أوعية فخارية تنوعت استخداماتها، فمنها من كان لحفظ الخبز والسميد،[9]ومنها ما استعمل لغلي الحليب وصنع الزيد، كما سبق وذكرنا،واستعمل الطنجير لازالة الرغوة من العسل بعد وضعه على النار، واستعمل أيضا للقلي[10]،أما الملاعق الخشبية فقد استعملت لأكل الحساء والعصائد وما شابههما[11]،ولتحريك مكونات الطعام لتفادي التصاقها بقاع القدر[12]،ولتقدير خلط الزيوت والخل في الطعام[13]،واستعملوا الخرقة، فكانت الخرقة الصفيفة لتصفية المرق ولبن الحليب ،والجديدة المربوط بها بعض التوابل لطبخ لحوم التفايا.

Levi provençal.op.cit.p420(١)

(٢)دايفد وينز:المرجع السابق،ص١٠٢٣.

(٣)جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص٢١٢.

(٤)نفسه.

(٥)جمال أحمد طه:المرجع السابق،ص٢١٢.

(٦)عصام سالم سيسالم:المرجع السابق،ص٥٦٩.

(٧)جمال أحمد طه .نفسه.ص.٢١٢.

(٨)جمال أحمد طه:نفسه،ص٢١٥.

(٩)مجهول:نفسه،ص٤٨.

(١٠)جمال أحمد طه:نفسه،ص٢١٤.

Levi provençal.op.cit.p421(١١)

(١٢)جمال أحمد طه:نفسه،ص٢١٣.

(١٣)نفسه:ص٢١٤.

البيضاء،أما المربوط فيها الملح لمسح المقلاة[1]،واستعمل المثرد لتفريغ اللحوم والأغذية،وكإناء مستعمل لتقديم الأطعمة ،والمنخل لتغطية القدور والصحاف ولتغطية القدور والآنية [2]وعرفوا محبس الفخار ونقير الخشب والقربة و مهراس النحاس لطحن السكر واللوز و مواد أخرى ومهراس الخشب لدرس لباب الجوز ومهراس العود أو حجر الرخام لهرس القمح والشعير وطحن الملح[3]،والقفة والمروحة من الحلفاء لصنع الجبن،والمخطاف للتقليب وتحويل المجبنات داخل المقلاة والاسكرفاج من الحديد لحك الجبن اليابس،وبعض التوابل ،ومنديل لتصفية العسل[4]

وعمل الناس دائما على الحفاظ على نظافة الأواني المخصصة للطبخ لما في ذلك من فائدة صحية كبيرة،وكانت النسوة يقمن بتنظيف الأواني بالماء الحار والنخالة وكان ينصح بتبديل الأواني كل يوم،أما إذا كانت مزججة فتبدل كل خمسة أيام،في حين كان استخدام الأواني النحاسية غير محبب[5].

وعند تناول الطعام كان أفراد الأسرة يجتمعون حول لحاف وضع فوقه الطعام على الأرض أو فوق مائدة منخفضة[6]،مستعملين الملاعق لأكل العديد من الأطباق[7]،ويستغنون عنها في أطباق أخرى[8]،وكانت الموائد في الأندلس تزين بسماطات جلدية توضع فوقها مناديل جميلة[9]وكانت الوجبات تقدم ثلاث مرات في اليوم[10]وعرف عن أهل المدن والحواضر تنوع أطباقهم،واستعمالهم الكثير للتوابل والادام،في حين عرف أهل البوادي ببساطة أطباقهم وقلة نسبة الادام بها[11].

(١) نفسه:ص ٢١٤.

(٢)دايفد وينز:المرجع السابق،ص١٠٢٤.

(٣)جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص٢١١.

(٤)نفسه:ص٢١٢.

(٥)دايفد وينز:المرجع السابق،ص١٠٢٤.

(٦)الحسن الوزان:نفسه،ج٢،ص٢٥٤.

(٧)Levi provençal.op.cit.p421

(٨)الحسن الوزان:المصدر السابق،ج١،ص١٩٨.

(٩).Levi provençal.op.cit.pp420,421

(١٠)الحسن الوزان:المصدر السابق،ج١،ص١٩٧.

(١١)ابن خلدون:المقدمة،ج٣،ص٩٤٧.

الملابـــــس:

تعد الملابس من أهم الخصائص التي تضفي على المجتمع نوعا من التميز، فنوع الملابس وكيفية تنسيقها يعطي صورة صادقة عن حالة المجتمع،وعن العادات والأعراف السائدة فيه،وعن مدى التزام الناس وتحفظهم،ومن خلاله أيضا يمكن تحديد طبقات المجتمع،لأن كل طبقة لبست وفق إمكانياتها ومكانتها الاجتماعية.

لباس الطبقة الخاصة:

نذكر دائما أن الموحدين حاربوا في بداية دولتهم كل مظاهر الترف والتفاخر، ونادوا إلى الرجوع إلى الدين والسير وفق تعاليمه(١)،ولهذا لم يتكلفوا كثيرا في أزيائهم،فالمهدي بن تومرت لم يلبس طوال حياته إلا عباءة مرقعة مطبقا بذلك ما نادى إليه(٢)،وكذلك كان الحال بالنسبة لعبد المؤمن بن علي الذي كان لباسه قميص وسروال وجبة من صوف(٣)لم يزد عنهم عليهم ولم يغيرهم إلى أن مات.

وكان التطور الذي شهدته الدولة والاحتكاك الذي كان بين المغرب والأندلس سببا في تغيير آراء الكثيرين وانغماسهم في ملذات الدنيا ومتعها، ومنها اللباس المخملي فلبسوا الفراء، والقباطي، والبرانس الغالية الثمن،(٤)والغرائر،(٥)هذا عن أهل المغرب أما أهل الأندلس فقد عرف عنهم الاناقة وحب الظهور بلبس الفاخر من الثياب، وكان لهم تأثير كبير على أهل المغرب،في حين تأثروا هم بما نقله زرياب من المشرق من مظاهر الحضارة وكذلك تأثروا بلبس النصارى من جيرانهم(٦).

فكانت الغفائر الزبيبة والبرانس المسكية لباسا خاصا بالخلفاء الموحدين، وكان المنصور منع باقي الرعية التزي بمثل أزياء الخلفاء حفاظا على مكانتهم،(٧) والغفارة هي خرقة تلبسها

---

(١)ابن الأثير:المصدر السابق،ج٨،ص٢٩٦

(٢)الزركشي:المصدر السابق،ص٠٥.

(٣)ابن القطان:المصدر السابق،ص١٣٢.

(٤)ابراهيم القادري بوتشيش:المغرب والأندلس ،ص٧٦.

(٥)Levi provençal.op.cit ,T2p218.p421

(٦)مريم قاسم:المرجع السابق،ص٢٥٦.

(٧)ابن عذارى:المصدر السابق،قسم الموحدين،ص١٨٧.

المرأة لتغطي رأسها ما قبل منه وما دبر غير وسط رأسها،[1]وقد لبسها الرجال أيضا،واختص الخلفاء أنفسهم بلبس الزبدية والحمراء، والخضراء خصصت للأشياخ المعظمين في الأندلس،ولبس اليهود الصفر منها[2]،واهتماما من المنصور بأناقته كلف يعقوب بن جاووا وأخوه يوسف للعمل في نسيج الحريرواحتكارالملابس الغالية ذات القيمة الفنية الفريدة لتقديمها له[3]،وتفشى في عهده لبس الديباج المذهب، وتكلف الأعيان كثيرا في لباسهم"،فأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم توف ولم تستقص[4]،وهذا لم يحد الناس عن لبس الغالي من الثياب فانتشـــــر اللاذ و هو نوع من الحرير والقز،واللاس وهو صنف من اللاسة المصرية وهي من أفخر الأزياء مضافا إليها بالسوسية المنسوبة إلى سوسة الافريقية[5].

وكانت البرانس من لباس الخاصة،وهذا اللباس كان متداولا في البلاد منذ القرن(٤ هـ/١٠م)[6] واختص الفقهاء والعلماء أنفسهم بلبس الصفر والبيض منها أيام الأعياد،واقترن لبس البرنس بالتعمم، والعمامة زي عرف عند العرب منذ القديم حتى قيل أن تيجـــــان العرب العمائم[7]، وهذا يعني أن العمامة انتقلت إلى الغرب الإسلامي مع مجئ العرب الفاتحين أي أنها ليست لباسا أصيلا بالمنطقة،وهي عبارة عن شريط مستطيل من القماش ملفوف حول الرأس،ومن العمائم ما عرف بالكزرية المتميزة بلونها الأسود وهي عمامة بدائية تصنع من قماش يسمى المنديل[8]،وكان الغالب على أهل الأندلس تركهم للعمائم على عكس أهل المغرب ولا سيما شرق الاندلس،أما غربه فلا تكاد ترى فيها قاضيا أو فقيها إلا و هو

---

(١)ابن منظور:لسان العرب،ج١٠،علق عليه:علي شيري ،دار احياء التراث العربي ،بيروت،١٩٨٨، ط١ ، ص٩٢.

(٢)مريم قاسم:المرجع السابق،ص٢٥٦.

(٣)جمال أحمد طه:الحياة الاجتماعية،ص٢٣٢.

(٤)ابن عذارى :المصدر السابق،قسم الموحدين ،ص١٧٤.

(٥)ابراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس،ص ٨٠.

(٦)pichault(p): marcelle philibert.alger.1973.p 02: le bornous ladjellaba

(٧)صالح أحمد العلي:المنسوجات العربية في العهود الاسلامية الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت،لبنان،٢٠٠٣ ،ط١، ص ٢١٣.

(٨) الهادي روجي ادريس:المرجع السابق،ص٢٩٣.

مرتديا العمامة[1]،وكانت العمائم السوسية من أجود العمائم المصنوعة بالبلاد حيث بلغ ثمن الواحدة منها ١٠ دينار،[2]وتعمم أهل بجاية بعمائم من قماش الشرب المطرز بالذهب وقد بلغ ثمن الواحدة ثلاثة أضعاف ثمن العمائم السوسية، وكانت هذه العمائم ملفوفة ومشدودة إلى درجة ان الناظر إليها يتخيلها تيجانا لدقة صنعها(٣)،على غرار اهل المغرب لبس الاندلسيون لباسا شبيها بالبرنوس يسمى الطيلسان، وهو عبارة عن لباس موصول بغطاء على رؤوسهم، في حين كان العامة يلقونه على أكتافهم[4].أما البرنوس فقد أصبح لباسا مميزا لسكان المغرب كله يعرفون به أينما حلوا وحيثما وجدوا.

لبست الخاصة كل ماهو غالي وثمين وقد اشتهرت الكثير من المدن المغربية والأندلسية بالصناعات النسيجية ومنها تلمسان وألمرية(٥)، وغيرهما من المدن وعرفت فاس بأنواع الأقمشة المطرزة بخيوط ذهبية وفضية[6]، ومن الأقمشة التي كانت مشهورة في تلك الفترة السفساري الذي يعمل في افريقية من الحرير والقطن او الصوف رفيع النوعية، وكذلك عرف التلمساني الذي كان يصنع في مدينة تلمسان(٧) ، كان يعمل بها الثياب الصوفية المفصلة الرفيعة بالميرية ومالقة ومرسية من بلاد الأندلس صنع بها ثياب الحرير الموشاة بالذهب الذائعة الصيت (٨) حتى أن شهرتها وصلت إلى الاسكندرية وبلاد الشام(٩)،وحتى الحبشة(١٠)وكانت تلك الأقمشمة تزين باشكال نباتية وهندسية دونا عن الأشكال الحيوانية(١١)

(١) العمري،وصف افريقيا والمغرب والأندلس:نشره وعلق عليه حسن حسني عبد الوهاب،مطبعة النهضة ،تونس ،د.ت.ط،ص٢٢.

(٢)الهواري:مناقب أبي العباس السبتي،ورقة ٦٢

(٣)- الهادي روجي ادريس :المرجع السابق :ص ٢٠٦.

(4)- العمري: المصدر السابق ،ص ٤٢.

(5)-Atallah dhina : les etats de l’occident musulmane au XIII.XIV .XV siécle office des publications universitaire .Alger p p353-354.

(٦)-:نفسه .ص.٣٥٤.

(٧)- العمري: نفسه ص ٢٢.

(٨)- ابن السعيد المغربي: الجغرافيا ،ص ١٤٠.

(٩)-كمال السيد أبو مصطفى :تاريخ الندلس ،ص ٣٤٤.

(١٠)-الزهري :الجغرافيا ،ص ٢٠٧.

(١١)-السيد عبد العزيز سالم:تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس،دار النهضة ،بيروت لبنان ،ط١ ص١٦٠.

ويعود ذلك إلى ان الدين الاسلامي ينهي عن ذلك وثياب الحرير الموشى بالخيوط الفضية والذهبية كانت الأكثر انتشارا واستعمالا بين الناس،[١] وكان لكل فصل لباسه الخاص ،ففي فصل الشتاء لبس الميسورين من الناس انواع من الفراء واقتنى الأثرياء والخاصة الغالي و الثمين منها(٢) والفراء كان يصنع من جلد حيوان بحري يسمى السمور وحيوانات أخرى(٣) ولبسوا الملف المصبوغ (٤) والقباطي والبرانس و الجوخ المصبوغ من الصوف وفي الربيع لبسوا أثواب الخز دون بطائن ولا أكمام، وأما ثياب الصيف فكانت ذات الوان فاتحة صنعت من الكتان والحرير والقطن والاردية الافريقية و المقاطع(٥) والمآزر المشفوعة(٦) وكان الكثير من الناس يفضل ثيابه عند الخياطين ليضمن موافقتها لمقاييسه وذوقه ويترك شراء الثياب الجاهزة[٧].

كان لزرياب البغدادي الأثر العميق على حياة وطباع الاندلسيين ،حيث نقل اليهم حضارة العباسيين بكل حيثياتها ورونقها فكان سببا في ادخال انواع جديدة من الثياب وكان هو من علمهم كيفية تنسيقها ليظهروا فيها بمظهر انيق يسر الناظرين ،اما في بلاد المغرب فالفضل يعود على الأندلسيين فالاحتكاك الذي كان بين العدوتين كان سببا في انتقال حضارة الأندلس إلى المغرب وتأثره بها ،فأهل المغرب قبل احتكاكهم بالأندلسيين عاشوا حياة البداوة بقساوتها وميزاتها ومنها عدم التكلف وبساطة الثياب.

هذا عن اللباس اما النعال فهي الأخرى كانت متنوعة فمنها من كان مخصصا للصيف ومنها من كان للشتاء(٨)وغالبا ماصنعت النعال من الجلد وشاع لبس القرق عند المغاربةوالأندلسيين

---

(١)-ابن عبد الملك:المصدر السابق ،سفر ١،قسم ٠٢، ص٥٦٥.

(٢)-جمال أحمد طه: الحياة الإجتماعية . ص ٢٥٢

(٣)-أحمد محمد الطوفي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ،تقديم احمد مختار العبادي مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية نمصر ١٩٧٧ ،ص ٨٨.

(٤)- لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الافاق الجديدة ،بيروت ط ٢ ن١٩٧٨ ،ص ٣٨.

(٥)-ابن عبد الملك :المصدر السابق ق١ س٢ ،ص٥٦٥.

(٦)- ابراهيم القادري بوتشيش :المغرب والأندلس ،ص ٨٢.

(٧)-ابن قزمان المصدر السابق ،ص ٢٥٤.

(٨)-levi provençal op cit t3 p.408.

على حد سواء، و القرن نوع من النعال يصنع من الفلين(١) وكان المهدي قد نهى عن لبس الأقراق الزرارية التي كانت منتشرة في عهد المرابطين(٢)

لباس المتصوفة :

عرفت فترة الموحدين انتشار مظاهر الزهد و التدين خاصة اوساط الصلحاء ومريدهم ،ومن مظاهر زهدهم في متع الدنيا ومباهجها ،عدم تكلفهم في لبس الغالي و الفاخر من الثياب ،فلم يرتد المتصوفة من اللباس إلا ما يستر عورتهم أو يحميهم من القر والحر، وكان الخشن من الثياب هو الأحب والأسلم بالنسبة إليهم(٣)، فكان لباسهم عباءة من تليس أو عباءة من صوف(٤) ويذكر ابن سبعين أن التوبة لا تكون إلا بحلق الرأس ولبس الصوف (٥) وهناك من كان يرى أنه من الضروري ترك حرية الاختيار للمريد في لبس ما يريد من الثياب،ورفض ابن عربي التزام المتصوفة طريقة واحدة في الملبس وأكد على وجوب مراعاة ظروف الإقليم وعادات المناطق التي يعيش فيها المريد،ولكنه وضع شروطا للباس ومنها أن لا يكون القماش من النوع الثمين، وأن لا يفيد اللباس في سترة العورة مع الحشمة وأن لا يتعسلوه أبدا(٦) وكل هذا حرصا على ابراز مظاهر التقوى عندهم فقال ابو العباس السبتي أن سر فرض الحج هو أن يبرز الانسان في زي المساكين محلوق الرأس أشعث،وأن يلبس ثياب الأخلاق و التجرد بد ل ثياب الرفاهية و العمل على التذلل لله عزوجل وإظهار العبودية(٧).

وكانت ملابس المتصوفة خشنة وبالية غالبا فأبو يعزى كان يلبس برنوس

---

(١)-Dozy :op cit , T2 p 508.

(٢)-البيدق :المصدر السابق،ص ٣١.

(٣)-السهروردي:عوارف المعارف،دار الكتاب العربي، بيروت ،١٩٦٦ ،ط١ ص ص:٣٥٣-٣٥٨.

(٤)-ابن قنفذ القسنطيني :المصدر السابق ،ص:٧٦.

(٥)-عبد الحق بن سبعين: رسائل ابن سبعين ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، المكتبة المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٥٦، ص :٨١٣

(٦)-آثين بلا ثيوس : ابن عربي حياته ومذهبه ،تر:عبد الرحمن بدوي ،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،١٩٦٥ ،ص ص:١٣٢-١٣٣

(٧)-جمال أحمد طه :الحياة الاجتماعية ،ص ٢٥٣.

أسود مرقع من تليس مطرف وشاشية من عزف، (١) وكانت الخرقة أو الشراسيح اللباس المميز للمتصوفة و الصلحاء، [٢] وذلك انها أهم قطعة في لباس المتصوفة وهي الثوب الغليظ الذي يلبسه الفقراء لاسيما المتصوفة منهم (٣). والخرقة نوعان :خرقة التبرك التي تلبس من أجل التبرك بها ،اما النوع الثاني فهي خرقة العهد التي لا يلبسها إلا من دخل في الطريقة وكان في عهد اهلها وسلك مسلكهم واتبع منهجهم ،وكان الأعيان يرتدونها للتبرك بها ولم يكن يسمح لأي كان بلبس خرقة المتصوفة (٤).لأن لبسها لا يكون إلا بشروط معينة يجب أن تتوفر في لابسها ومنها ان يكون رجلا ورعا تقيا متعبدا عن التكلف والادعاء وان يكون كواحد من الفقراء لا يرى له عليهم فضلا أبدا ،وفي ذلك يقول ابن عربي:

يا لابسا خرقة التصوف ما عليك فيما لبسته من حرج

إذا كنت من عصبة منزهة قد عرفوا ذاتهم وما مرحوا(٥)

ولبس الخرقة لم يكن أمرا إلزاميا بقدر ماكان لبسهم لها حبا منهم في الاقتصاد واتقاء مظاهر البذخ و التبذير،(٦) وكذلك إبرازا منهم للزهد في الدنيا، فأبوعلي عمر العباسي الصنهاجي المعروف بالحباك (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) عندما اراد الدخول في طريقة الزهد أعطى اثوابه لأحد الفقراء وآثر الاحتفاظ بثياب الفقير المرقعة وقام بحلق رأسه (٥).

---

(١)-أبو العباس المراكشي: المصدر السابق ، ج١، ص٤٠٨ . التليس هو لباس خشن يعبر عن الحزن ، أنظر ابن بطوطة : المصدر السابق ،ص ٢١١، أما الغرف فهو الحوص و الدوم أنظر Dozy :op cit , T2 p125

(٢)-ابن مريم :المصدر السابق ،ص ١١٠.

(3)- Dozy :op cit , T2 p245.

(٤)-جمال محمد طه ،الحياة الاجتماعية ،ص ٢٥٥.

(٥) – عبد العزيز سيد الأهل: محي الدين عربي من شعره ،دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٧٠ ،ط١ ص١٧١.

(٦)-نفسه :ص ٤٥٦.

(٧)- التارلي : المصدر السابق :ص ٣١١.

كان بعض المتصوفة يفضلون لبس الأسود من الثياب اما البعض منهم فكانوا يعتنون بمظهرهم الخارجي إذ لبسوا الثياب البيضاء(١) وعملوا على تحسين مظهرهم ومنعهم المتصوف ابو مدين شعيب الذي كان يلبس ثيابا حسنة رفيعة معطرة بالمسك و الطيب وهو حال تشبه حالة الملوك (٢). وكان المتصوف علي بن محمد المراكشي يلبس جبة من صوف خضراء جميلة اللون وحزام صوف تلمساني ومظهره هذا كان يجعل الناس لا يعرفونه حتى أن كل من يراه يظنه من عمال الموحدين(٣)، وفي المقابل وجد من كان يتزين بأزياء غريبة كأزياء المجانين (٤).

ملابس العامة:

تنوعت ازياءهم حسب قدراتهم ،فلبس بعضهم الأنيق والجميل من الثياب ،واكتفى الفقراء منهم بلبس ما يستر عوراتهم ويقيهم الحر والبرد ،وكانت أغلب ملابسهم مصنوعة من الصوف و القطن و الكتان وغيرها من الأقمشة(٥)واشتهرت العديد من المدن المغربية والأندلسية بصناعة انواع معينة من الأقمشة ،فتلمسان كان بها الثياب الصوفية(٦) وفي مرسية الثياب الحريرية(٧) وبألمرية أيضا انواع من الأقمشة الجيدة (٨).

ففي الأندلس ادخل زرياب (ت ٢٣٠هـ) عادات جديدة في اللباس ،حيثعلمهم أن يلبسوا ملابس بيضاء من اول شهر يونيوحتى نهاية شهر سبتمبر وان الربيع هو موسم الملابس الحريرية

---

(١)- التادلي المصدر السابق : ص ٤٥٦.

(٢)-جمال احمد طه :نفسه ص ٢٥٨.

(٣)- نفسه :ص ٢٥٩.

(٤)- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية ، ص ١٤٤.

(٥)- القلقشندي :صبح الأعشى ،ج٥ ،ص :١٤٢.

(٦)-ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض في العرض و الطول، تحقيق خوان قرنيط خنيس ،مطبعة كريماديس تطوان ،المغرب ،١٩٥٨ ،ص :٧٤.

(٧)- جما احمد طه: نفسه ص ٢٥٨.

(٨)-نفسه ص ٢٥٩.

الخفيفة و القمصان ذات اللوان الزاهية وأن الشتاء فصل الاردية الثقيلة (١) وتميز أهل الأندلس بالنظافة والأناقة ،على عكس اهل المغرب الين كانوا بدوا عرف عنهم سباطة العيش واختلافهم مع الأندلسيين جعلهم يغيرون الكثير من عاداتهم وياخذون عنهم طريقة تنسيق الملابس.

كان لكل فصل لباس خاص به، ففي فصل الصيف لبس الناس ثيابا ملونة من الخز والدراريع التي لا باطن لها وفي الخريف كانوا يزيدون على ملبسهم التبطين للوقاية من لفحات البرد القارص،اما في الصيف فإن الأندلسيون لبسوا ثيابا بيضاء خفيفة وفي الشتاء لبسوا ثيابا داكنة(٢) وعرفت كل منطقة بلباس اهلها الخاص الذي يمتازون به عن غيرهم .فسكان فاس كانوا يلبسون العمائم والأحذية المرصعة شتاءا و النعال الخفاف صيفا(٣)،وكذلك الجبابو القمصان و القلانس ولبس اهل حاحا ثوبا من الصوف يدعى كساء(٤) ،كما لبس السوس كمسية من الصوف وغالبا ماكانوا يلبسون من غزل نسائهم(٥).

---

(١)- عبد الوهاب الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقين ،مج٠٥ ،دار العلم للملايين ،بيروت، لبنان ،١٩٨٦ ،ط٧ ،ص ٢٨.

(٢)- السقطي: المصدر السابق :ص ٢٨.

(٣)- الإدريسي :نزهة المشتاق ،ج١ ،ص ١٣٤.

(٤)- الحسن الوزان :المصدر السابق ،ج٢ ،ص :٩٧-١٧٥-١٩٦.

(٥)- جمال طه: الحياة الاجتماعية ،ص٢٧٢

ملخص الفصل الثالث:

يعد بعد هذا الفصل صلب الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس، لأنه يتحدث عن العادات و التقاليد التي كانت سائدة بالمنطقة، وعن نتائج اختلاط الأجناس الأصلية والوافدة إلى المنطقة وفيه ذكر الأعمال التي مارسها الناس وكيفية عيشهم وقضاءهم أوقاتهم.

تعد الأسرة اهم نواة لتشكيل المجتمعات لذلك فإن الزواج كان أهم رباط يجمع بين المراة والرجل، وكان للزواج قواعد وقوانين حددتها الشريعة الاسلامية وسار وفقها الناس،غير أن الأعراف هي الأخرى كان لها دور كبير في اتمام هذه الخطوة ،ففي المغرب والأندلس كان الزواج غالبا ما يتم عن طريق ما يعرف بالخاطبة التي تعد همزة وصل بين اهل العريس و العروس، ومع ان الاسلام يدعوا إلى عدم المغالاة في المهور، إلا ان الناس كانوا يرون في غلاء الامهور سببا في التباهي و التفاخر، حتى ان البعض منهم زاد في مهر بنته من عنده من اجل التفاخر، وكذلك دعى الإسلام الى الارتباط بذات الدين إلا ان الواقع كان أن الرجال كانوا يبحثون عن الأجمل والأغنى ومن لها حسب ونسب يمكنهم من رفع مستواهم و التباهي أيضا.

وبعد الزواج كانت تحدث مشاكل بين الزوجين وقد تؤدي في بعض الأحيان إلى الطلاق وكان سبب هذه المشاكل في الغالب تطلب الزوجة وعدم مبالاة الرجل بها،وكذلك تعرض المرأة إلى الضرب المبرح، او إخلال الرجل لأحد الشروط التي إتفق عليها مع زوجته قبل الزواج.

وحتى الموت كان له طقوسه في تلك الفترة، فمقابر العامة لم تكن كتلك التي يدفن بها الخاصة والعلماء والفقهاء من حاشيتهم، وفي تلك الفترة استحدث بناء السقائف والقباب والروضات على المقابر وهذه الأمور تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل حتى وصلت إلينا.

وفي تلك الفترة كثرت المجالس العلمية فمنها ما كان يعقده الخلفاء في قصورهم، وكانت هذه المجالس تضم اجل الفقهاء والعلماء في العدوتين كما عقد الأمراء والولاة وأكابر رجال ادولة وكانت هذه المجالس مجالا واسعا لنشر العلم في المجتمع، وانتشرت في تلك الفترة مجالس الوعظ التي غالبا ماكان يعقدها الزهاد وبعض العلماء والصلحاء ومثل هذه المجالسكانت بمثابة المدارس الشعبية.

وفي تلك الفترة تفشت الكثير من الأمراض والأوبئة، غير ان طرق العلاج كانت مختلفة وكثيرة فوجد الأطباء، والعشابون، وكثر الرجالون،فمع أن الخلفاء الموحدين لم يدخروا مجهودا من اجل توفير وسائل العلاج للرعية،فقد بنوا مستشفى أسال حبر المؤرخين كثيرا،ومع هذا فإن ذلك لم يكن كافيا، ولأن تكاليف العلاج عند الطباء فقد كان الناس يكتفون بالوصفات الشعبية التي يقدمها لهم العطارون او يقصدون بعض الصلحاء لنفس الغرض وأحيانا كانوا يلجاون إلى السحرة و الدجالين.

ومع ان حياة الناس لم تكن سهلة إلا انهم لم يفوتوا فرصة او مناسبة إلا واحتفلوا بها، فالاضافة إلى الاحتفالات الدينية من عيد الأضحى وعيد الفطر وعاشوراء والسابع والعشرون من رمضان ،وفي آخر ايامهم بالمولد النبوي الشريف وأعياد دينية اخرى، ووجدت بعض الاحتفالات العسكرية التي كانت تقام عند تولي خليفة جديدة مقاليد الحكم، او عند انتصار وغيرها ،كما وجدت احتفالات أخرى كثيرة وكانت الاحتفالات مدعاة لبعث روح الأخوة و المحبة بين الناس إذ غالبا ماكانوا يتبادلون الزيارات و الهدايا فيها.

وللترفيه عن انفسهم مارس الناس العديد من الرياضات واالألعاب منها الشطرنج، الذي كان منتشرا كثيرا وكذلك الرمي بالصولجان ورياضات اخرى كما قصدوا العديد من الأماكن لقضاء اوقات هنية، كما أقاموا مجالس اللهو التي كانت مليئة بالمحرمات وكانت الموسيقى و الغناء إحدى وسائل الترفيه.

كان الاختلاط اهل الأندلس باهل المغرب فضل كبير في تغيير وإدخال الكثير من العادات الجديدة إلى المنطقة، وكذلك تغيير طبع المغاربة من البساطة وعدم التكلف في مأكلهم ومشربهم إلى المبالغة فيها، ومع هذا فقد كان لكل منهما صفات وميزاته الخاصة.

الفصل الرابع

العمران و العمارة

- البناء والتعمير.
- طابع البناء.
- المدن.
  - مدينة رباط الفتح.
  - مدينة تازا.
  - مدينة جبل الفتح.

- نظام المدن.

- المنازل والقصور.
  ١ - القصور.
  ٢- المنازل.

منشآت عسكرية.
  ١ - الحصون والقلاع.
  ٢ - الأسوار.

- مرافق عامة.
  ١ - المساجد.
  ٢- المدارس.
  ٣- المستشفيات.
  ٤ - الحمامات.
  ٥ - الفنادق.
  ٦ - القناطر.

البناء والتعمير:

إنَّ البناء والتعمير يُعد مرآة صادقة تعكس الوجه الحقيقي لأحوال المجتمعات، وتبيِّن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ككل، وتوضح مدى تطوّر وازدهار الدول أو ضعفها وانحطاطها، فالعمران هو بمثابة اللباس الذي يرتديه المرء إذ ينبئ ثوب الشخص عن أحواله ومستواه، إلى أي طبقة ينتمي وكذلك العمران يعبر عن هوية المجتمع وأحواله.

شهدت بلاد المغرب والأندلس على حدٍّ سواء ازدهاراً ونشاطا كبيرين في حقل البناء والتعمير، خاصة مع قيام دولة الموحدين، حيث أولى خلفاء الموحدين جانب البناء والتشييد اهتماما كبير[١]. فقد أنشأوا الكثير من المدن الجديدة، وعملوا على تزويدها بكل ما تحتاج إليه من منشآت مدنية وأخرى عسكرية ودفاعية[٢]، ومن المنشآت المدنية التي أنشأها الموحدون الكثير من المساجد والمستشفيات، والمدارس والفنادق والحمامات والقناطر، وغيرها من المنشآت الحيوية الأخرى.

في عهد الموحدين شهدت الكثير من المدن المغربية والأندلسية ازدهار كبيراً[3]، حيث أدخلت عليها الكثير من التعديلات، أقيمت بها العديد من المنشآت الجديدة[4]، ومن هذه المدن مراكش رباط الفتح المغربيتين، وغيرهم، ومن أهم المنشآت التي شيدوها القصور والمساجد فبعد المؤمن بن علي اهتم كثيرًا بعملية البناء والتشييد حتّى أنّه أمر بتعمير مدينة جديدة هي مدينة رباط الفتح وأنشأ بها كل ما هو ضروري وحيوي [٥].

وهمة البناء والتشييد لم يقتصر على عبد المؤمن بن علي بن بقيت عالية عند خلفاء بني عبد المؤمن كلهم[٦]، فابنه أبو يعقوب يوسف واصل على نهج أبيه، وأنشأ الكثير من المنشآت مثل المساجد و قصور وحتى مدن وخاصة في الأندلس، ولما جاء المنصور

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٢) نفسه، ص: ٢٧٢، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٤١١.

(٣) الأغا مزاري العودة: المصدر السابق: ص: ١٣١.

(٤) ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص: ٤١٢.

(٥) عبد الله عنان،المرجع السابق، ص٣٣٢.

(٦) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: ١٢٧.

عرفت حركة البناء والتشييد دفعا جديدًا، وازدهار كبيراً، وكان ذلك طوال فترة خلافته إذ أنَّ المراكشي يقول:" كان مهتما بالبناء وفي طوال أيامه لم يخِلِ من قصر يستجده أو مدينة يعمرها" [١]، وفي عهده حققت الدولة الكثير من الانتصارات العسكرية الباهرة، وتم توظيف العائدات في انجاز أجمل المباني وأروعها ويذكر بن أبي زرع أن" أبا يوسف يعقوب المنصور لما جاز إلى الأندلس لغزاة الأرك المذكور، أمر ببناء قصبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذي بإزاء القصبة وصومعته،بناء منار جامع الكتيبة وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا وبناء جامع حسان ومنارته" [٢].

وبعد المنصور عرفت حركة البناء والتعمير نوعًا من التراجع، ويعود ذلك إلى أفول دولة الموحدين، وتراجع سلطانها، فبعد أن كان الخلفاء مهتمين ببناء المدن وتزويدها بالمنشآت العسكرية، لمقاومة الأخطار الخارجية التي أصبحت تهدّد كيان دولة الموحدين، فالنصارى تكالبوا على المدن الأندلسية واستردُّوا بعضها، وفي المغرب ظهرت دويلات فتية راحت تُنافس دولة الموحدين، وتعمل على أخذ سلطانها، ومنها الدولة المرينية التي كانت سببا في أفول نجم الموحدين، وذهاب سلطانهم في المنطقة.

طابع البناء:

لقد ارتبط طابع البناء في الغرب الإسلامي بموقعه الجغرافي، وبالظروف التي مرت بها المنطقة أيام الموحدين، فبدخول المسلمين إلى بلاد المغرب أيام الفتح، نقلوا معهم خبراتهم في طريقة البناء، ولكن المغاربة طوروا أساليبهم وطرقهم على مر الأيام و السنين فاكتسبوا طرازا خاصا بهم وخطا فنيا يميزهم ولكن المؤثرات الشرقية ظلت قائمة ليبقى الإحتكاك الدائم وخاصة من خلال طريقة بناء المساجد و الحمامات[٣].

---

(١)عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: ٢٢٢.

(٢)ابن أبي زرع: المصدر السابق ص : ١٢٦.

(٣) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ٣٧٤.

كما كان للأندلس تأثير على عمران المغرب وعمارته وخاصة أيام المرابطين و الموحدين حيث شهدت العدوتين ارتباطا كبيرا بفضل الوحدة السياسية التي شهدتها المنطقة فقد استعان الخلفاء الموحدون كثيرا بخبرة أهل الأندلس الذين كانوا معروفين في هذا المجال وبرز الحاج يعيش المالقي الذي استعين به في بناء مدينة جبل الفتح [١]، وأحمد بن باسه الذي استعان به الموحدون كثيرًا في إنشاء القصور والمساجد وغيرها من المنشآت العامة[٢]، وحتى الأسرى النصارى الذين كانوا بالمغرب استغلوا في عمليات البناء والتشييد، فيقول الحميري :" ثم رجع المنصور بعد انتصار في الارك- إلى اشبيلية ظافرً وأقام مدة ثم غزا بلاد الجوف فحاصر ترجالة، ونزل على بلنسية ففتحها عنوة، وقبض على قائدها يومئذ مع مئة وخمسين من أعيان كفارها، ووجههم إلى خدمة بناء الجامع الكبير مع أسارى الارك [٣].

وبالإضافة إلى استفادة المغاربة من خبرة الأندلسيين، أصبح بعض أبنائه بعد الاحتكاك والممارسة لأعمال البناء يشاركون في أعمال البناء في الأندلس فضلا عما أقاموه بالمغرب، وفي بداية دولة الموحدين لقيت الزخرفة معارضة شديدة، وذلك اقتداءً بتعاليم المعمري بن تومرت الدينية في البعد عن النقش والزخرفة [٤].

لكن بدخول دولة الموحدين مرحلة الازدهار، واستعانتهم بخبراء الأندلس في إنشاء جل ما عمروا بالعدرتين، أصبحت مبانيهم ناطقة بذوقهم في الزخرفة التي تجمع بين رقة الأندلس وفخامتها وقوة بلاد المغرب[٥].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص ٨٣٥.

(٢) إبن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص: ١٣٩.

(٣) الحميري: المصدر السابق، ص١٣.

(٤) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ٣٧٧.

(٥) نفسه، ص ٣٧٨.

المدن:

في عهد الموحدين أنشأت الكثير من المدن في المغرب كما في الأندلس، وكان لهذه المدن دورها الحضاري الكبير والفعَّال في تقدم المنطقة وازدهارها، وذلك لما اشتملت عليه من منشآت اقتصادية واجتماعية يحتاج إليها الناس لمزاولة حياتهم اليومية بأكثر سهولة، وشكلّت هذه المدن مراكز جلبت السكان إليها من شتّى المناطق المجاورة وغير المجاورة، حتى أن العديد من هذه المدن اكتظت بالسكان.

ومن المدن التي أنشأها الموحدون مدينة رباط الفتح [١]، وجبل الفتح [٢] ومدينة البطحاء[٣] بالمغرب الأوسط، والتي كانت تعرف بالدرة، وموقعها على نهر الشلف وكان بناؤها سنة (٥٥٥هـ / ١١٥٩م) [٤]، وبالإضافة إلى المدن التي أسسها الموحدون، فإنهم قاموا أيضا بتجديد بعض المدن وتزويدها بما ينقصها من منشآت، ومن هذه المدن مدينة تاجرا التي جدَّدها عبد المؤمن [٥]، ومدينة مراكش التي اهتم الخلفاء الموحدون بها كثيرا، فعند اكتظاظ هذه المدينة بإسكان عمل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على إنشاء مدينة أخرى تكون امتدادًا للعاصمة مراكش [٦]، وكان المنصور هو المكلّف بالإشراف على هذا المشروع، وعند وفاة أبي يعقوب يوسف سنة (٥٨٠هـ /١١٨٤م)، تواصل مشروعه في البناء، وحشد له الخبراء والصنّاع والآلات، وأمرهم ببذل كل جهد وفن في سبيل إتقان بنائها وسمَّاها الصالحة، وضمَّت القصور الأسواق والفنادق [٧].

---

(١) مجهول: الحلل الموشية ، ص ١٥٨.

(٢) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٣) البطحاء : مدينة قديمة تقع شمالي اغيل إيزان قرب ملتقى وادي مينا بنهر شلف عن مقام المهدي ورفاقه بالبطحاء أنظر،البيذق .المصدر السابق .تهميش ص ٣٨.

(٤) على عبد الله علام: المرجع السابق، ص : ٣٨٣.

(٥) نفسه، ص ٣٨٣.

(٦) Terrasse (Henri) : histoire du Maroc. P : 302

(٧) حسن علي حسن : المرجع السابق، ص : ٢٨٢.

مدينة رباط الفتح:

تقع مدينة رباط الفتح على الضفة اليسرى لنهر أبي الرقراق، وكانت قبل بنائها قاعدة للجيوش المرابطية، المرابطة لمحاربة قبيلة برغواطة(١)، ثم قام الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف ببنائها، وعند قيام دولة الموحدين أوصى المهدي بإعادة بناء هذه المدينة، وقد عمل عبد المؤمن على تنفيذ وصية المهدي، حيث بدأ في بناء حصن ومدينة في الموقع الذي تقوم عليه رباط وقصبة تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، وقد عرفت المدينة في أيامه باسم المهدية تَيَمنا باسم المهدي بن تومرت، وقد اتخذ منهما في البداية قاعدة عسكرية لتجهيز جنده (٢).

بعدها حرص عبد المؤمن على تعمير المدينة، وكان أوّل ما قام به تزويدها بالمياه العذبة، لتتمكن من استقبال السكان، ولعمل ذلك استعان عبد المؤمن بعرفاء البناء المغاربة لخبرتهم العالية في عملية تسريب المياه في جوف الأرض وفق أصول حسابية دقيقة(٣)، وعند تولّي ابنه يوسف الخلافة، عمل على توسيع المدينة، فبنى أسوارها من جهة الشمال والغرب، غير أنّ الموت عاجله عن إتمام بنائها، ليتسلم بعده ابنه يعقوب المنصور مهام إتمامها وكان معروفا عنه شغفه بالبناء والتشييد، فأنشأ بها الكثير من المنشآت، ويقول المراكشي عن ذلك:" أتمَّ أسوارها، وبني فيها مسجدًا عظيما كبير المساحة واسع الفناء... وأمّا المدينة - رباط الفتح فتّمتْ في حياة يوسف وكملت أسوارها وأبوابها، وعمَّر كثيرًا منها، وهي مدينة كبيرة تجيء في طولها نحوا من فرسخ وهي قليلة العرض، ثم خرج بعد ما رتَّب أشغال هذه المدينة وجعل عليها من أمناء المصامدة من نظر في نفقاتها وما يصلحها، فلم ينزل العمل فيها وفي مسجدها المذكور طول مدة ولايته إلى سنة (٥٩٤هـ /١١٩٨م) (٤)

---

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص: ١٠٩.

(٢) محمد الكحلاوي:عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم،" الأندلس قرون من التقلبات والمعطاءات. قسم ٠٣ الحضرة والعمار ة و الفنون مكتبة الملك عبد العزيز العامة ،الرياض،ط١ ١٩٩٦ص ٢٠٠

(٣) المراكشي المصدر السابق، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(4) Rachid Bourouiba : Abdel mu’men, flambeau des Almohades . SNEP . Alger . 1974 . p42

وكان بناء مدينة الرباط مشابها لمدينة الإسكندرية من حيث اتساع الشوارع وحسن التقسيم[١] واتساع البناء وتحصينه، وبنائه على البحر المحيط وقد أنفق المنصور عليها أموالا طائلة، ولمَّا أصبحت هذه المدينة كاملة أحب المنصور أن ينقل عاصمة الخلافة إليها[٢] ، إلاَّ أنَّ المنية قد سبقت قبل أن يفعل ذلك [٣].

مدينة تازا:

وهي أوّل مدينة أنشأها عبد المؤمن، أقام بها في البداية رباطا ثم شيَّد مسجدها وذلك في سنة (٥٢٩هـ / ١١٣٤م)، وقد أمدَّ عبد المؤمن من رباط تازا بجيشين كامل العدد والعدة فأضحى فيما بعد حاميا لحدود المغرب الأقصى، وبهذا استلمت مدينة تازا مكانة تنمل الحربية، وبقيت هذه المدينة محتفظة بأهميتها العسكرية لوقوعها على الطريق المار بين المغرب والمشرق، وأخذت بأسباب النماء حتى أضحت مدينة كبيرة غنية بدورها وقصورها ومساجدها [٤]

مدينة جبل الفتح:

في سنة (٥٥٥هـ /١١٦٠م) عبر إليها المؤمن بن علي، وذلك إثر استرداده ثغر المهدية من الفرنج، وافتتاحه لسائر قواعد إفريقية، وكان الخليفة قد أرسل خلال حملته المذكورة في

ربيع الأول من نفس السنة، كتابا إلى ولده السيد أبي العلاء والي غرناطة، يأمره فيه ببناء مدينة كبرى بجبل طارق تكون منزلا للأمير عند إجازته لعساكره بالأندلس [٥].وأوكل أمر الإشراف على بناء هذه المدينة للعديد من أكابر المهندسين، مثل الحاج يعيش المالقي، وأبي إسحاق يراز بن محمد، وتولّى النظر إلى أعمال البناء العريف أحمد بن باسة الاشبيلي [٦]

---

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٧، ص ١٢٤.

(٢) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٦٧

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، ج٤، ص١٥٢.

(٤) على عبد الله علام: المرجع السابق، ص ٣٧٩.

(٥) عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ص٢٨٥

(٦) عبد الله عنان: نفسه، ص٢٨٣

ويذكر ذلك ابن صاحب الصلاة بقوله:" وابتدؤوا البناء في الموضع الذي وقع الجميع عليه، والاتفاق من نواحيه بسيف البحر مما يلاصقه ويليه، وأحكم البنآؤون فيه بناء القصور المشيَّدة والأديار واخترعوا في أسسها طبقانا وحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية في الحجر المنحوت والجيار، بما هو عجب من الآثار... واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناء السور والباب المسمَّى بباب الفتوح في الفرجة التي كانت يدخل منهاإلى الجبل بين البحر المُحدق من كلا جانبيه، فجاء فرداً في المعاقل التي لا يتمكن لطامع فيه طمع، واستمر العمل به لشهور حتى تم بناؤه سنة (٥٥٥هـ /١١٦٠م)، وابتنى فيها جامع وقصر للخليفة، ودور لأبنائه وحاشيته وغرست الحدائق على طولها حذاء البحر، وجلب إليه الماء العذب وجدَّد الحصن والأسوار القديمة، وعنى بتحصين الصخرة، وسمي بأمر الخليفة جبل الفتح أو مدينة الفتح[١].

- وبقي جبل الفتح بعد ذلك مدة طويلة قاعدة الوصل بين الأندلس والمغرب إلى أن استولى عليه التشتاليون سنة (٧١٠هـ / ١٣١٠م)، ثم استردَّه الأندلسيون بمعاونة السلطان أبي الحسن المر بني سلطان ملك المغرب سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) [٢].

نظام المدن:

لقد اعتمد الفقهاء في تناولهم لأحكام البنيان على آية في القرآن الكريم وهما" **خذ العفو وأمر بالعفو واعرض عن الجاهلين**" [٣]، والعرف هنا يتمثل في مجموعة من القواعد التي اعتاد الناس على إتباعها جيلا بعد جيل،واحترموها خشية العقاب،والخروج عن المألوف[٤]، وهذه القاعدة الأصولية هي عماد الحياة الاجتماعية في المدن الإسلامية و التجمعات الإنسانية وفي الحديث جاء قوله صلى الله عليه وسلم " **لا ضرر ولا ضرار**"[٥] والذي بابا واسعًا في فقه العمارة الإسلامية، وعليه قامت أحكام كثيرة، كما أثرت هذه القعدة على حركة العمران في

(١) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص١٤٠-١٤١.

(٢) عبد الله عنان الآثار الأندلسية الباقية، ص٢٨٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٩٩.

(٤) محمد عَزب: المرجع السابق، ص٨١.

(٥) حديث شريف رواه ابن ماجة وأحمد.

المدن الإسلامية [1]

امتازت العمارة الإسلامية بالعديد من الميزات الخاصة التي جعلتها تنفرد عن باقي أنواع العمارة القديمة، وفي أغلب المدن الإسلامية كان المسجد يتوسطها، وذلك للمكانة المقدسة التي احتلها المسجد عند المسلمين [2]، ووجد بالقرب منه الحمام، والفنادق والأسواق ودار الإمارة ثم يليها الدور السكينة التي نزل بها الأهالي [3].

وقد وجه الخلفاء وولاة الأمر اهتمامهم الكبير بالمدن، فعملوا على توفير كل المنشآت الضرورية التي تيسير حياة السكان، وتسهلها، وأول ما قام به ولاة الأمر عند إنشائهم للمدن كان جلب المياه اللازمة للشرب للأهالي ولدوابهم [4]، فيقول ابن أبي زرع:" لم يكن بها ماء - مراكش - فحفر الناس بها آباراً فخرج لهم الماء على قرب فأستوطنها الناس" [5]، ثم نزل بالمدينة المهندس عبد الله بن يونس، والذي استطاع بمهارته أن يوفر المياه لسقي البساتين بها، وذلك بفضل طريقة ابتكرها، والتي يقول عنها الإدريسي.." ماؤها - أي ماء مدينة مراكش - التي تسقي به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة استخرج ذلك ، عبد الله بن يونس... وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله يونس دخل إلى مراكش في صدر بنائها وليس بهما إلا بستانا واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين... فقصد إلى أعلى الأرض مما يلي البستان أحتفر فيه بئراً مربعه كبيرة التربيع، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ومر الحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجا إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه فهو جار مع الأيام لا يتغير..." [6]

---

(١) محمد عَزب: المرجع السابق، ص٨٢.

(٢) محمد عبد الله الحماد: المرجع السابق، ص ٥٩.

(٣) نفسه، ص٥٩.

(٤) حسن على حسن: المرجع السابق، ص٣٨٥.

(٥) ابن أبي زرع المصدر السابق، ص١٢٧.

(٦) الإدريسي القارة الإفريقية، ص١٤٨.

وقد عمل الخلفاء الموحدون على توفير المياه في مدينة مراكش بشتى الطرق، فعبد المؤمن بن علي بنى صهريجين كبيرين لتجميع المياه بهما، وتوزيعها على المدينة [١]، وعند تولي المنصور الخلافة أنشأ سقاية كبيرة وذلك سنة (٥٨٥هـ /١١٨٩م) [٢] وفي مدينة فاس قام الناصر الموحدي بعمل سقاية بها سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) [٣]. وأما مدينة سلا فقد أدخل الماء إليها عن طريق القنوات المتصلة بإحدى العيون المائية وذلك سنة(٥٤٥هـ/١١٥٠م)[٤]، وفي مدينة مكناسة قام الموحدون بجلب المياه إليها من عين خارجها فيقول ابن غازي" وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال لها تاجما وأجرى الماء على الباب الجوفي من أبواب الخادم وسمى باب الحفارة [٥]، أما في بلاد الأندلسيين فقد اشتهر عرفاؤها ومهندسوها بمعرفتهم التامة بوسائل استخراج المياه من باطن الأرض بعدة طرق وبأساليب فنية، وكانوا يجلبونها من أماكن بعيدة ويخزنوها في خزانات أعدوها لها، إلى جانب خبرتهم في معرفة طرق ووسائل الري [٦]، ومن هؤلاء الخبراء الحاج يعيش المالكي الذي يعود إليه الفضل في الكشف عن قناطر المياه الرومانية عام(٥٦٧هـ/١١٧١م)، عندما كان يشرع في توصيل المياه إلى قصور الموحدين بالبحيرة في مدينة اشبيليا [٧].

بالإضافة إلى ذلك عمل الخلفاء على شق الطرق في المدن، وكانت هذه الطرق الملتوية ومتعرجة بمدينة فاس، وفي مراكش كانت واسعة، وهذا الاتساع كان لكي يتناسب مع مركز مراكش عاصمة الموحدين، حيث كانت تقام بها الاحتفالات الكبرى كاستقبال المراكب، وأما مدينة الرباط فإن المنصور جعل على تنظيمها على نمط مدينة الإسكندرية التي كانت طرقها واسعة مستقيمة(٨).

---

(١) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص٣٨٦.

(٢) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ص٣٧٢.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٤٨٨.

(٤) ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه: ص٤٨٩.

(٥) ابن غازي: المصدر السابق، ص٦.

(٦) محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٤٦٩.

(٨) حسن على حسن: المرجع السابق، ص٣٨٨.

كما اتصل بنظام المدن الأبواب، إذ أن منها ما بني أيام المرابطين ومنها ما بناه الموحدون، وما بناه المرينيون بعدهم، فيذكر القلقشندى " أن عدد أبواب فاس القديمة أي في عهد المرابطين والموحدين، والجديد في عهد بني مرين بلغت ثلاثة عشر بابا (١).

المنازل والقصور:

عرفت منطقة الغرب الإسلامي توسعًا كبيرًا في بناء المنازل والقصور داخل المدينة وخارجها وهذا يعود إلى الاستقرار الذي عرفته البلاد والازدهار الاقتصادي الكبير الذي سجل في عهد الموحدين.

المنازل: امتازت المنازل بطابع متشابه في البناء. حيث أن الطابع الإسلامي الذي كان سائداً في تلك الفترة طغى على معظمها، وغالبا ما كانت المنازل الإسلامية تتكون من جزئين أساسيين هما الجزء الخارجي والجزء الداخلي. (٢)

أما الجزء الخارجي فقد كان بسيطا وعاديًا لم تتخلله وسائل الزينة من زخرفة أو رسومات، على عكس الجزء الداخلي الذي غالبا ما يكون ثريا بأنواع الزخرفة والزينة، فالأندلسيون مثلا كانوا يبنون منازلهم ويجتهدون في تزويدها بكل ما يلزم من مظاهر الزينة و الزخرفة ليتمتعوا بالحياة داخلها. و في تلك الفترة عرف عن النساء لزومهن لمنازلهن، ولم يكن خروجهن إلا للضرورة في المناسبات، ولهذا أعطي لداخل المنازل أهمية التي يستحقها فنيا وجماليا ليقلل من رتابة الحياة فيها، وبذلك يخفف عن النسوة بقاءهن المطول في مكان واحد ويكون في ذلك عزاء لهن (٣) .

تميزت الدور الإسلامية من حيث تخطيطها وتكوينها من مدخل خارجي يؤدي إلى رواق منكسر يمتد بين الباب الخارجي و الباب الداخلي الذي يفتح على الفناء الداخلي للمسكن وقد عرف هذا النوع من المداخل المنكسرة لأول مرة في العمارة العسكرية وكان الهدف منه اعاقة المقتحم للمدخل وثم إقتبسته عمارة المسكن لملائمته(٤).

---

(١) القلقشندي: صبح الاعشى ج٥، ص١٥٦.

(٢) عبد الفتاح رواس قلعه جي : المرجع السابق. ص٦٥.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس. ص١٨٤.

(٤)عبد العزيز محمود لعرج :العمران الاسلامي وعمارته السكنية :قيم دينية ودلالات إجتماعية"حولية المؤرخ يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين العدد ٣-٤السنة ٢٠٠٥، ص٢٠٩.

ولهذا الممر المنكسر وظيفتان :الأولى صحية وهي الإحتفاظ بدرجة حرارة معتدلة تكون وسط بين الجو الخارجي و الداخلي [١]. والثانية هي صون حرمة المنزل حيث لا يمكن للمار بقرب الباب رؤية ما بداخل الدار [٢].

وينتهي هذا الممر بأرض الحوش،أو الفناء أو صحن الدار او وسطها وهو فضاء مفتوح على السماء، تتوسطه نافورة، وبه أنواع مختلفة من النباتات وبعض الأشجار وقد لا تحتوي بعض الدور على نافورة ولكن معظمها يحتوي على بئر[٣]. وتكمن أهمية الحوش أثر الصحن في أنه المكان الذي تقوم فيه المرأة بأعمالها المنزلية، ويقضي فيه سكان المنزل معظم أوقاتهم، وفيه يمارسون حياتهم العائلية، بالإضافة إلى كونه مراحا للأطفال، وقد تطور مظهر الصحن في شكله وخاصة عند عصر المرابطين ، وكان يتخذ على شكل المستطيل الذي تقع حوله غرف المنزل أي أن هذا الصحن يفضي إلى غرف المنزل[٤].

أما من حيث التركيب العمودي للمساكن فقد تكونت المنازل من طابقين أو أكثر[٥]، وكان الدرج الصاعد إلى الطوابق العلوية مصنوعا من الطوب، ويكون أحيانا عبارة عن سلالم خشبية[٦]، ضيقة ذات درجات غاية في الارتفاع ، وكان سقف الطابق العلوي منخفضا، وفي هذا الطابق توجد الغرف المخصصة للنساء والحياة الخاصة، يدخل الهواء إليها عبر منافذ تطل على الصحن، وذلك لتجنب اطلاع الجيران أو المارة على بداخل المنازل[٧]. كما كان يتخذ على شكل مربع يحيطه رواق .

ومادة بناء المنازل الأساسية كانت الآجر أوالحج والطين والكلس وتسقف بالقرميد[٨].

(١) عبد الفتاح رواس قلعه جي: نفر. ص٦٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم. نفسه. ص١٨٤.

(٣) نفسه: ص٦٥.

(٤) سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين. مكاتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط.٢٠٠٣. ص: ٥٥

(5) Roger le touneau : les villes musulmanes de l'Afrique du nord. La maisons de livres. Alger. 1957. p :12.

(٦) السيد عبد العزيز: في تاريخ وحضارة الأندلس ،ص ١٨٥.

(٧) جمال أحمد طه: مدينة فاس.ص١٦١.

(٨) السيد عبد العزيز سالم: نفسه، ص١٨٦

أما أرضيتها فكانت تزين بالزليج المتعدد الألوان مثل اللون الأبيض والأزرق والأصفر، ومنه يتخذ وزارات حائطية، وبعض الدور في فاس كانت تفرش بنوع من الزليج يسمى المزهري.

وطريقة البناء كانت شبيهة بطريقة البناء في المشرق الإسلامي، فمساكن سجلماسة كانت شبيهة بمساكن الكوفة على حد قول إبن حوقل، وأبنيتها كأبنية الكوفة أبوابها رفيعة على قصورها مشيدة عالية(١).

وكانت سقوف بعض الدور مطلية بالقصدير والأصباغ الملونة وأرضيتها مفروشة كما ذكرنا بالزليج المتعدد الألوان، وعرف عن أهل فاس ولعلهم ببناء القباب، إذ لا تخلو دور الأثرياء من قبة أو أكثر وأما البيوت الفخمة ذات الطوابق فكان امتلاكها حكرا على الأغنياء، وكانت بعضها تحتوي على أكثر من صحن أحيانا، وتحيط بها حديقة واسعة(٢)، أما بيوت بعض العرب الوافدين إلى المنطقة، فلم تتعد كونها خياما نصبت لتقيهم قساوة الطبيعة(3).

وفي تلك الفترة خضعت الدور لرقابة المحتسب طوال فترة البناء وتعدت هذه الرقابة إلى العمال والبنائين القائمين على العمل(4)، ووفقا لطريقة بناء البيت وموقعه كان يحدد سعره(5)، وكانت تؤجر لمن لا يملك مأوى، فابن عبد الله محمد بن اسماعيل الهواري (ت٥٨١هـ ١١٨٥م) كان يؤجر بأغمات(6).

---

(١) ابن حوقل. المصدر السابق. ص٩٠.

(٢): Reger le tourneau: fes avant le protectorat .pp495.496

(3) محمود خياري: تمرد جند العرب بمنطقة اشبيليا. مجلة الدراسات الإنسانية. تصدر عن كلية العلوم الإنسانية. جامعة الجزائر. سنة٢٠٠١.ع. ص: ٦٣٥.

(4) سامية مصطفى محمد مسعد: المرجع السابق.ص٥٧.

(5) حسن على حسن: المرجع السابق. ص٣٨٨.

(6) التادلي: المصدر السابق.ص٢٦١.

القصور:

إن بناء القصور والمبالغة في تزيينها وزخرفتها كان سمة من سمات الحكام و الأمراء و السلاطين و التجار وذوي المال لكثرة ما بين أيديهم من أموال وهي ظاهرة ممتدة في الزمان و المكان وقد عرف في العصر الاسلامي الكثير من هذه الظاهرة التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين والرحالة، كقصور الأمويين في الشام و الأندلس وقصور العباسيين، وقصور حكام المغرب والأندلس التي كانت تزخرف في داخلها بضروب الفن وانواع و الزينة والزخارف ، كقصور الأمويين في قرطبة وقصور الحكام والولاة في المدن الأندلسية وخاصة في عصر ملوك الطوائف وكذلك قصور الحكام بلاد المغرب وثرائها كقصور الأغالبة و الزيريين في إفريقية و الحماديين في القلعة وبجاية.

كان المرابطون قد بدأو حياتهم متقشفين، فلم يقم يوسف بن تاشفين إلا في دور بسيطة ولكن بوفاته ووصول إبنه علي إلى سدة الحكم أدخل حياة الترف و الفخامة إلى البلاط المرابطي، فبنى قصر الحجر وهي نفس الظاهرة التي سار عليها الموحدون من حيث تقشفهم في أول أمرهم حتى أن الناس في مدينة فاس لجأو إلى تغطية محراب جامع القرويين بالجص عند اقتراب عبد المؤمن من دخول المدينة ، لما عرف عن المهدي بن تومرت من التقشف خوفا من ان يهدم المحراب ويؤاخذ الناس على اقبالهم على الدنيا[1] لكن بدخول الدولة مرحلة الاستقرار بدأ الخلفاء يهتمون كثيرا بجانب العمران ، حيث شيدوا الكثير من القصور التي كانت غاية في الجمال، حتى أن العديد من الشعراء أتو على ذكر تلك القصور ووصف مدى حسنها، فيقول أحدهم في وصفه للقصور التي بنيت في عهد الخليفة المنصور

وقصور منصورية　　　حط السرور بها المطية
أعجب بمنزلها الذي　　　قد أكمل الرحمان زيه [2]

كان عبد المؤمن أول من بدأ في بناء القصور، فيقول المراكشي:" وأقام عبد المؤمن رحمة الله مراكشي مرتبا للأمور المختصة بالمملكة في بناء الدور وإيجاد قصور وإعداد سلاح"[٣]،وانشأ ابنه الكثير منها على الطريق من مراكش حتى مدينة الرباط، قاعدة الجيوش

---

(١) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص ٣٩٠.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق، قسم شعراء المغرب، ص٢٣.

(٣) المراكشي، المصدر السابق، ص٢٠٧.

الموحدية في الانطلاق إلى الأندلس [١] وبعده جاء ابنه أبو يوسف يعقوب الذي عرفت أيامه أزهى فترات الدولة الموحدية حيث تطورت وازدهرت في جل الميادين بما فيها العمران.

وكان المنصور قد ابتنى ضاحية امتدادًا لمدينة مراكش وانشأ فيها الكثير من القصور والمباني الأخرى، وفي ذلك قال المراكشي:" فإنه - أي المنصور الموحدي- كان مهتما بالبناء، وفي طول أيامه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها، زاد في مدينة مراكش في أيامه زيادة كثيرة يطول تفصيلها" [٢]، وأما في الأندلس فقد عمل على ترميم قصور بني عباد وأضاف عليها [٣].

إن قصور مراكش كانت أشبه بالمدن المستقلة لتعدد مرافقها وعظم بساتينها، وكان قصر الخلافة يتكون من عدة أجنحة يطلق على كل منها اسم خاص [٤] وضمنها خصصت أجنحة للوزراء، بالإضافة إلى قاعات وأجنحة خصصت للحفاظ من الطلبة والمجلس الخمسين، ومجلس السبعين [٥]، وكان كل قصر مزود بكل ما يحتاج إليه ساكنيه وأكثر، حيث احتوت على مرافق كالبساتين والحمامات والاصطبلات والمياه وغير ذلك من المرافق [٦].

إن أشهر قصور مراكش كان قصر أبي ربيع[٧]،وكان المنصور قد قام بتسوير القصورالتي ابتناها بأسوار عالية، وكان بقصر مراكش مقر الخلافة، بالإضافة إلى عدة دور منها دور البلور والريحان، وكل دار كانت محاطة بالبساتين العجيبة، ولها ثلاث أبواب مختصة بها: باب البستان وكان لا يراه إلا خواص بني عبد المؤمن وهويضفي إلى ما كان يعرف بالبحيرة، والباب الثاني هو باب الوادي داخل مدينة مراكش، ينصرف منه إلى ما يحتاج إليه بالمدينة، والباب الثالث باب الرياض أمامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل وبها قمة الخلافة، إلى جانب الباب كان يخرج إليها خليفتهم كل نهار، ويكون بها الخدمة، وفي رحبة

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) المراكشي: نفسه، ص ٢٩٢.

(3) Henri Terrasse ; histoire de Maroc (des origine à l’établissement du protectorat français), éditions AL lanti des, Casablanca 1999, p : 335.

(4) ابن صاحب الصلاة، نفسه ص ٤٢١.

(5) نفسه ، ص٤٢١.

(6) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص٣٩١.

(٧) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص٣٤٨.

القصور دار الكرامة والضيوف، وفي هذه الرحبة مدرسة و بها أيضا خزائن الكتب، وفيها دار مخصصة للوزارة، وهناك مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان، وفي الرحبة باب السقائف، ومنها سقائف الطلبة والحفاظ، وأهل الدار والقبائل الموحدية، و بها موضع صاحب الشرطة وبإزائها الجامع المبني في تامراكشت [١] .

ومدينة فاس هي الأخرى حظيت باهتمام الموحدين حيث شيدوا بها الكثير من المباني والقصور [٢]، وكان سبلا قصر ابن عشرة الذي كان ينزل بها عبد المؤمن [٣].

أما الأندلس فكان لها الحظ الأوفر في الجانب العمراني، حيث بنى بها الموحدون الكثير من القصور، هذا إضافة إلى القصور التي كانت بها قبل دخول الموحدين إليها، ومن قصور الموحدين بها قصر أبي يحي بقرطبة، والذي بناه السيد أبو يحي بن يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن خارج قرطبة، على متن نهر الوادي، وقد كان من إنشاء المهندس الحاج يعيش المالقي، وهذا الأخير بالغ في إتقانه كما لم يبخل السيد أبو يحي في النفقة على بنيانه [٤]، ونجد أيضا قصر المأمون بمالقة والذي كان يعرف بالقصر السعيد [٥].

أما في اشبيليا فإنه من الصعب معرفة ما أنشأه الموحدون بها من قصور، إذ أن أغلب ما أقاموه كان على أنقاض ما وجدوه من قصور المعتمد بن عباد، حيث قام الموحدون بهدم جزء من تلك القصور، وأقاموا مكانها قاعات جديدة تتفق زخارفها مع الأسلوب الشائع في فنون الموحدين، والذي يجمع بين البساطة التي امتازت بها منشآتهم بالمغرب، والعلو في الحشو الزخرفي والميل إلى التعقيد [٦]، وكان بناء قصور البحيرة باشبيليا سنة ٥٦٧هـ /١١٧١م)، بأمر من الخليفة أبو يعقوب يوسف، وقد أمر بأن تختط خارج باب جصور من اشبيليا، في الجنة المنسوبة لابن مسلمة القرطبي، بعد أن انتزع ملكيتها، مقابل عوض صحيح من النبات مثلها، وفي هذا الموضع أقام العرفاء القصور المذكورة ودورا للأمراء فقامت القصور التي أنشأها العريف محمد بن المعلم لأخيه السيد أبي حفص على وادي اشبيليا

---

(١) المنوني: حضارة الموحدين، ص١٦٨.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٧٦.

(٣) سحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة الرباط، ص٢٦.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٠٢.

(٥) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ص ٣٤٩.

(٦) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور، ص١٢٣.

خارج باب الكحل، وقد تولى بناء القصور ودور الأمراء العريف أحمد بن باسة [١]، كما عهد أبو يعقوب يوسف إلى كل من القاضي أبي القاسم أحمد بن محمد الحوفي الاشبيلي والموثق باختطاط ما يلزم لإقامة بساتين ملحقة بالقصور، تغريس بأشجار الزيتون والأعناب والكمثري والإجاص المسمى بالعبقر.والأرز والتفاح، فإختط ما أمره به، وكان الملتزم للحفر في غريس البحيرة المذكورة الشيخ أبو داود بلول بن جلد اسن شرف اشبيليا تحت الإشراف السيد أبي العلاء إدريس الوزير وابنه [٢]، وبعدها انتبه الخليفة الموحدي إلى مشكلة توصيل المياه إلى هذه القصور، فعهد إلى الحاج يعيش المالقي بتوصيل المياه إليها[٣]، وقد كانت القصور التي بناها الموحدون باشبيليا أجمل العمائر وأفخمها.

(١) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٤٧٦.

(٢) نفسه: ص٤٧٦.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور، ص ٨٠.

منشآت عسكرية:

إن مثل هذا النوع من العمارة اشتمل على الأسوار المحيطة بالمدن بأبراجها وأبوابها، وهذه الأسوار استحدثت فيها الكثير من التحسينات التي جاءت لتدعيم النظم الدفاعية أمام الإخطار الخارجية، سواء كانت من الدول الإسلامية المناهضة، أو من النصارى ببلاد الأندلس، وتمثلت هذه التحسينات في الأبراج البرانية، والأسوار الأمامية والأبواب ذات المرافق، وبالإضافة إلى الأسوار نجد القلاع والحصون والتي غالبا ما تقام في الأماكن المشرفة العالية، والأماكن التي تتسم بمواقعها الضعيفة دفاعيا.

الحصون و القلاع:

أنشأ الموحدون الكثير من القلاع والحصون، وخاصة الخلفاء والمتأخرين منهم، لأنهم كانوا في فترة تراجع وانحطاط، واشتدت عليهم الأخطار في الداخل والخارج معًا، ولم يبق موقفهم كما كان في السابق، أصبحوا في موقف المدافع بعد ان كانوا في موقف المهاجم، وهذا ما يستدعي وجود مثل هذه المنشآت، التي تساعد في عرقلة تقدم العدو في أراضيهم.

لقد استفاد الموحدون بما وجدوه من حصون كثيرة خلفها المرابطون في المغرب والأندلس [(١)]، حيث قاموا بترميمها، وأضافوا إليها حصونا وقلاعًا جديدة [(٢)]، أما في الأندلس فإن مثل هذه المباني الدفاعية وجد فيها منذ السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لها، وذلك بحكم موقعها الجغرافي، والذي يجعل منها مجاورة لأراضي الأعداء من النصارى.

وكانت الظروف التي تحكمت في قيام الدولة الموحدية من صراع مع المرابطين من العوامل التي ساعدت على بناء سلسلة من القلاع و الحصون الأولى خوفا من الهجمات مباغثة للمرابطين عليهم كما كان لفتنة بني غانية وغزوهم لبلاد المغرب والممتلكات الموحدية فيها إنطلاقا من جزر البليار و الجزر الشرقية أثر قوي في تحصين المدن الموحدية وتشييد القلاع و الحصون.

---

(١) : يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص٤٩٦.

(٢) : توفيق مزاري عبد الصمد: التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الجزائر ٢٠٠٠، ص١٩٨.

ومن هذه الحصون حصن تينمل فهذه المدينة هي أول الحصون التي اتخذها الموحدون، ويعود ذلك لكونها حصنا طبيعيا وجد فيه بن تومرت موطنا منيعا، وموقعا ممتازاً ليبث منه دعوته [١] . ويقول فيه صاحب الحلل الموشيه:" لا يعلم مدينة أحصن من تينمل لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها، فأما غربها وهو الطريق إليها من مراكش بطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفارس وحده موسعًا، وأضيقهُ أن ينزل من على فرسه خوفا من سقوطه، وذلك شرقيها إلا أن الطريق إليها من نفس الجبل تحت راكبها حافات وفوقه حافات، وفيها مواقع مصنوعة بالخشب إذا أزيلت منها خشبة لم يمر منها أحد، ومسافتها على هذه الضفة نحو مسيرة يوم" [٢]، وأنشأ عبد المؤمن قصبة المهدي سنة (٥٤٥هـ/ ١١٥٠م)، كما انشأ حصنا آخر بتلمسان بعد فتحها ثم اخذ الموحدون بإنشاء الكثير من الحصون والقلاع و القصبات ومنها قصبة مراكش وبالسوس الأقصى أمر أبو يعقوب يوسف بإنشاء حصن يمكن الموحدين من الإشراف على معدن الفضة وحمايته من الأيدي لتي قد تطاله [٣].

أما في الأندلس فإن النظام الدفاعي كان ضرورة مطلوبة جدًا منذ الفتح الإسلامي لها، وحتى بعد سقوط دولة الموحدين، ومن الحصون التي أنشأها الموحدون على الأراضي الأندلسية حصن الفرج الذي يقع غربي طريانة من مدينة اشبيليا، والذي يعرف اليوم باسم ما خوان دي ، وبناء هذا الحصن يعود إلى أيام الخليفة الموحدي المنصور، سنة(٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، وفيه أمر المنصور ببناء القصور والقباب، وفيه جلس ليلقى تهنئة الوفود على النصر الذي حققه في الارك على النصارى سنة (٥٩١هـ/ ١١٩٥م) [٤]، وبعدها أصبح هذا الحصن مقرًا لخلفاء الموحدين، ومركزًا دفاعيا لمنطقة الشرق، إلا أن الحصن سقط في أيدي القشتاليين سنة (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) ، وتعمدت أسواره سنة(٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)[٥].

---

(١) : حسن علي حسن: المرجع السابق، ص٣٩٤.
(٢) مجهول: الحلل الموشيه، ص٨٣.
(٣) توفيق مزاري عبد الصمد: المرجع السابق، ص٢٠٣.
(٤) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ١٢٨.
(٥) عبد العزيز لعرج :العمران الإسلامي وعمارته ،ص ٨٢.

بالإضافة إلى الحصون التي أنشؤوها، قام الموحدون بترميم بعض الحصون الأخرى ومنها قلعة جابر أو قلعة وادي إبرة، التي تقع على بعد اثنا عشر كيلومترا غربي اشبيليا، وقاموا بتزويد أسوارها بالخنادق، والأسوار الأمامية كما شيدوا وقصبة بطليوس التي أقامها أبو يعقوب يوسف، وأجرى إليها المياه من الوادي المعروف بوادي أنة سنة (٥٩١هـ/ ١١٧٢م).

الأسوار:

تعد الأسوار وخاصة أسوار المدن من الوسائل الدفاعية الأساسية لأي مدينة أو عاصمة وهي معيار حضاري في العمارة العربية الإسلامية وكانت قوة الأسوار ومتانتها رادعا يرد المهاجمين وعاملا لإستمرار الدولة أو سقوطها وسور المدينة مرفق عام يستفيد منه كل سكانها لذا يستوجب بناؤه مشاركتهم كلهم(١). وكانت أسوار المدن المرابطة قد أوقفت لمدة طويلة هجوم الموحدين على المدن كتلمسان ووهران وفاس وهو ما دفع بعبد المؤمن إلى تدمير تلك السوار، عند قيام دولة الموحدين أقدم الخليفة عبد المؤمن بن علي على تدمير أغلب الأسوار(٢) وبعدها أعاد عبد المؤمن النظر في مقولته المشهورة " لسنا بحاجة إلى أسوار إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا"[3] . ولكنهم - أي الموحدون - فيما بعد بنو الكثير من الأسوار في المغرب والأندلس، أما الأندلس فكان بناء الأسوار بها منذ فترات بعيدة، فعند دخول المسلمين إليها وجدوا بعض المدن المسورة من قبل الرومان، غير أن تلك الأسوار لم تهدم أمام ازدياد كثافة السكان ومتطلبات ذلك من التوسع[4]. إنما تطورت طرق البناء ومواده بتطور الأسلحة وأساليب الدفاع والهجوم.

---

(١) عبد العزيز محمود لعرج:العمران الإسلامي وعمارته،ص ٨٢

(٢) عبد العزيز محمود لعرج : مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها ،مكتبة زهراء الشرف القاهرة،ط١،٢٠٠٦ ،ص ٧٩.

(3) Roger le torrneau : fès avant le protectord . société marocaine de librairie et l’édition Casablanca , tome XIV 1949. p. 55.

(4) السيد عبد العزيز سالم. نفسه. ص١٣٠.

تعد أسوار مدينة سلا من بين الأسوار التي هدمها عبد المؤمن بن علي سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وأعاد بناءها حفيده أبو يوسف يعقوب المنصور[1] ورممت هذه الأسوار فيما بعد عدة مرات، وكذلك أقام الموحدون أسوارا على مدينتي مراكش وفاس، وتلمسان التي كان دخولهم إليها وبالا عليها وعلى اهلها، فبدخولهم إليها أعملوا القتل في أهلها، ودمروها . لكنهم عادوا وأقاموها من جديد وكانت من أحصن ما أنشا الموحدون بالمغرب[2]. وكانت تلمسان في عهد الموحدين مقرا للولاة على المغرب الأوسط[3]، وفي الأندلس كانت كل المدن تقريبا مسورة، ففي عهد عبد الرحمان الأوسط سورت كل من اشبيليا وماردة ومدن كثيرة [4].

وغالبا ما كانت الأسوار تزود بعدد من الأبواب، فسور مدينة رباط الفتح الموحدية كان به خمس أبواب منها من باب الرواح وباب الحدب[5]. وكان السور يتألف من ممشى للجند في أعلاه، يقذف منه الجند سهامهم، وبالسور أيضا شرفات مسننة او مستديرة ومن خلالها يراقبون ويقذفون السهام و الحراب ، والشرفات على هيئة قائمة تنتهي بشكل مسنن أو مستدير وبين الدورة والأخرى أو الشرفة والأخرى فتحات تساعد المحارب على المراقبة والإشراف والنظر إلى الأسفل دون أن تصيبه سهام العدو[6].

---

(1) سحر السيد عبد العزيز سالم . مدينة الرباط. ص.٤٨.

(2) georges marcais : tlemcen. Paris librairie renouard . 1950.p : 31.

(3) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق .ص: ١٣١.

(4) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس . ص ٢٢٨.

(5)Jacque, Caille : la ville de rabat jusqu’au protectorat français. Volume I, édition d’art et d’histoire, Paris, P : 133.

(6) السيد عبد العزيز سالم : نفسه ٢٢٩.

ومن الأسوار التي بناها الموحدون بالأندلس أسوار مدينة قرطبة، وأسوار مدينة اشبيليا التي أمر المنصور بإنشائها، وعند انهزام المسلمين في حصن العقاب(١)، وتكالب النصارى على أراضي المسلمين بالأندلس قام أبو العلاء إدريس الموحدي بتحصينها لمواجهة الأخطار المرتقبة، فأقام بها سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) برج الذهب المشهور، والذي لا يزال قائما إلى أيامنا هذه، وجدد أسوارها وشيد أمامها سورا يحيط بها، وحفر حولها خندقا يدور بالأسوار زيادة في الاحتياط.

تعد هذه التحصينات نوعا جديدا في فن العمارة الحربية، ابتدعها المسلمون في آخر أيام دولة الموحدين، منذ تراجع سلطانهم. واشتداد خطر النصارى، ومن هذه النظم المعمارية الجديدة الأبراج البرانية، والأسوار الأمامية و الأبواب ذات المرافق(٢)، أما الأبراج فكان أغلبها مريع، ويتألف من نصفين أدنى مصمت، ونصف أعلى وتشغله غرفة لحركة الجند فيها. وقد استعمل الموحدون البرج المثمن في بناء أبراجهم البرانية، وهذه الأبراج كانت تقام على المدن الحدودية المجاورة للنصارى مثل مدينة القصور ومدينة بطليوس، واستخدموا أيضا أبراجا من اثنا عشر ضلعا، ومنها تلك التي في سشريش وشنتمرية(٣)، إلا أن البرج المثمن كان مفضلا على المريع، وذلك لفعاليته فهو بكثرة ضلوعه يمكن المدافعين من التحرك في كل الجهات والزوايا، غير أن البرج المستدير هو الأفضل (٤)، وعند تفاقم الأمور وازدياد الخطر المسيحي ابتدع الموحدون نوعًا جديدًا من الأبراج، عرف بالأبراج البرانية، قصدوا منها تدعيم الستارة المشكلة للسور، ومثل هذه الأبراج أقيم ببطليوس وطلبرية وماردة وقلعة رباح(٥)، وقام أبو يعقوب يوسف بتحصين قلعة جابر التي تعتبر المركز الدفاعي الأمامي لمدينة اشبيليا، وحصنها، كما شيد أسوار أمامية لقصبة بطليوس(٦)، وأقام الموحدون

---

(١) السيد عبد العزيز سالم. في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس. ص٢٣٠.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٣٨.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور، ص١٦١.

(٤) نفسه: ص١٦١.

(٥) نفسه: ص١٦٢.

(٦) نفسه: ص١٦٣.

الأسوار الامامية لمدن جيان و شريش والجزيرة الخضراء وبسطةو لوشةو ومالقة[1].

وكانت الأسوار تتخللها أبواب تصل داخل المدينة بخارجها، وكان النظام البيزنطي لهذه الأبواب هو عقدان متقابلان، أحدهما ينفتح إلى الداخل والآخر إلى الخارج. لكن فيما بعد ابتكر المرابطون نوعا جديدا من هذه الأبواب، وهي الأبواب ذات المرافق، وذلك لأن الممر الواصل بين فتحتي الباب الداخلي و الخارجي ينكسر بزاوية قائمة في عدة نقاط حتى يصل إلى الفناء الداخلي في شكل المرفق، وتتميز هذه الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بتلك الانحناءات، و بدا هذا النوع من الأبواب ذات المرافق في عهد المرابطين.[2]

المرافق العامة:

اهتم الخلفاء الموحدون بجانب العمران كثيرا، وخاصة عند استقرار دولتهم. وعملوا على توفير كل المنشآت الضرورية بالمدن لتسهيل حياة الناس وتيسيرها، وترغيب غير أهلها في النزول لها، ومن أهم المنشآت التي أقامها الموحدون نجد المساجد، الفنادق، المستشفيات، المدارس، والحمامات

المساجد :

تعد المساجد من أبرز المنشآت الدينية في كل أقطار العالم الإسلامي، فقد كانت ولا تزال مكانا مقدسا تقام فيه العبادات، وفيه تعطى الدروس للأطفال والجاهلين من الكبار، وقد كان المسجد كدار للإمارة في بداية دولة المسلمين، تدار منه شؤون المسلمين، وكانت له أدوار أخرى مختلفة وعديدة، وللأهمية التي حظي بها المسجد فإنه غالبا ما كان يبنى في وسط المدينة[3]. ليكون قريبا من جميع نقاط الأحياء السكنية والوصول إليه ميسور.

و كانت عمارة المسجد في بداية الدعوة الإسلامية بسيطة أي أنها لم تكن مزينة بأي من أنواع الزخارف وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من أقدم على زخرفة المساجد

---

(١) نفسه: ص١٦٤.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور، ص: ١٦٤.

(٣):أحمد عبد الفتاح رواس قلعة جي: مدخل إلى علم الجمال الإسلامي.دار قتيبة، بيروت، دمشق، ط ١٩٩١،ص٦١

وتزيينها في بلاد الشام وفلسطين وتبعه في ذلك من جاء بعده من الخلفاء و الولاة في شتى الأقطار الاسلامية وتقديرا لدور العبادة ومنافسة لفخامة وضخامة وجمال المنشآت المسيحية في الشام فبذلوا العطاء للفنانين و البنائيين تشجيعا لهم على مضاعفة عنايتهم واهتمامهم بما يفعلون لإخراج المساجد في حلة فنية وجمالية فخمة تبهر الناظرين(١) وقد سارت المساجد في المدن والأمصار الإسلامية على هذا النهج خاصة المساجد الجامعة فزينوها وزخرفوها كما في الجامع الأموي بدمشق الذي به قبة الصخرة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في عهد الوالي على المدينة عمر بن عبد العزيز وكذلك جامع الفسطاط وجامع القيروان وكانت مساجد العباسيين على نفس الطراز و الجمال الذي عرفه العصر الأموي. وفي بلاد المغرب كان لإحتكاك المغرب بالأندلس أثره القوي على نشوء طراز مغربي اندلسي منذ العصر المرابطي كما في جامع تلمسان الكبير وجامع القرويين بفاس.

ولقيام دولة الموحدين على أسس دينية أثر قوي وإيجابي على انشاء المساجد و العمل على جعلها من أجمل المنشآت التي أقاموها وذلك على الرغم من أنهم قامو بتهديم أغلب المساجد المرابطية لأن الفقهاء أفتوا بعدم جواز الصلاة فيها. فيها لانحرافها عن القبلة (٢) ويقول البيذق :" وبقيت مراكش وذلك بعد أن فتحها الموحدون لم يدخلها داخل ولم يخرج منها خارج ثلاثة أيام، وكانوا يتشاورون على سكانها فامتنع الموحدون أن يسكنوها، فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأي شيء لا تسكنوها، فقال امتنع المهدي من ذلك، ولاسيما تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة، التي لاعوج فيها، ولا تعريف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، والتشريق لغيرها من اليهود وغيرهم. فقال الفقهاء تطهر وتسكنوها، فقالوا لهم وما تطهيرها، فقال الفقهاء تهدم جوامعها وتبنى جوامع أخرى، فهدمت جوامعها لأجل تشريقها، وتعريفها عن القبلة وإحالتها إلى المشرق، وهدم فيها جامع علي بن يوسف بن تاشنين، ولم يهدموه كله بل هدموا بعضه" (٢)

---

(١) طه ولي الدين: المساجد في الإسلام، دار العلم للمبين، بيروت لبنان ص١، ١٩٨٨. ص٣٣٨.

(٢) حسن علي حسن : المرجع السابق. ص: ٣٩٧، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص: ٧٠٦

(٣) البيذق : المصدر السابق: ص: ١٠٥

ومن أهم المساجد التي أنشأها الموحدون بالمغرب والأندلس مسجد تينمل والكتبية وجامع حسان وجامع القصبة بمراكش وجامع اشبيليا... إلخ.

جامع تينمل :

مثلت مدينة تينمل القاعدة الأولى لانطلاق دولة الموحدين ورسوخها إذ منها بدأ الموحدون رحلتهم لسيادة العدوتين المغرب والأندلس. وفيها دفن زعيمهم الروحي المهدي بن تومرت. الذي سيصبح قبره مزارا فيما بعد يتبرك به الخاصة والعامة من الناس(١) وكان أول من بنى جامع تينمل المهدي بن تومرت، وأعاد عبد المؤمن بن علي ترميمه فيما بعد (٥٤٨هـ / ١١٥٣م). شكله مربع ويبلغ طول ضلعه ٤٦ م وأربعين مترا وعرضه ستة ويوجد به قبر المهدي، وله ثلاث أبواب شمالاً وشرقا وغربا، وثلاثة أخرى جنوبا، ويعد محرابه أهم ما بقي منه، ومن ميزاته جمال مقرنصاته (٢)، ولا تتجاوز بلاطاته تسعا، وأمام محرابه ثلاث قباب، أوسطاها تقع على بلاجة المحراب العمودية ويحيط بها قبة من كل جانب (3)، ويعد محرابه أجمل المحاريب المغربية الموحدية، وأما مئذنته فهي تختلف عن مآذن الموحدي الأخرى إلا أنها قريبة من حيث الشكل من مئذنته جامع الكتيبة، ولم يبق من هذا المسجد سوى قبة المحراب والقبة الشرقية (4).

---

(1) Henri basset et Henri terrasse : sanetanaires et forteresses Almohade. Maisonneuve et la rose Paris. France. 2001.pp. 29.30.

(2) مقرنصات: من عناصر العمارة الإسلامية المميزة لها. يشبه المقرنص الواحد إذا أخذ مفصولا من مجموعة محرابا صغير، أو جزءا طوليا منه، وتتعدد أشكاله ولا يستعمل إلا متكاثر متزاحم بصفوف مدروسة التوزيع والتركيب متجاورة متعالية أنظر عبد الرحيم طالب. موسوعة العمارة الإسلامية، دار صادر، بيروت، لبنان. ط١٩٨٨، ص: ٣٩٨.

(3) إبراهم حركات: المغرب عبر التاريخ. ج١. ص : ٣٤٤

(4) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير. ص: ٨٤٢ – ٨٤٣.

جامع الكتيبين:

كان بناؤه على يد عبد المؤمن بن على سنة (٥٥٣ هـ/ ١١٥٧ م) في مراكش [1]، وقد أقيم هذا المسجد على أنقاض مسجد المرابطين [2]، وعند إنشائه جعل فيه ساباطا يربط بين القصر والجامع، يتردد الخليفة عن طريقه بين مسكنه والجامع، يتردد عن طريقه الخليفة بين القصر والجامع[3]، وأمر الخليفة بصنع منبر المسجد الجديد ومقصورته في الأندلس وذلك لما عرف عن الأندلسيين من مهارة في هذا المجال، وإتقانهم الكبير لأعمالهم بالروح الجمالية الراقية[4]، وكان الذي تولى صنع المقصورة المهندس الحاج يعيش المالقي[5] وكان المنبر والمقصورة من أجمل ما صنع. فالمنبر صنع من العود والصندل [6] الأحمر والأصفر وصفاته من الذهب والفضة، أما المقصورة فقد كانت من الخشب ولها ستة أضلاع، تستوعب أكثر من ألف شخص[7]، وهذه المقصورة بدأت الأعمال فيها أيام الخلفية عبد المؤمن بن علي. إلا أن القسم العلوي منها لم يتم إلا في أيام الخليفة المنصور.[8]

---

(1) القلشذي: صبح الأعشى، ج٠٥. ص:١٦٢

(2) Vctore Piquet : Autour de mounement musulmans . librairré ouéntal et anericine . paris 1949. p : 80.

(3) إبراهيم حركات: المغرب عبر التريخ. ص. ٣٤٤.

(4) محمد الكحلاوي: عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات قسم ٠٣. الحضارة والعمارة والفنون مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط١. ١٩٩٦. ص: ٢٠١.

(5) مجهول: الحلل الموشية . ص: ١٠٨.

(6) الصندل. شجر خشبة طيب الرائحة، يظهر طيبا بالدلك أو بالإحراق أنظر المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون..ج١ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع إسطنبول. تركيا . د ت ط . ص: ٥٢٥.

(٧) السيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير ص ٨٤٥، علي عبد الله علام، المرجع السابق ، ص٣٧.

(٨) نفسه ، ص: ٨٤٥.

والجامع عبارة عن جامعين أسسهما عبد المؤمن بن علي في سنوات متقاربة، وبينهما إمتداد مباشر إلى الجنوب من الأول ويتصل الأول بالثاني الذي يبدوا انه متطابقا تماما للأول بحيث أصبح عبارة عن منشأة واحدة و الجامع شبه منحرف في شكله وبيت صلاته يتشكل من سبع أساكيب وسبعة عشر بلاطة تتميز فيه البلاطة العمودية على المحراب الذي يعلوها سبعة قباب ، وقد زينت هذه القباب بالكثير من المقرنصات التي تعد من أهم ما يميز الفن الموحدي في تلك الفترة و للمسجد أربعة أبواب في كل من الجهتين الشرقية و الغربية منه وهي عبارة عن هيكل بارز إلى الخارج مبني بالآجر والآجر و الحجارة[1] .

لعبت العناصر النباتية دورا كبيرا في تكوين الزينة الجدارية، حيث استعمل الأوراق النباتية، كسعف النخيل ونباتات أخرى، ومنها ثمرة لوز الصنوبر و التفاح التي استخدمت في تزيين الصومعة[2]. التي زادت المسجد جمالا ورونقا وبالإضافة إلى الأشكال النباتية كان للخط العربي دور في تزين هذا المسجد وقد أكثر الموحدون من استخدام الكتابة في تزيين المساجد على الرغم من أن الكثير من الفقهاء حاربوا هده الظاهرة وعارضوها[3].

ويعد جامع الكتيبة من أجمل و أروع ما بنى الموحدون من مساجد. ففيه مقصورة متحركة لم تعرفها المساجد من قبل، قال عنها صاحب الحلل، وضع عبد المؤمن ، مقصورة من الخشب لها ست أضلاع، تسع أكثر من ألف رجل وكان المولى لصنعها رجل من أهل مالقة يقال له الحاج يعيش المالقي، وكيفية هذه المقصورة أنما وضعت على حركة بعد رفع البسط عن موضع المقصورة فتطلع الأضلاع في زمن واحد، لا يفوت بعضها بعض بدقيقة. وكان باب المنبر مسدودا فإذا قام الخطيب ليطلع عليه فتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة لا يسمع حس ولا يرى تدبيرها[٤].

---

(١) طه الولي، المرجع السابق ص ١٣١، Victor Piquet : op.cit. p .82

(٢) حسن الوزان: المصدر السابق، ١٣١.

(٣) طه الولي، نفسه . ٣٣٩.

(٤) يوسف أشباخ : المرجع السابق. ج١. ص٢٦٣

ويصف المقري جمال هذا المسجد بقوله: " أمروا"، أي الموحدين ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش فبدئ في بنائه بتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٣ هـ، وكمل منتصف شعبان المحرم من العام المذكور، على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع، وأفسح المساحة و أبعد البناء والنجارة، وفيه من شمسيات الزجاج، ودرجات المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لأستعرب تمامه فكيف في هذا الأمر الشيء الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه أو صليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور. [١]

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب الذين كانوا يبيعون سلعتهم من الكب بجانب المسجد[٢]، وفي عهد المرينين هدم جزء كبير منه وأصبح مهملا، حتى أنه أصبح ملجأ للصوص وقطاع الطرق [٣].

جامع حسان بالرباط:

كان هذا المسجد من بين المنشآت التي أنجزت في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور[٤] ولهذا المسجد تخطيط مختلف عن باقي المساجد الإسلامية الجامعة، فبيت الصلاة فيه يتألف من قسمين: قسم خلفي به واحد وعشرين بلاطة عمودية على جدار القبلة[٥]، والثاني يشتمل على ثلاث أساكيب ممتدة بعرض المسجد بحداء جدار القبلة.[٦] وقد كان هذا المسجد من أجمل المساجد التي أنشأها الموحدون بالمغرب الأقصى.[٧]

---

(١) المقري: نفح الطيب. ج٢. ص: ١٤٥.

(٢) إبراهيم حركات. الغرب عبر التاريخ. ج١. ص: ٣٤٤

(٣) نفسه ، ص : ٣٤٥

(٤) ابن أبي دينار: المصدر السابق ص: حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته : ص : ١٢٤

(٥) السيد عبد العزيز سالم . المغرب الكبير .ج٢. ص ص ٨٤٨- ٨٤٩

(٦) زاهر رياض المرجع السابق. ص ٥٢١

(٧) إبن صاحب الصلاة. المصدر السابق . ص ٤٧٤

للمسجد ثلاثة صحون اثنان في بيت الصلاة و الثالث مثل الصحون التي تقام في الجوامع الأخرى وهو مستطيل مقاساته ١٨٠x ١٣٩.٤٠ ويعد هذا الجامع من أكبر واوسع مساجد بلاد المغرب واهم ما يميزه مئذنته المزينة بالزخارف الهندسية من نوع شبكة المعينات ذات الصلة بزخارف مئذنته جامع قرطبة، وتتوسط الضلع الشمالي للجامع أمابالجهة الشمالية فقد فتحت به أربعة ابواب وهي ابواب شبيهة بمداخل الكتبية.

جامع القصبة الكبير باشبيليا :

يعد هذا المسجد من أهم ما خلف الموحدون من أثار، والمسجد أمر بإنشائه أبو يعقوب يوسف الموحدي سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م) . وذلك أثناء إقامته بها [١]، وقد جمع هذا المسجد بين بساطة الفن الموحدي ، والغلو الزخرفي الذي تميز به الفن الأندلسي .[٢] وكان سبب بناء هذا المسجد الجامع أن جامع اشبيليا المعروف بإسم جامع بن عبديس قد ضاق بمصليه حتى راحوا يصلون في الأفنية والحوانيت بجانب المسجد[٣]، وجمع الخليفة أبرع البنائين من المغرب والأندلس معاً، فيقول ابن صاحب الصلاة" وأحضر لذلك - لبنائه - أحمد بن باشة وعرفاء حضرة مراكش وفاس وأهل العدوة [٤].وقد بدأ بناء هذا المسجد سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) بإشراف المهندس أحمد بن باسة [٥].

وقد أسس هذا المسجد بالماء والآجر والجيار والجص والأحجار[٦]، واهتم البناءون ببناء القبة على محرابه وبنجارتها أعظم عناية[٧]، وأقاموا عن يسار المحراب ساباطا في الحائط بشقة الخليفة من القصر إلى الجامع لحضور صلوات الجمعة[٨].

(١) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية. ص: ٤٧

(٢) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المغرب. ج٣. ص : ٨٥٥.

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في الأندلس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت ط، ص ٥٢.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٤٧٤.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، ص ٣٩.

(٦) ابن صاحب الصلاة: نفسه، ص٤٧٥.

(٧) نفسه: ص ٤٦٧.

(٨) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية البانية، ص٤٧ -٤٨.

وكان منبره مصنوعًا من أكرم الخشب[١]، مفصلا منقوشا، مرشقا محكماً مرصعًا بالصندل، إبنسونه يتلألأ بصفائح الذهب والفضة، ثم عملت له مقصورة من الخشب مزينة بالفضة[٢]، وكان الخليفة يتفقد دائما، ويشير للمشرفين عليه بالحد من البناء وإتقانه حتى عمل بناؤه، الذي استغرق ثلاث سنين وإحدى عشر شهرا، إثر الانتهاء ومنه سافر الخليفة إلى مراكش سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م)،

وافتتح الجامع رسميا على يد والي اشبيليا أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة أبو يعقوب يوسف، وكان ذلك سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، وعندما عاد أبو يعقوب يوسف،إلى الأندلس سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) أمر ببناء صومعة الجامع، وجعلها ملتصقة بالسور الجامع، إلا أن الخليفة أبو يعقوب يوسف توفي في نفس السنة دون أن يشهد كمال ما أمر به [٣]. وعند تولي الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور أمور الخلافة، أمر بالكف عن بناء السور لكنه أبقى أمر بناء الصومعة قائما [٤]، وقد تعطل فيه العمل قليلا إلى أن وصل أبو زهرة من مراكش سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، فأمر باستكمال بناء الصومعة، وبعد انتصاره في الأرك أمر المنصور بصنع تفاحات الأربع الذهبية لتزيين الصومعة [٥].

وتداول على بناء هذه الصومعة العديد من العرفاء، فبعد وفاة أحمد بن باسة خلفه العريف على الغماري المغربي الأصل، الذي أتم ما تداعى من جامع اشبيليا واستكمل بناء صومعته، وقد استحدث هذا الأخير أسلوبا خاصا به في البناء، إذ أدخل الآجر في بناء الصومعة، بدلا من الحجر وذلك لكي يخفف من الثقل الناتج عن ارتفاع الصومعة على قاعدتها، وبذلك يضمن للصومعة سلامتها من التداعي والسقوط، وكان الذي اشرف على صنع التفافيح التي زينت الصومعة،و التي رفعها علىالأعمدة هو المعلم أبو الليث الصفار [٦]، وكانت تلك التفافيح من أجمل ما صنع.

---

(١) ابن صاحب الصلاة: نفسه، ص٤٧٨.

(٢) محمد عبد الله عنان: نفسه، ص٤٨.

(٣) نفسه: ص٤٩.

(٤) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية باقية، ص٥٦.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص١٧٣.

(٦) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص١٧٤.

وعند سقوط المدينة في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة حول المسجد إلى كنيسة سماها سانتا ماريا، وظل المسجد على تلك الحال، وبعد مرور الزمن لم يبق منه إلا الباب المعروف بباب الغفران، أما المئذنة فقد تحولت بعد سقوط اشبيليا سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٦م) إلى برج للنواقيس ملحق بالكنيسة ثم سقطت تفاحاتها سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٥م)، ثم أزالت إحدى الصواعق الجزء العلوي منها سنة (٩٩٠هـ/ ١٤٩٤م)، وسقط جزء آخر منها في زلزال سنة (٩٩٩هـ/ ١٥٠٤م)، وأقام الاسبان مكان هذا الطابق العلوي طابقا جديدًا من البناء سنة(٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م).

المدارس :

إن هذه المنشآت العلمية لم تُعرف في العالم الإسلامي قبل القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، إلاّ أنّ هذا لا يعني أن المسلمين لم يكونوا أهل علم ومعرفة، بل على العكس، لأنّ أوّل ما دعا إليه الإسلام كان طلب العلم، ودلّ على ذلك قوله تعالى في أوّل آية نزلت على سيّدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-:" **اقرأ باسم ربك الذي خلق"** (1)، وفي هذه الآية دعوة صريحة لطلب العلم، وفي تلك الفترة برز الكثير من العلماء والفقهاء الذين أبدعوا وبرعوا كُلٌ في مجال بحثه.

اتبع طلبة العلم في مزاولة دراستهم على طرق مختلفة وحصلوا علومهم في أماكن عديدة منذ الفترة الإسلامية المبكرة من القرن ٢هـ/ ٨م (2) و كان الجامع و المسجد نواة تحصيل العلوم والمعارف إذ لم يكن دوره منحصرا في كونه مكان عبادة فقط(3) ، وكما كان المسجد مكانا للدرس فقد كان مكانا للدعوة ونشر الإسلام ووظائف أخرى كمحكمة و الدعوة السياسية والإصلاح وتلاقي أفراد المجتمع وتواصلهم، وهي أمور تفطن لها صاحب الدعوة الموحدين المهدي بن تومرت حيث ادرك الدور الذي يمكن للمسجد تأديته لتسهيل نشر دعوته وجمع المناصرين له فبدا دعوته في المسجد وعند قيام دولته راح يبني المساجد في كل حاضرة ينزل بها، وفيها كان المهدي يبث في الطلبة المجتمعين إليه عقيدته، ومبادئه

---

(١) سورة العلق الآية ٠١.

(٢) عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة البصرة بغداد ١٩٦٦، ص٠٥.

(٣) محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف لويس مواريث فرنانديز، تقديم عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢، ص ٢٠٧.

ويجب الحاضرين فيما يدعو إليه.

وتعليم الصبيان في المساجد لقي معارضة بعض الفقهاء، الذين خشوا من أن يقوم الصبية بتنجيس المسجد وهو ما فيه إساءة لبيت الله ، ألاّ أنّ كونه المقر الأساسي لتقديم الدروس، خاصة الشرعية منها، جعله مفتوحا أمام الراغبين في التعلّم، وبعد فترة ظهرت الكتاتيب التي استقبلت وفود الصبيان من طلبة العلم، والكتّاب هو عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال قد تكون غرفة في منزل أو حانوتٍ مُكَبَّرٍ أو فناء، وإنشاء الكتاتيب لم يُضبط في مكان معين، وغالبا ما كان يقام بقرب من المسجد، وفي أحيّانٍ أقيم داخله، والوظيفة الأساسية للكتاب كانت تعليم الأحداث القراءة والكتابة وتلقينهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف(١).

وكان تعليم الصبيان لا يتم إلاّ بإشراف علماء ومشايخ متمكنين، ومثل هذا العمل كان يتم في مقابل أجرة(٢)، وأمر تقاضي الأجرة اختلف بخصوصه العلماء، فهناك من رفض تقديم الأجرة، ومنهم من أباح ذلك(٣)،غير أنَّ الإباحة رُبطت بعدة شروط، أهمها أن تكون نية المؤدِّب أو المعلّم من وراء عمله في تدريس الصبيان، هي التقرب إلى الله عزوجل(٤)، وأن لا تكون غايته دنيوية كحب المال، وأن لا يكون للمال دخل في تحديد طريقة تعامل المؤدب مع الصبيان، كأن يميل المعلّم لمن يدفع له أكثر، ويُهمل في متابعة وتعليم من لا طاقة لهم على دفع الكثير من المال (٥). في فترة موضوع الدراسة، عمل الكثير من المتصوِّفة في تدريس الصبيان، إلاّ أنّهم لم يتقاضوا أجرًا مقابل ذلك، ومن كان يتقاضى أجرا لقاء ذلك كان ينفعه على تلامذته من الفقراء والمساكين، وعلى المعوزين من الناس (٦)، وغالبا ما كان

---

(١) محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تقديم وتحقيق محمد عبد الموني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ط، ص ٨٨.

(٢) محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق: ص ص ٢١٧، ٢١٨.

(٣) محمد صالح الجوة: المرجع السابق، ص : ١٨٥.

(٤) ابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى: نشر الأب بولس نويا السيوعي، المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان، ١٩٥٧، ص٨٣.

(٥) نفسه ص٨٤.

(٦) التادلي مصدر سابق ص٨٨.

الفقر والحاجة هما من يدفع ببعض العلماء إلى القعود لتدريس الصبيان أملاً منهم في أن يكون الأجر الذي يحصلون عليه ضمانا لهم ولأسرهم، ويجنبهم حرج السؤال (١). وللتدريس اختار بعض المتصوفة بيوتهم لتكون مقراً لاستقبال الأطفال، لإدراكهم أن نشر العلم أمر مهم (٢)، فأبي مدين شعيب رأى أنّه" من تعلّم العلم ليعلّم به الناس أعطاه الله- فهما يعرف به" (3)، وجلس بعض العلماء والفقهاء للتدريس في حوانيتهم، وهذه الحوانيت كانت مخصصة لبيع الكتب، وأصبحت فيما بعد دُور للثقافة ونشر العلم، ومثل هذه الحوانيت ظهر في عهد العباسيين، وانتشرت فيما بعد في باقي العواصم الإسلامية(٤)، ويذكر السقطي أنّه على المعلمين أن يكونوا في الشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت(٥).

وقد عمل المؤدبون على تلقين طلابهم دروسا في مختلف الميادين، فكانوا يدرسون القرآن الكريم والحديث وما نجم عنهما من العلوم، مثل التفسير، والقراءات والفقه، والكلام، والعلوم العقلية، والفلسفة، والهندسة والرياضيات (٦)، وهذه الطريقة في التدريس أنجبت الكثير من العلماء الذين سُجِّلت أسماؤهم بأحرف من ذهب في سجِّل التاريخ، ودرست مصنَّفاتهم في أرقى الجامعات عبر العالم، ومنهم الفيلسوف ابن طفيل، وابن رشد الحفيد، ابن زهر وآخرون كُثُر.

أمَّا المدرسة فقد جاءت فيما بعد فقد أصبحت مؤسسة تربوية مستقلة عن المسجد غير أنَّها كانت خاضعة لسلطة الدولة، وأول ما ظهرت مثل هذه المؤسسات بالعالم الإسلامي كان في المشرق، وبالتحديد في مدينة نيسابوري، وذلك بعد القرن ٤هـ/١١م، وتُعد المدرسة البيهقية

(١) ابن الزبير الصلة، القسم ٥ ،ص ٣٠١.
(٢) الصدفي ،المصدر السابق ص٧٦.
(٣). أبو مدين شعيب، رسالة في التصوف، م م المكتبة الوطنية الجزائر، رقم ٥٠٠٩، ورقة ٢١.
(٤) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ١٥٨.
(٥) كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي دار الفكر اللبناني، بيروت، د ت ط ، ص ١٧.
(6) Abd Ahhah Mohamed B Abi Mohammed Assakati : un manual hispanique du hisba , libraries Ernest leroux Paris, p 28
(7) محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق ص ٢٢٤.

التي شيّدها أبو بكر البيهقي (ت ٤٠٨هـ/ ١٠٦٦م) [1]، أوّل مدرسة في بلاد المسلمين، وبعدها أنشئت الكثير من المدارس في بغداد العباسية [2]، ومن ثمَّ انتقل إنشاء هذه المؤسسات إلى الإسكندرية المصرية، لتعُمَّ بعدها باقي الحواضر المصرية[3]، وفي غضون قرن من الزمن انتقلت مثل هذه المنشآت إلى بلاد المغرب، بعدها إلى الأندلس التي عرفت بكثرة الكتاتيب بها قبل ظهور المدارس، وانتشارها فيما بعد[4]، وهناك من يُرجع السبب في ظهور نظام المدارس في الإسلام كمؤسسة علمية تربوية قائمة بذاتها، إلى رغبة الدارسين في تلقي مختلف العلوم على نحو أكثر عمقا على أيدي شيوخ العصر [5].

-ظهرت المدارس ببلاد المغرب أيام حكم الموحدين، لكن هناك من يذكر أنَّ، بناء مثل هذه المؤسسات بالبلاد لم يكن معروفا في أيامهم، وأن بناءها عُرف في أيَّام من خلفوهم من دول كالحفصيين والمرنيين والزيانيين، ومنهم ابن مرزوق الذي يقول:" قد قدّمنا أن أنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأها مولانا المجاهد،الملك العابد- مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس، وبعدوة القرويين منها [6] وهو هنا يقصد أحد السلاطين المرينيين الذين عاش في بلاطهم.

---

(1) أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية: دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩١، ص ٣٢.

(2) عما د عبد السلام رؤوف: المرجع السابق، ص ٤٤، وما بعدها.

أحمد عبد الرزاق: نفسه، ص ٣٢.

(3) أحمد عبد الرزاق :نفسه ص٣٢.

(4) عبد العزيز محمود لعرج: المدارس الإسلامية في العصور الوسطى، دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، مجلة الدراسات الإنسانية، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية ع١، السنة ٢٠٠١، ص ١١٨.

(5) بوطارن مبارك: العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير، إشراف السيد عبد العزيز سالم علي محمود المليجي، قسم التاريخ والآثار المصرية، جامعة الإسكندرية ١٩٩١، ص ١٧٧.

(6) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص ٤٠٥.

غير أنَّ ما حصل في بلاد المغرب والأندلس عند قيام دولة الموحدين من دفع جديد وخاصة في المجال الفكري يفند ذلك، فخلفاء الموحدين كانوا من المهتمين كثيراً بالعلم ورجاله، حيث بعثوا في طلبهم من شتى الأمصار، وكانت حاشية، الخلفاء من العلماء، وحتى هم أنفسهم كانوا على قدر كبير من التعلُّم وسنَّ أوَّل خليفة لهم - عبد المؤمن بن علي - سُنَّة التعليم الإجباري المفروض على كلّ مكلَّف من الرجال والنساء[١]، وأنشأ باقي الخلفاء المؤسسات التعليمية، وأجزلوا العطاء للعلماء، ويَذْكُر ابن أبي زرع أن المنصور:" حصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس، وبنى المارستان وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبتهم وطبقاتهم" [٢].

إنَّ أوّل مدرسة أنشأت أيام الموحدين هي تلك التي أنشأها عبد المؤمن بن علي بمراكش لصغار الطلبة، وكانت هذه المدرسة تضم نحو ثلاث ألف طالب من سن واحدة [٣]، وكانت هذه الأخيرة مخصصة لتخريج رجال السياسة وقادة الجيش الحواضر الموحدية والأسطول، عمل عبد المؤمن على جلب الطلبة إليها من شتى الحواضر الموحدية، كإشبيليا، قرطبة، فاس، وتلمسان، وأثناء تواجدهم بالمدرسة اعتكفوا على حفظ القرآن والحديث الشريف وتآليف المهدي بن تومرت، وهؤلاء الطلبة يجتمعون عند عبد المؤمن كلّ يوم جمعة، بعد صلاة الجمعة في قصره، وكان هو من يشرف عليهم ويعمل على تشجيعهم، وفي باقي الأيام يتدرَّبون على فنون الحرب وذلك في بحيرة أنشأها هذا الخليفة خصِّصا لهذا الغرض، وهي على مقربة من قصره في المنتزه، ومن الكتب التي كان عبد المؤمن يشجع على قراءتها تلك التي تتحدث عن المغامرات والفروسية[٤]. وقد وُجدت أنواع مختلفة من المدارس ، فمنها ما كان مخصَّصا لتدريس أبناء الطبقات الخاصة، وللتدريس بها اختير أفضل الأساتذة، ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)[٥]، بالإضافة إلى ما أنشأه عبد المؤمن من مدارس قام خلفاؤه بإنشاء الكثير منها.

---

(1) علي عبد الله علام: المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٣.

(3) مجهول: الحلل الموشيه، ص١٥١.

(4) أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٤٥.

(5) محمد صالح الجوة: المرجع السابق.

بعد عبد المؤمن، قام المنصور بإنشاء العديد من المدارس منها مدرسة سلا [1]، ومدرسة أخرى أنشأها وحبسها على أبي العباس السبتي مع دار للسكنى [2]، كما أنشأ مدرسة خاصة بأبنائه، وباقي أفراد أسرته، وهذه المدرسة كانت ملحقة بالقصر، فيذكر الوزّان، أنها -أي المدرسة-" كانت قاعدة مربعة غاية في الحسنى يحيط بها الثمر، مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملوّن وحول القاعة خزانات كثيرة [3]، وأنشأ أخرى بمراكش العتيقة، استقبلت النبهاء من الطلبة، وتعد هذه المدرسة من أفخم المدارس، حيث كانت مزخرفة بالفسيفساء البديعة، وحيث لا يوجد فسيفساء،تُغطّى الجدران الداخلية بزليج من الطين المشوي اللماع المقطّع على شكل أوراق رقيقة، أو بموارد أخرى بدل الفسيفساء، وذلك على الأخص في قاعة الدروس والممرات المسوقة وبناء المدرسة مكشوف كله، ومفروش بالزليج اللماع كالذي يستعمل في الأندلس [4]، وفي وسط المدرسة فسيقة منحوتة من الزمرد الأبيض في غاية الجمال، لكنها منخفضة على عدة الأفارقة [5].

أمَّا الناصر فقد قام ببناء ما يقارب عشرون مدرسة، وفي إفريقية الحفصية انشأ أبو زكريا الحفصي (٦٢٤هـ/ ٦٤٧هـ) (١٢٢٧م/١٢٤٩م) قصبة عند استقلاله بالبلاد، عُرفت باسم قصبة الموحدين، وشيد فيها جامعا ومدرسة عرفت باسم المدرسة الشمَّاعية وهذه المدرسة كانت مخصصة لتدريس مذهب التوحيد، وتعاليم مهدي الموحدين محمد بن تومرت وكان ذلك سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)[6]، وبعدها بُنيت الكثير من المدارس في البلاد، وقام المرنيون أيضا ببناء الكثير من المدارس في المغرب الأقصى في آيامهم [7].

---

(1) السلاوي المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٨.

(2) أبو العباس المراكشي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩، Emile sesmenghen, vie de saints musulmans, éditions aujourd'hui, plan de la tour (var), p : 376

(3) حسن الوزان: المصدر السابق، ج١، ص١٣٣.

(4) نفسه، ص١٣٢.

(5) نفسه: ص١٣٣.

(6) لعرج محمود عبد العزيز، المرجع السابق، ص١١٩.

(7) محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص ١٦٤.

أمّا أوّل مدرسة خصوصية أنشأت ببلاد المغرب فكانت أيام الموحدين، وكان ذلك على يد العالم السبتي على بن محمد الساري، وكان إنشاؤها على النموذج الشرقي في مدينة سلا، وأوقف عليها صاحبها كلّ ما يحتاج إليه الطلبة من كتب [١]، وفي الأندلس فإن غرناطة شهدت سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م تشيد مدرسة ضخمة على يد يوسف أبو الحجّاج، سابع حكام بني نصر، وقبلها لم يكن بالأندلس مدارس، فالمسجد في تلك الفترة كان مركزًا يجتمع إليه الناس للعبادة وطلب العلم معًا.

إن أغلب المدارس التي أنشأها الموحدون قد اندثرت، ومن المحتمل أن يكون المرينيون أقدموا على تهديمها وإقامة مدارس تحمل أسماءهم وطابعه الخاص لهم، بدل تلك التي كانت للموحدين [٢].

- والمدرسة أحيانا كانت تتكون من طابقين، وفي وسطها صحن مكشوف، فيه حوض ماء، وغالبا ما كانت المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها، ووجدت أيضا المدارس المستقلة عنها، وبالمدرسة وجدت قاعة كبيرة مخصَّصة للدرس [٣]، وأحيانا كانت المدارس تتضمن ما يحتاج إليه الطلبة[٤].

المستشفيات :

كانت المستشفيات تعرف بالبيمارستانات، وكلمة بيمارستان فارسية الأصل مكونة من شقتين هما: بيمار وتعني عليلا وستان وتعني دار أو مقرا للمرضى، وأول مشفى أنشأت في الإسلام كان عبارة عن خيمة أمر بها الرسول- صلى الله عليه وسلم- لرفيدة الأسلمية في غزوة الخندق لإسعاف الجرحى [٥]، وبعدها أنشأت الكثير من هذه المؤسسات الصحية في عهد الأمويين والعباسيين من بعدهم في العديد من الحواضر الإسلامية[٦].

(١) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص٣٤٦.

(٢) أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص٣٤٧.

(٣) بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٤) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص٤٠١.

(٥) على بن عبد الله الدفاع: رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨، ط١، ص٨٠.

(٦) يوسف فرحات: علماء العرب، تراد مكسيم شركة مساهمة سويسرية، د، ت ط، ص١٩

كانت المستشفيات تنقسم إلى قسمين: الأول يضم المرضى من الرجال والثاني مخصص للنساء، بالإضافة إلى جناح يستقبل المرضى عقليا [١]. في البداية كان أمر إنشاء المستشفيات متوقف على أمر من الخلفاء والولاة، لكن الوضع اختلف فيما بعد إذا أقدم الكثير من الأطباء وغيرهم على إقامة المستشفيات وتجهيزها بكل ما يلزمها لاستقبال المرضى[٢].

وفي بلاد المغرب والأندلس لم يرد ذكر المستشفيات أنشأت طوال فترة حكم المرابطين[٣]، وكانت أول مستشفى هي تلك التي أنشأها المنصور الموحدي في مراكش[٤]، وكان المشفى بديع البناء، وإذ يصفها المراكشي بقوله:" وبنى المنصور بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في

البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه، إحداهما رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصدف والكتان والحرير والأديم وغيره ما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينار في كل من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأنترية والأذهان والأكحال" [٥]، وهذا يبين اهتمام المنصور بإنشاء الأماكن الإستشفائية وعمله على تجهيزها بكل أنواع العلاج وحشد لها مجموعة من الأطباء وذلك للسهر على راحة المرضى [٦]، ويعد هذا المشفى أشهر مشفى عرف في عهد الموحدين ، حتى أن المصادر والمراجع لا تصف من المستشفيات في تلك الفترة سوى هذا المستشفى.

---

(١) سيرتوماس: أرنولد: تراث الإسلام، تر: جرجيس فتح الله، دار الطليعة بيروت، ١٩٧٢، ط٢، ص ٥٠٢.

(٢) زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون، كمال دسوني رابعة مارون عيسى الحوري المرجع السابق، دار صادر، دار الآفاق، بيروت ٢٠٠٠، ط و ص ٧٣٠.

(٣) حسن على حسن: المرجع السبق، ص ٤٠١.

(٤) أحمد عيسى: تاريخ اليمارستان في الإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٣٩، ص ٢٨٠.

(٥)المراكشي: المصدر السابق،

(6) Budget Meakimm the murish empire, swan sonnenscheina a Colin London, 1899, P 81.

الحمامات:

تعد الحمامات من المرافق الحيوية في المدن الإسلامية لارتباطها بالنظافة والتطهر اللذان يدعوا إليها الدين الإسلامي، ولهذا السبب انتشرت الحمامات في كل أنحاء دولة الموحدين في المغرب كما في الأندلس، أما هذه الأخيرة فإن الحمامات وجدت بها قبل قيام دولة المسلمين بها بكثير [1]، وكانت اول الحمامات ظهورا وانتشارا هي الحمامات الرومانية التي اختلفت عن نظيرتها الاسلامية في وظيفتها وتفاصيلها ، فالحمام الروماني يجمع بين وظائف صحية واجتماعية وسياسية وتميزت بالاتساع لاشتمالها على بركة الاستحمام كبيرة وكانت بركة جماعية للإناث و الذكور في وقت واحد ومن حولها مشاجب الثياب ، وهذا يعني أن الحمام لم يكن مكانا مخصصا للنظافة والتطهر فقط، بل كان مكانا للمجون والممارسات الشاذة، ومثل هذه الأمور لم تحدث في الحمامات الإسلامية [2].

والحمامات غالبا ما توجد بالقرب من المساجد، حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر قبل ولوجها للصلاة [3]، وبالإضافة إلى هذا الغرض كانت الحمامات مكان اللقاءات أفراد المجتمع ومرحهم وفيها كانت تقام مجالس الأنس واللهو والغناء فقد كان الذهاب إليها فرصة لتغيير الجو، والتمتع بقسط من الراحة والحرية [4].

تكون الحمام الإسلامي من مدخل يؤدي إلى ثلاث أو أربع قاعات لغرض الاستحمام وكلها مغطاة بقباب وبها ومراحيض ويتدرج كل قاعة دفئا وحرارة ففي البيت البارد يخلع المستحم ثيابه ثم يدخل إلى البيت الوسطاني الدافئ ومنه يولج إلى الحجرة الحارة، وبالحمام خادم يعرف بالحكاك أو المساد يقوم على خدمة رواد الحمام، وخصصت بعض الحمامات للرجال، وأخرى للنساء، أو حددت أوقات مختلفة لهما، ولاعتبار الحمامات من المرافق العامة فقد كانت ملكا للدولة أو تابعة للمسجد[5].

---

(1) ارنس كونل: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(2) عبد الفتاح رواس قلعة جي: المرجع السابق، ص٦٤.

(3) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص ٢١٠.

(4) نفسه: ص ٢٠٩.

(5) محمد عبد الله الحماد: التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية، من الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦، ط١، ص ١٦٠.

وكانت قاعات الحمام موصولة فيما بينها عن طريق فتحات وأبواب، وكانت كلها تتخذ شكلا مستطيلا أو مربعًا، ويؤدي المدخل إلى ردهة صغيرة في شكل موقف يليه حجرة ضيقة ومستطيلة تعلوها قبوة نصف اسطوانية، بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين، ويفصلهما عن بقية القاعات عقدان يستندان فيها على عمود مركزي وتعرف هذه القاعة باسم البيت البارد، ومصطلحها القديم le fidarium في الحمامات الرومانية، وكان المستحمون يجعلون فيها ثيابهم عند دخول الحمام ويلبسونها عند خروجهم منه [1]، ووجد في الحمامات غرفة عرفت ببيت المستراح، يستريح فيها المستحمون قبل الخروج من الحمام، ويلي القاعة الباردة قاعة تعرف بالبيت الوسطاني، وهي قاعة أكثر اتساعا من القاعة السابقة وتعد أهم أجزاء الحمام، ويتوسط هذه القاعة فراغ مركزي مربع يعلوه قبة ويحيط به أربعة ممرات تحملها عقود قائمة على أعمدة، وجميع هذه القنوات الجانبية والقبة الوسطى تتخللها فتحات نجمية الشكل، تغلف بقطع زجاجية تسمى مضاوي لإدخال الضوء، وتتبع هذه القاعة قاعة أخرى تعرف بالبيت الساخن، وهي غرفة مستطيلة ضيقةتشبه الغرفة الأولى ولها نفس نظامها [2]، وفي منتهى الغرفة موقد كبير يسمى القدر أو البرمة أو الفرشى، ومن هذا القدر تخرج أنابيب الماء الساخن البارد، وتدخل في الأحواض لتصب فيها، والملاحظ أن درجة الحرارة ترتفع في الحمام بالتدريج من البيت البارد إلى البيت الساخن، وعند انتهاء المستحم من حمامه تعرض بالتدرج لهواء أقل حرارة من الهواء الداخلي الساخن[3]. وأرضية الحمام كانت تكسي عادة بالفسيفساء، أوبلوحات الرخام، كثيرًا ما كانت التماثيل الرومانية أحد العناصر المزينة للحمامات [4].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، نفسه ص ١١٢.

(2) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس، ص ٢١٢.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الأندلس، ص١١٢.

(٤) نفسه: ص١١٣.

بالإضافة إلى الحكاك عمل بالحمامات الحجا مون والسقاءون الذين يحملون الماء على ظهورهم من القاعات إلى الحمام، وقد تصل المياه رأسا إلى الحمامات من قنوات في جوف الأرض تتفرغ منها أنابيب إلى المباني المختلفة(1).

في عهد الموحدين اهتم الخلفاء ببناء الحمامات كثيراً ففي فترة حكم الناصر انشأ ما يقرب ثلاث وتسعين وثلاثمائة حمام (2)، ويذكر ابن غازي أنه كان بمدينة فاس على أيام الموحدين:" ثلاث حمامات البالي، الجديد والصغير وهي باقية لهذا العهد وكان أحدث فيها يحيي عنصالبة المهاجر المعروف بابن أخت الفنش في العشرة الثانية من القرن السابع حمامًا كبيرًا محكما فجاء في غاية الإتقان" (3)، وأما مدينة فاس فكان بها ثلاثا وسبعين حمامًا، منها حمامات خصصت لعلية القوم فقط (4)، وهناك من يذكر أن عدد الحمامات بنفس المدينة وصل إلى ثمانين حمامًا عامًا بالإضافة إلى العديد من الحمامات الخاصة(٥)، أما بالأندلس فإن الحمامات كانت كثيرة بها من قبل دخول الموحدين إليها،فكانت منتشرة في جل مدنها وقراها، و بها العام والخاص أيضا، واعتبرت الحمامات من بين المرافق العامة، وكانت في الغالب ملكا للدولة، أو تابعة للمساجد والهيئات العامة (٦).وقد كان المحتسب دور كبير في تحديد أماكن إقامة الحمامات ،وكذلك له الحق في تحديد روادها رجالا أو نساءا وفترات دخولهم.

---

(١) نفسه: ص١١٣.

(٢) حسن علي حسن المرجع السابق: ص ٤٠٣.

(٣) ابن غازي: المصدر السابق، ص ٣٢.

(٤) جمال أحمد طه: مدينة فاس ص ١٧٣.

(5) Roger le tourneau : les avant le protectorat, société marocaine le librairie et d'édition, Casablanca, 1949, tome XIV p : 495.

(6) جوزيف ماك كيب: مدينة المسلمين في اسبانيا، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف، الرباط، ط٢، ١٩٨٥، ص ٥٢.

الفنـادق:

عرفت الفنادق في المشرق الإسلامي باسم الخانات، ولقد كان الفندق معروفا في بلاد المغرب الإسلامي ، يطلقه أهلها على المنامات التي تأوي المسافرين ودوابهم، وكل مستلزماتهم[١]،وكانت الفنادق عادة ما تتكون من طبقة أرضية مخصصة لإيواء الحيوانات والبضائع وما شابه ذلك، أما الطبقة العلوية أستخدمت في استقبال المسافرين [٢] ، وارتبط بناء الفنادق وتوفرها على وسائل الراحة والأمان تعد من أهم العوامل التي تجلب التجار، من مختلف الأقطار بغرض العمل بالمنطقة، [٣] وهذا يساهم في تطور اقتصاد المنطقة.

أما في الأندلس فقد تأخر المسلمون بنظام الفندق الذي كان شائعا عند اليونان باسم Agra، وعند الرومان باسم Horrea، فاستخدموا هذا البناء في مدنهم، وكان الفندق يعرف باسم ما يباع فيه من سلع، سواء كانت حبوب القمح وغيره، أو خضروات أو فواكه وحتى قراميد، كما عرفت الفنادق أيضا بأسماء أصحابها [٤].

اهتم الخلفاء الموحدون بإنشاء الفنادق، فالمنصور قام بإنشاء العديد من الأسواق والفنادق التي قصدها التجار من كل ناحية [5]، وأنشأ قبله يوسف بن عبد المؤمن الكثير منها، بمدينة رباط الفتح،[6]، وفي عهد الناصر بلغ عدد الفنادق التي انشئت للتجار حوالي سبع وستين وأربعمائة فندق [7]، وهذا العدد الكبير تسانده كتب النوازل الفقهية التي تشير إلى كثرة الفنادق،في الحواضر المغربية[8]، وفي الأندلس أيضا وجدت الكثير من الفنادق، ففي مدينة ألمرية وحدها وجد ما يقرب من تسع مئة وسبعين فندقا في القرن السادس للهجرة-الثاني عشر للميلاد [9].

---

(1) حسن علي حسن المرجع السابق، ص ٤٠٣.

(2) عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، دار صادر بيروت لبنان، ١٩٨٨. ص ٣٠٦.

(3) إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي، ص ١٠٧.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٠٧.

(5) أبو العباس المراكشي: المصدر السابق، ج١، ص٦٤

(6) نفسه، ج١، ص ١٨٩.

(7) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ٤٠٤.

(8) الونشريسي: المصدر السابق، ج٦، ص ٤٢٦.

(9) السيد عبد العزيز سالم نفسه، ص ٢١٦.

-ولم تكن الفنادق أماكن إقامة مؤقتة فقط، بل وجد الكثير ممن اتخذوا من الفنادق مكانا لاستقرارهم، ولإقامتهم الدائمة، ومنهم المتصوف المعروف ابن العباس لسبتي، الذي كان يسكن بأحد الفنادق بمدينة مراكش [1].

القناطر:

تعد القناطر أهم وسيلة اتصال شريط بين ضفة وأخرى، وبين مرتفعين تفصل بينهما فجوة عميقة، ومن القناطر ماهو ثابت، وما هو متحرك، والقناطر الثابتة هي الأكثر انتشارًا، وقد تركت الأنظمة السابقة كالقوط بالأندلس، والساسانيين بإيران والعراق عددًا من هذه القناطر التي رممت في العصر الإسلامي [2]، وأنشأ الكثير منها فيما بعد.اهتم ولاة الأمر في الدولة الموحدية بإنشاء مثل هذه الجسور، وذلك لربط المناطق ببعضها، وتسهيل أمور الرعية، من تنقلات وقضاء حاجاتهم وكذلك استغلال مياه الأنهار في ري الأراضي الزراعية [3]، أما في الأندلس فإن طبيعتها وكثرة الأنهار بها يوجب على الأمراء الاهتمام بإنشاء القناطر بها [4].

ومن القناطر التي أنشأت بالمغرب قنطرة تانسيف التي تصل المغرب بجنوبه عبر مراكش، وهذه القنطرة من إنشاء المرابطين، سميت كذلك نسبة لنهر ناسيفت [5]، لكن هذه القنطرة تهدمت مع الوقت بتأثير العوامل الطبيعية وأعاد الموحدون بناءها، وأقام عبد المؤمن قنطرة بين المهدية وسلا إلا أنها تهدمت خلال فترة وجيزة [6]، وكان المنصور من أكثر الخلفاء الموحدين المهتمين ببناء القناطر فبنى الصوامع والقناطر لجلب الماء في البرية واتخذ عليها المنازل [7]، وفي الأندلس أقام أبو يعقوب يوسف قنطرة اشبيليا سنة(٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) لإنجاز مصالح الناس، وأجازه الجند عليها، وتهدمت هذه القنطرة سنة (٦٤٢هـ-١٢٤٦م) عند استرداد المسيحيين لإشبيليا [8].

---

(1) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج، ص ٦١.

(2)إبراهيم حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، في إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٦،

(٣) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٢٤

(٥) إبراهيم حركات: نفسه، ص٢٠.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٧) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٨) السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٢٤.

ملخص:

شهدت منطقة الغرب الإسلامي حركة كبيرة ونشيطة في مجال البناء، والتشييد، بقيام دولة الموحدين وقد شملت حركة البناء والتعمير تنوعا كبيرا إذ أنشا الموحدون الكثير من المدن، وعملوا على تزويدها بكل ما يلزمها من متطلبات لتكون فيها الحياة أسهل ومن اجل ذلك جلبوا الحرفيين المهرة من أقطار عدة ،ومن المدن التي انشأها الموحدون مدنية رباط الفتح ومدنية سلا وغيرهما، كما انشأوا الكثير من الحصون والقلاع وخاصة عند تراجع سلطانهم ببلاد المغرب،أما بالأندلس فقد عرفت مثل هذه المنشآت من قبل أن يطأ المسلمون أرضها ،وقد ادخل الموحدون أنواعا جديدة من التحصينات من اجل الحيطة والحذر.

وفي تلك الفترة انشأ الموحدون الكثير من المنشآت العامة وعلى رأسها المساجد ففي بداية دعوة الموحدين كان المهدي بن تومرت يبني مسجدا في كل مدينة ينزل بها ومن أهم المساجد التي بناها الموحدون نجد مسجد الكتيبة ،مسجد حسان ،مسجد منارة لا خيرال مسجد تينمل وهذا المسجد كان أول المساجد الموحدية .وبالإضافة إلى المساجد انشأوا الكثير من المدارس التي تعد نواة لنشر العلم بين أوساط الناس كما انشأوا الكثير من الحمامات و الفنادق و القناطر و المستشفيات وغيرها من المنشآت.

الخاتمة

خاتمـــــــة:

من خلال دراستي حاولت الالمام بجميع جوانب الحياة الاجتماعية بالغرب الإسلامي في عهد الموحدين،وبفضلها توصلت إلى العديد من النتائج:

لقد كان لقيام دولة الموحدين أثر كبير على توزيع العناصر السكانية بالبلاد،فقبائل صنهاجة تغيرت مناطق تواجدهم إذ خرجوا من المدن ،وحل محلهم قبائل المصامدة التي كان الخلفاء والموحدين منها،كما أسكن الخلفاء الموحدون قبائلا بربرية ببعض الحواضر الأندلسية، وبعد أن كانت أغلب القبائل العربية مستقرة بشرق المغرب الأقصى انتشرت وتوزعت في عصر الموحدين على أراضي المغرب الإسلامي وعلى الرغم في أن هذه العناصر اشتهرت بإثارتها للشغب والفوضى، إلا أن أفرادها كانوا عنصرا فعالا في جيش الموحدين وساعدوه كثيرا في مواجهاته مع النصارى بالأندلس.

أمّا بالنسبة لأهل الذمة فمن خلال هذه الدراسة يتضح أنّ حالة اليهود والنصارى بالبلاد في عهد الموحدين لم تكن بتلك الصورة الشنيعة التي تناقلتها المصنّفات التاريخية،حيث عاش الكثير منهم في كنف دولة الموحدين في جو من التسامح والتعايش،وهذا ما تثبته المراسلات التي كانت بين بعض الخلفاء ورجال الدّين المسيحي ،والمعاهدات الاقتصادية الكثيرة.

استحدث الموحدون طبقة جديدة من أجل تقليص نفوذ الفقهاء والعلماء في دولتهم،وهذه الطبقة تمثلت في طبقة الطلبة الذين اشتغلوا بمذهب المهدي ،وكان لهذه الطبقة مكانة رفيعة،وعند استقرار دولة الموحدين استرجع الفقهاء والعلماء والقضاة مكانتهم عند الخلفاء الموحدين،الذين عملوا على جلب هؤلاء من شتّى الحواضر.

لقد عانت طبقة العامة من التهميش والازدراء كما كانت الأزمات أشدّ عليهم من سواهم، وظهر بيهم المتسوّلون ،الذين كثروا في تلك الفترة،وراحوا يتحايلون على النّاس ولاستجداء عطفهم،والحصول على القليل من أموالهم و وُجد في تلك الفترة الكثير من النّاس اللذين احترفوا التسوّل،وذلك رغم قدرتهم على العمل.

كان الزواج القبلي والعائلي هو السائد في تلك الفترة،ولم يكن أمر اختيار الزوج متعلقا بالمرأة فقط،بل كان أمرا عائليا يشاور فيه ال؟أهل والأقارب، ومع ذلك فإن المرأة كانت تضع شروطا على الزوج قبل الارتباط،وكان المهر في تلك الفترة سببا للتباهي بين

النّاس،كما أثقل كاهل الأولياء مصاريف تجهيز بناتهن وقد انتشر في تلك الفترة ظاهرة تجهيز بعض المتصوّفة للفقراء واليتامى من الفتيات.

وقد انتشر الزواج المبّكر، والذي لم يخل من المشاكل ،كما أوضحت العقود أن حقوق المرأة المادية والأدبية كانت محفوظة ،كما أوضحت الدراسة أنّ حفلات الأعراس لم تكن تخل من مظاهر البذخ ،وحتى اللهو المباح وغير المباح منه، حتى أنّ الفقهاء أفتوا بعدم الذهاب لبعض الأعراس.

من خلال هذه الدراسة يتضح لنا أنّ الأطعمة في بداية دولة الموحدين كانت بسيطة ،لكنّها لم تبق كذلك لفترة طويلة،فبإحتكاك المغاربة بالأندلسيين تنوعت الأطعمة وتعقدّت أساليب إعدادها، وكثرت مستلزماتها ،ومنذ تلك الفترة كانت بعض أنواع الحلويات تُباع في الأسواق ،كما وجدت بعض أنواع الأطعمة الخاصة بفئة من فئات المجتمع،ومنها الأطباق اليهودية ،وغالى بعض المتصوّفة في تقشفهم وزهدهم ،حتى لم تتعد أطعمتهم سوى بعض نباتات الأرض والأخباز.

وبيّنت الدراسة نوعية الألبسة التي كانت متدوالة آنذاك،فمع أنّ المهدي بن تومرت و عبد المؤمن بعده لبسوا البسيط منها ونادوا بذلك،إلاّ أنّه فيما بعد وعند استقرار أحوال الدولة لبس الخلفاء والخاصة من النّاس الغالي والنفيس منها، كما يتبيّن من الدراسة أنّ الألبسة كانت تعبّر عن الفئة وحتى الطبقة التي ينتمي إليها صاحبها ،وكذلك توضح أنّ النسوة هن من يجتهدن في لبس الغالي والأنيق من الثياب، حتى لو استدعى ذلك أن يستعيروا من بعضهن البعض، وخاصة في الحفلات والأعراس، قصد التفاخر والتباهي.

وأوضحت الدراسة الدور الكبير والبارز الذي لعبه المتصوفة في الحياة الاجتماعية بالغرب الإسلامي،فقد كان الكثير من النّاس الخاصة منهم والعوام يقصدونهم ليحلّوا لهم مشاكلهم،بالنصح والدعاء ،وكذلك للاستشفاء ،حيث كان للمتصوفة طرقهم في علاج الناس ،وحتى بعد وفاتهم ،كانت أضرحتهم يُتخذ منها مزارا للتبرك والدعاء.

انتشرت في تلك الفترة العديد من الأوبئة والأمراض، التي كانت تحصد أرواح الكثيرين،وخاصة العامة من الناس،وقد عمل الخلفاء الموحدون على توفير وسائل العلاج ،فابتنوا المستشفيات ،وجهزوها بكلّ ما يلزمها ،إلاّ أنّ غلاء تكاليف العلاج عند الطبيب

جعلت الناس يتجنبون الذهاب إليه ،ويلجؤون إلى العطّارين للأخذ بنصائحهم ،وما يبيعون من أعشاب طبية كثيرة ،ولم يكتفوا بهذا حيث قصدوا بعض السحرة من أجل العلاج دائما.

وتبيّن الدراسة أيضا، الفضل الكبير للأندلسيين على إزدهار الدولة الموحدية،فهذه الدولة أقامت الكثير الكثير من المنشأت العمرانية ،وغالبا ما كان ذلك يتم بأيدي أندلسية ،وذلك لكثرة العرفاء والخبراء بها ،ولإتقانهم لأعمالهم وتفننهم فيها، لكن هذا لا ينفي وجود بعض الخبراء المغاربة الذين أجادوا ما كانوا يعملون .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المخطوطات:

١- البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي(ت٨٤١ هـ/١٤٣٨ م)جامع مسائل البرزلي، ج١،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية،تحت رقم .١٥٦٠

٢- التنبكتي(أبو العباس أحمد بابا)،ت(١٠٣٦هـ/١٦٢٠م):نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المطبعة الجديدة بفاس مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم .٣٤٠

٣- الزهراوي :كتاب الجغرافيا وما ذكرت الحكما فيها من العمارة وما في كل جرو ومن الغرايب والعجايب،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم :م م :.٥٠٥٠

٤- الصباغ:أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي:بستان الأزهار في مناقب الأخبار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار أبو يعزى سيدي موسى،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم .١٧٠٧

٥- الشطيبي:الحاج محمد بن علي محمد :الجمان في مختصر أخبار الزمان،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم .١٥٧٥

٦- الهواري(علي بن أبي القاسم)مناقب أبي العباس السبتي ،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية،تحت رقم :.٢٥٩٧

٧- بن ذرفة مصطفى:الرحلة القمرية من السيرة المحمدية،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم :.٢٥٩٧

٨- أبو راس المعسكري محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي (ت١٢٣٨هـ/١٨٢٢م):عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم :.١٦٣٢

٩- مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم ١٥٦٠.

١٠- أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري(ت٥٩٤هـ/١١٩٨ م)رسالة في التصوف ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم .٥٠٠٩

١١- مجهول:السيرة الشامية،ج٤،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم :.١٦٣٠

١٢- ابن قزمان محمدبن أبي بكر بن القطان:ديوان شعر،مخطوط بالمكتبة اللوطنية الجزائرية تحت رقم ٣١٧١٧.

المصادر المطبوعة:

١٣- القرآن الكريم برواية حفص

١٤- ابن الآبار(محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي ت٦٥٨ هـ/١٢٦٠م)

التكملة لكتاب الصلة،الجزء الأول والثاني،تصحيح عزت العطار الحسيني،مطبعة السعادة،مصر،١٩٥٦.

الحلة السيراء،الجزء الثاني،دار المعارف ،القاهرة،مصر ،١٩٨٦.

المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدفي،دار الكتاب اللبناني ،بيروت١٨٨٥.

المقتضب من تحفة القادم،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري ،القاهرة،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط٣،١٩٨٩م.

١٦- ابن الأثير(علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

الكامل في التاريخ،مج٢،مج٩،راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ،دار الكتب العلمية،لبنان،١٩٩٨م.

١٧- ابن الأحمر(أبو الوليد اسماعيل).

النفحة النسرينية واللمحة المرينية،تحقيق عدنان محمد آل طعمة ،دار سعد الدين دمشق،.١٩٩٢

١٨- الادريسي(أبو عبد الله محمد بن ادريس(ت ٥٦٠ هـ/١١٦٢ م)

القارة الافريقية وجزيرة الأندلس ،مقتبس من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق اسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،١٩٨٤.

نزهة الشتاق في اختراق الآفاق،ج١،تحقيق محمد حاج صادق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،.١٩٨٣

٢٠- البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي)(ت٨٤١/١٤٣٨م).

جامع مسائل الأحكام لما أنزل من القضايا بالمفتين والأحكام،ج٢ تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان،ط٢ ، .٢٠٠٢

٢١- البكري(أبو عبيد الله)(ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب والأندلس (جزء من المسالك والممالك)مكتبة المثنى ،بغداد، ١٨٥٧.
٢٢- البيذق(أبو بكر علي الصنهاجي ت ق ٦ هـ/ق ١٢ م)
أخبار المهدي بن تومرت ،تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات،الجزائر ط ٢، ١٩٨٦.
٢٣- التليدي (عبد الله عبد القادر):
المطرب بمشاهير أولياء المغرب،دار الأعيان الرباط ،ط ٣ ، ٢٠٠٣.
٢٤- التسني(محمد عبد الله):
تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم االدر والعقيان)،تحقيق محمد بوعياد المكتبة الوطنية ،الجزائر، ١٩٨٥.
٢٥-التنبكتي(أحمد بابات ١٠٣٠ هـ/١٦٢٠م):
كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،ضبطه وعلق عليه أبو يحي عبد الله الكندري،دار أبن جزم،بيروت،ط١ ، ٢٠٠٢.
٢٦ –التيجاني- (محمد عبد الله بن محمد أحمد)ت بعد ٧١٧ هـ/١٣١٩م)
رحلة التيجاني،قدم لها حسن حسني عبد الوهاب،المطبعة الرسمية ،تونس ١٩٥٧.
٢٧- الحكيم (أبي الحسن بن يوسف (ق ٨ هـ/ق ١٣ م):
الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة،تحقيق حسين مؤنس ،دار الشروق، القاهرة،ط٢، ١٩٨٦.
٢٨- الحموي ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي)
معجم البلدان ج٣. دار بيروت للطباعة والنشر .بيروت١٩٨٤
٢٩- الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)ت ٨٦٦ هـ-١٣٨١ م)
الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق احسان عباس،مطابع هيد لبرغ ،بيروت ط٢ ، ١٩٨٤.
٣٠-الجاحظ:
رسائل الجاحظ(فصل السودان على البيضان)،تحقيق عبد السلام بن هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة، ١٩٦٥.
٣١- ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن سعيد السلماني لسان الدين ت ٧٧٦هـ/١٢٩١ م).

الاحاطة في أخبار غرناطة،ج١،ج٢،ج٣،تحقيق محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي ،القاهرة،٢٠٠٣.

الكتيبة الثامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المئة الثامنة ،تحقيق احسان عباس،دار الثقافة ،بيروت،١٩٨٣.

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،دراسة وترجمة محمد كمال شبانة ،نشر المعهد الجامعي الجامعي للبحث العلمي،المغرب،١٩٧٧.
- منفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تحقيق أحمد مختار العبادي ،مراجعة عبد اللعزيز الاهوائي،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،د ت ط .

٣٥-الذهبي (محمد أحمد بن عثمان شمس الدين:ت٧٤٨ هـ/١٣٤٧م).

،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،د ت ط.

٣٦- ابن الزبير أبي جعفر أحمد بن ابراهيم(ت)

صلة الصلة ق ٠٥ ،تحقيق عبد السلام العمرالهراس ،الشيخ سعيد اعراب ،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،الملكة المغربية ،.١٩٩٥

٣٧- الزجالي(أبو يحي)أمثال العوام في الأندلس مستتخرجة من كتابة في الاوام وبلوغ المرام في نكت الخواص والعوام،تحقيق محمد بن شريفة ،مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية،فاس ،المغرب،.١٩٧١

٣٨- الزركشي:أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن لؤلؤ(ت بعد ٩٣٢هـ/بعد ١٤٤٧م)

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تحقيق وتعليق محمد ماضور،المكتبة العتيقة ،تونس ،ط٢، .١٩٦٦

٣٩- الزهري(أبو عبد الله محمد):

كتاب الجغرافيا،تحقيق محمد حاج صادق،المعهد الفرنسي ،دمشق .١٩٦٨

٤٠- ابن الزيات(التادلي أبو يعقوب التادلي(ت٦٢٨ هـ/١٦٢٦م)

التشوف إلى رجال التصوف،اعتني بتصحيحه ادولف فور،مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية،الرباط،.١٩٥٨

٤١- السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد الناصري شهاب الدين (١٢٥٠-١٣١٥هـ /١٨٣٤/١٨٩٧م

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج٣،تحقيق جعفر الناصري ،منشورات ،وزراة الثقافة والاتصال ،المغرب ،.٢٠٠١

٤٢- السلفي(أبو طاهر أحمد بن محمد ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م)

أخبار وتراجم مستخرجة من معجم السلفي،أعدها وحققها احسان عباس،دار الثقافة ،بيروت ،ط١٩٦٣،١.

٤٣- السهروردي عبد القادر بن عبد الله.

عوارف المعارف،دار الكتاب العربيبيروت،لبنان،ط١، .١٩٦٦

٤٤- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م)

الرحمة في طب والحكمة مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت،لبنان د ت ط.

نزهة الجلساء في اشعار النساء ،تحقيق صلاح الدين المنجد،دار المعارف للطباعة والنشر.

طبقات الحفاظ،تحقيق علي محمد عمر،مطبعة الاستقلال الكبرى،بيروت ،ط١، ١٩٧٣

٤٧- الششتري:أبي الحسن(ت ق٧ هـ):

أبي الحسن شاعر الصوفية الكبير في الاندلس والمغرب،تحقيق علي سامي النشارة ،ط١ ،.١٩٦٠

٤٨-ابن صاحب الصلاة عبد الملك،(ت٥٩٤هـ/١١٩٨م)

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين لمن جعلهم الله ظائمة وجعلهم الوارثين ،تحقيق عبد الهادي التازي،دار الأندلس للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،ط١، .١٩٦٤

٤٩- الصفدي:طاهر(تق ٦ هـ/ق ١٢ م)

السر المصون في ما اكرم به المخلصون ،تحقيق حليمة فرحات،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،ط ، ١٩٨٨

٥٠- الاصفهاني :عماد الدين محمد (ت٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)

جريدة القصر وجريدة العصر،تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحي،الدار التونسية للنشر١٩٦٦ م .

٥١- ابن أبي صبيعة :موفق الدين أبو العباس أحمد(ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م

عيون الأنباء في طبقات الاطباء ،ج٣،شرح وتحقيق نزار رضا ،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،.١٩٦٥

٥٢- الضبي:أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة(ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م)

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تحقيق روجيه عبد الرحمن السوسيفي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،.١٩٩٧

٥٣-الطرطوشي أبو بكر

الحوادث والبدع،تحقيق عبد المجيد زكي،دار الغرب الاسلامي،ط١، ١٩٩٠ بيروت، لبنان.

٥٤ -العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد(ت بعد ٦٨٨ هـ/ ١٢٩٨م)

رحلة العبدري،تحقيق أحمد بن جدر،كلية الآداب،مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر،د ت ط.

٥٥- العمري ت(٧٤٨ هـ/١٣٤٧م):

وصف افريقيا والمغرب والأندلس،نشره وعلق عليه حسن حسني عبد الوهاب،مطبعة النهضة،تونس،د ت ط.

٥٦ -الغيرني(أبو العباس أحمد بن محمد،ت٧٠٤هـ/ ١٣١٤ م).

عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار،الشركة الوطنية للنشرو التوزيع،الجزائر ،.١٩٧٠

٥٧- الغرناطي:أبو حامد:

تحفة الالباب ونخبة الاعجاب،تحقيق اسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر.١٩٨٩

٥٨- الغزالي:أبو حامد ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م).

المنقذ من الظلال ،تحقيق عبد الكريم المراق،الدار التونسية للنشر،الجزائر،.١٩٨٤

٥٩- أبو الفداء (اسماعيل بن علي بن محمود.(ت ٧٠٤ هـ/ م)

المختصر في أخبار البشر،مج١، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،.١٩٨١

٦٠- ابن القطان:أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي(ت ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م).

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،تحقيق علي مكي ،المطبعة المهدية،تطوان ،المغرب،د ت ط.

٦١- القزويني :زكريا بن محمد بن محمود:

آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر ،بيروت،.١٩٦٩

٦٢- القلقشندي:أبو العباس أحمد بن علي(ت ١٤١٨/٨٢١م)

صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج١، وزارة الثقافة والارشاد القومي،المؤسسة المصرية ،مصر،د ت ط.

نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، تحقيق ابراهيم الابياري،الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة،.١٩٥٩

٦٤- المراكشي:العباس بن ابراهيم(ت١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)

الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الاعلام،راجعه عبد الوهاب بن منصور أربعة أجزاء،المطبعة الملكية،صدرت ما بيت سنتي ١٩٩٣ و ١٩٩٨م.

٦٥- المراكشي:عبد الواحد بن علي (حي سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م)

المعجب في ذكر أخبار افريقية والمغرب،تحقيق محمد سعيد العريان،مطبعة الاستقامة بالقاهرة،١٩٥٠م.

٦٦- المراكشي محمد بن محمد بن عبد الملك(٦٣٤-٧٠٣هـ/١٢٣٦-١٣٠٣م)

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،تحقيق محمد بن شريفة،السفر الـأول(قسمين)،دار الثقافة،بيروت،لبنان،د ت ط.

السفر الخامس ،القسم الأول،تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،١٩٩٥.

السفر الخامس القسم الثاني،تحقيق احسان عباس،دار الثقافة ،لبنان،د ت ط.

السفر السادس،تحقيق احسان عباس ،الطبعة الأولى ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،.١٩٧٣

٦٧- ابن القيم الجوزية:شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ت ٧٥١ هـ/١٣٥٠م)

أحكام أهل الذمة ،ق١، حققه صبحي الصالح ،مطبعة جامعة دمشق،سوريا ١٩٦١.

- الطب النبوي،تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات العشاء حسونة ،دار الفكر ،بيروت،لبنان،ط١،٢٠٠١

٦٩- المزاري عودة الاغا:طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن ١٩،ج١،تحقيق يحي بوعزيز،دار الغرب الاسلامي ،بيروت، لبنان،ط..١٩٩٠

٧٠- الميلي مبارك:تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج ٢، تقديم وتصحيح محمد الميلي،مكتبة النهضة ،الجزائر،.٢٠٠٤

٧١- أبو الفداء:اسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد(ت٧٣٢ هـ/١٣٣١م).

٧٢- المسعودي:

مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج٣،تنقيح وتصحيح شارل بلا،دار صادر، بيروت، لبنان،.١٩٦٨

٧٣- المقري:أبو العباس أحمد بن محمد بن يحي التلمساني(ت١٠٤٨هـ/١٦٣١م)

أزهار الرياض في أخبار عياض ج٥، ج٢، صندوق التراث الاسلامي المشترك بين اللمملكة المغربية ودول الامارات العربية ،الرباط ،ط١ ،١٩٧٨.

نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب،ج١،ج٢،ج ٥،،دار صادر ،بيروت.

٧٥- النبهاني:يوسف بن اسماعيل(ت١٣٥٠هـ/١٩٣٠م)

جامع كرامات الاولياء،ج٢،تحقيق ومراجعة عطوه عوض ،المكتبة الثقافية ،بيروت،لبنان،١٩٩٥.

٧٦-ابن الوردي :زين الدين عمر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

تاريخ ابن الوردي ،ج٢، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،.١٩٨٣

٧٨- الوزير السراج :محمد بن محمد الاندلسي(ت١١٤٩هـ/١٧٣٨م)

الحلل السندسية في الاخبار التونسية،مج ٢، دار الغرب الاسلامي ،بيروت،ط.١،١٩٨٥

٧٩- لوزان حسن:

وصف افريقيا ،ج٢،ترجمة محمد حجي،محمد الاخصر،دار الغرب الاسلامي،بيروت لبنان،.١٩٨٣

٨٠- الونشريسي:أبو العباس أحمد بن يحي (ت٩١٤ هـ/١٥٠٨م)

المعيار المعرب زوالجامع المطرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب خرجة جماعة من الفقهاء.

٨١- السيوعي (الاب بولس نويا)
الرسائل الصغرى للشيخ ابن عباد الرندي(٧٣٣ هـ/٧٩٢هـ)(١٣٣٢/١٣٩٠م)المطبعة الكاثوليكية،بيروت،لبنان،.١٩٥٧
٨٢- ابن بطوطة:أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
رحلته المسماة ،تحفة النظار في غرائب الامصار،تحقيق محمد عبد الرحيم ،دار الفكر ،بيروت،لبنان،ط.١،٢٠٠٣
٨٣- ابن بسام:أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ج٣،تحقيق مصطفى البدري،منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط١ ،١٩٩٨.
٨٤- بيرم محمد الخامس:
صفوة الاعتبار ومستودع الامصار والاسفار،مج ٢،تحقيق علي بن الطاهر الشنوفي ،رياض الزروقي ،عبد الحفيظ منصور،بيت الحكمة تونس ،ط.٢،١٩٩٤
٨٥-ابن نعري دردي:
النجوم الزاهرة في اخبار مصر القاهرة.قدم له وعلق عليه محمد حسن شمس الدين ندار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٢.
٨٦- ابن تومرت (المهدي ت ٥١٥هـ/١١٧٠م)
أعز ما يطلب ،مطبعة بير برنطان،الجزائر،.١٩٥١
٨٧- ابن حزم (علي بن أحمد الظاهر الحافظ،ت(٤٥٦هـ/١٠٦٣م)
جمهرة انساب العرب،تحقيق محمد هارون،دار المعارف ،مصر،ط٣ ،١٩٧١.
رسائل ابن حزم،ج١،تحقيق احسان عباس ،المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر بيروت،ط١ ،١٩٨٧.
طوق الحمامة في الالفة والالاف،تحقيق صلاح الدين القاسمي ،الدار التونسية للنشر تونس ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،١٩٨٠.
فضائل الاندلس وأهلها ،قدم لها صلاح الدين المنجد،دار الكتاب الجديد،بيروت،ط١ ، ١٩٦٨.
٩١- ابن حمديس(عبد الجبار (ت ٥٢٧ هـ١١٣٢م)

ديوان شعره،تصحيح وتحقيق احسان عباس ،دار صادر بيروت ،لبنان، ١٩٦٠.

٩٢-ابن حوقل :أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)

صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،د ت ط

٩٣- بن خاقان الفتح:

قلائد العقيان،مطبعة العلمية،المحمدية،مصر ، ١٣٦٠هـ ١٣٦٠هـ.د

٩٥- ابن خلدون :أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ج٦، ج٧، مؤسسة الاعلمي ،بيروت ،لبنان، ١٩٧١.

المقدمة /مج٢، تحقيق رجال الكس آن بروفنس، ١٩٨٣

٩٧- ابن خلدون:زكريا يحي بن محمد(ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م)

بغية الرواد في ذكر ملوك من بني علد الواد ،ج١،تحقيق عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ،الجزائر، ١٩٨٠.

٩٨- ابن خلكان :أبو العباس أحمد بن شمس الدين(ت٦٨١هـ١٢٨٢م)

وفيات الاعيان وأنباء الرمان مج ٧ ،مج ٥ ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر بيروت،لبنان،د ت ط.

٩٨-ابن خير الاشبيلي :

الطيب في معرفة النبات ج٢، قدم له محمد العربي الخطابي دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،ط١، د ت ط.

١٠٠- أبو خير الاشبيلي:

كتاب في الفلاحة:المطبعة الجديدة،شارع الطالعة عدد ٦٤ فاس ، ١٣٩٧هـ.

١٠١- ابن دحية:

المطرب من اشعار أهل المغرب،تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد البدوي ،مراجعة طه حسين ،المطبعة الاميرية ،القاهرة ، ١٩٥٤.

١٠٢- ابن أبي دينار،أبو عبد الله محمد القيرواني

المؤنس في اخبار افريقية وتونس ،محمد اللثام،المكتبة العتيقة ،تونس ،ط٣، ١٩٦٣.

١٠٣- ابن رشد الجد:

مسائل أبو الوليد بن رشد ،مج ٢، تحقيق محمد الحبيب الهيلة،دار الجيل ،بيروت،دار الافاق الجديدة،المغرب،ط.٢،١٩٩٣

١٠٤- ابن أبي زرع:ابو عبد الله محمد بن عبد الحليم ت بين ٧١٠ /٧٢٠ هـ١٣١٠ /١٣٢٠م
.

الانس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،طبعة حجرية.

١٠٥- ابن زهر:عبد الملك

التيسير في المداواة والتدبير ،تحقيق محمد بن عبد الله الروداني ،مطبعة فضالة المحمدية،الرباط ،المغرب ،١٩٥٥.

١٠٦- ابن زيدان مولاي عبد الرحمن:

اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس،ج١ ،تقديم عبد الهادي التازي ،ط٢ ، .١٩٩٠

١٠٧- ابن سبعين:أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم(ت ٦٦٩هـ/١٢٧٠م)

رسائل بن سبعين،تحقيق عبد الرحمن بدوي،الدار المصرية للتأليف والترجمة،برن،سويسرا ،.١٩٥٦

١٠٨-إبن سحنون محمد :

كتاب آداب المعلمين،تقديم وتحقيق شارن محمد عبد المولى ،الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ،الجزائر،د ت ط.

١٠٩- ابن سعيد المغربي:

بسط الأرض في الطول والعرض،تحقيق خوان حينيس،معهد مولاي الحسني تطوان،المغرب ، ١٩٥٧.

كتاب الجغرافيا،تحقيق اسماعيل العربي،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان ،ط١ ، ١٩٧٠.

اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط٢، ١٩٨٠.

الغصون ايانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ،تحقيق ابراهيم الابياري ،دار المعارف ،مصر،ط٢، .١٩٦٧

١١٣- ابن سهل:
ديوان ابن سهل،تقديم احسان عباس،دار صادر،بيروت،لبنان،.١٩٦٧
١١٤- ابن عذارى:أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢ هـ/١٣١٢م).
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق احان عباس ،الجزء الرابع ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان ،ط١ ، ١٩٨٣.
البيان الموحدي ،تحقيق محمد ابراهيم الكتاني،محمد زنيبر ،محمد بن تاويت عبد القادر زمامة،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،لبنان،ط١، .١٩٨٥
١١٦- ابن غازي :
الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،المغرب ،ط٣، .١٩٩٩
١١٧-ابن فرحون:
الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب،دراسة وتحقيق مأمون محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،بيروت ،ط١، .١٩٩٦
١١٨- ابن قنفذ القسنطيني:
الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس ،د.ت.ط
انس الفقير وعز الحقير،نشره وصححه محمد الفاس وأدولف نور ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط ،.١٩٦٥
١١٩- مجهول:
الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،دار الرشاد ،الحديثة،الدار البيضاء المغرب .١٩٧٩
١٢٠-مجهول:أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ،مطبعة ربنير،مجريط،.١٨٦٧
١٢١- مجهول:
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد حقية،مطابع جول كوبونل،الجزائر،.١٩٢١
١٢٢- مجهول:

مفاخر البربر،تحقيق محمد يعلي،المجلس الاعلى للأبحاث العلمية ،الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي،مدريد،.١٩٩٦

١٢٣- ابن مرزوق :عبد الله محمد الخطيب(ت٧٨١هـ/١٣٧٩م)

المسند الصحيح على مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ،تحقيق ماريا مسيوس بيفيرا ،تقديم محمود بوعياد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،١٩٨١م.

١٢٤- ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن القاسم(ت١٣٦٠هـ/١٩٤٠م)

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،مج ١ ، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط١ ، .٢٠٠٣

١٢٥-ابن مريم(أبي عبد الله محمد بن أحمد:

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،اعتنى بمراجعته وطبعه محمد بن أبي شنب ،الجزائر،د ت ط.

١٢٧-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.

لسان العرب ،دار صادر،بيروت،لبنان د ت ط.

المراجع العربية:

١٢٨- ابراهيم سعد الدين:

الملل والنحل والاعراق هموم الأقليات في الوطن العربي ،مطابع سجل العرب ،القاهرة ،مصر ،ط٢ ،.١٩٩٤

١٢٩- أبو الخشب ابراهيم :

تاريخ الأدب العربي في الاندلس،دار الفكر العربي ،بيروت، لبنان،د ت ط .

١٣٠- البارودي رضوان:

أضواء على المسيحية في المغرب في العصر الإلامي ،دار الفكر العربي ،القاهرة،.١٩٩٠

١٣١- التواتي عبد الكريم:

مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس ،مكتبة الرشاد ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط١ ، .١٩٦٧

١٣٢- الداية محمد رضوان:

المختار من الشعر الاندلسي وفصول في شعر المغرب وصقلية في الموشحات والازجال ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،دمشق،ط٣ ، .١٩٩٢

١٣٣- الدفاع علي بن عبد الله :
رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية ،مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط١ ، ١٩٩٨.
١٣٤- أحمد جمال طه:
الحياة الإجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية،٢٠٠٤.
مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط١ ، ١٩٨٧.
١٣٥- أحمد عبد الرزاق أحمد:
الحضارة الإسلامية في العصور الاسلامية ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط ١ ، ١٩٩١.
١٣٦- أحمد علي :
الاندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس للهجرة حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق ،ط١ ، ١٩٨٩.
١٣٧- أحمد مصطفى أبو ضيف:
أثر القبائل العربية في الحياة الاجتماعية المغربية (خلال عصري الموحدين وبني مرين)مطبعة دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ،المغرب، ط١ ، ١٩٨٢.
١٣٨- الساحلي حمادي:
فصول في التاريخ والحضارة،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، لبنان، ط١ ١٩٩٢.
١٣٩- السائح حسن:
الحضارة الإسلامية في المغرب،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب، ط٢ ،١٩٨٦.
١٤٠- الشكعة مصطفى:
الأدب الاندلس موضوعاته وفنونه ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،ط٧ ، ١٩٩٢.
١٤٠- الركابي جودت :
في الأدب الأندلسي ،دار المعارف ،القاهرة،مصر ١٩٦٠.
١٤١- الريسوني محمد المنتصر:
الشعر النسوي في الأندلس ،تقديم عبد الله كنون ،منشورات دار مكتبة الحياة،لبنان،١٩٧٨.
١٤٢- السويسي عبد الله:

تاريخ رباط الفتح،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة ،الرباط ،.١٩٧٩
١٤٣- السيد عبد العزيز سالم سحر:
مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي (منذ نشأتها حتى نهاية عصر بني مرين)مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية،.١٩٩٦
١٤٤- السيد كمال أبو مصطفى:
تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ،مركز الاسكندرية للكتاب،د ت ط.
دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة ،مركز الاسكندرية للكتاب ،مصر ٢٠.١٩٩٧-
١٤٥- الطوخي أحمد محمد :
مظاهر الحضارة في الاندلس في عصر بني الاحمر،تقديم أحمد مختار العبادي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،مصر .١٩٩٧
١٤٦- العبادي أحمد مختار:
دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ،مصر ،د ت ط.
١٤٧- العربي اسماعيل:
المدن المغربية ،المؤسسة الوطنية للكتاب للكتاب،الجزائر ،.١٩٨٤
١٤٨- العلي أحمد صالح:
المنسوجات العربية في العهود السلامية الأولى،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت ،لبنان،ط١، .٢٠٠٣
١٤٩- القبلي محمد:
مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط،دار طوبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب ،ط١ ، .٢٠٠٢
١٥٠- الكعاك عثمان:
التقاليد والعادات الشعبية أو الفلكلور التونسي ،الشركة القومية للنشر والتوزيع ،تونس ١٩٦٣
١٥١-المعموري الطاهر:
الغزالي وعلماء المغرب،الدار التونسية للنشر،تونس ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،.١٩٩٠

١٥٢- الحسني حسن:
أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ،تقديم الشاذلي القبلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،ط١، ١٩٩٨.
١٥٣- المنوني محمد:
حضارة الموحدين دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب،١٩٨٩.
ورقات عن حضارة المرينيين ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،ط٢ ، ١٩٩٦.
١٥٤-المهدي صالح:
الموسيقى العربية ،مقامات ودراسات ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،د ت ط.
١٥٥- النجار عبد المجيد:
المهدي بن تومرت ،دار الغرب السلامي ،بيروت،لبنان،ط١، ١٩٨٣
١٥٦- النجار عامر :
في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية،دار المعارف ،القاهرة، مصر ١٩٩٤.
١٥٧- أمين أحمد:
ظهر الإسلام،ج٣، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،١٩٦٢.
١٥٨- أنور رشيد صبحي :
الألات الموسيقية في العصور السلامية ،منشورات وزارة الإعلام ،العراق ،١٩٧٥.
١٥٩- الهرفي محمد سليمان سلامة:
دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ،دراسة سياسية وحضارية ،دار الندوة الجديدة،بيروت،لبنان،١٩٨٥.
١٦٠- الوطاسي الحسيني قدور:
المغرب في تاريخ شرق المغرب في عهد الكاهنة داهية الجراوية إلى سنة ١٩٥٦ م، مطبعة الرسالة ،ط١، ١٩٨٤.
١٦١- الولي طه:
المساجد في السلام: دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط١، ١٩٨٨.
١٦٢- بروفنسال ليفي:

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ،مطبعة رباط الفتح،المغرب ،١٩٤١.

١٦٣-بن عامر أحمد:

الدولة الحفصية صفحات من تاريخينا المجيد:دار الكتب العلمية ،تونس .١٩٧٤

١٦٤- بن عبد الله عبد العزيز :

المعجم التاريخي ،مكتبة السلام ،مكتبة المعارف ،الدار البيضاء ،الرباط ،د ت ط .

تاريخ المغرب (العصر القديم والوسيط)مكتبة السلام ،الدار البيضاء ،مكتبة المعارف ،الرباط ، د ت ط .

معجم الطحانة والخبازة والفرانة ،الدار البيضاء ،المغرب ، د ت ط .

معطيات الحضارة المغربية ،ج١، دار الكتب العربية ،الرباط .١٩٦٣

١٦٨- بن عدة عبد المجيد:

ثقافة المجتمع القيرواني في القرن ٣ هـ، شركة فنون الرسم القصبة،تونس ،ط١ ، .١٩٩٧

١٦٩- بن محمد عوض عبد الرحمن الجزيري:

كتاب الفقه على المذاهب الأربعة،دار ابن حزم ،بيروت، ط١ ،.٢٠٠٣

١٧٠- بن منصور عبد الوهاب:

اعلام المغرب العربي،ج ١ ،ج٢ ، المطبعة الملكية ،الرباط ،المغرب ،١٩٧٩ .

١٧١- بوتشيش ابراهيم القادري :

اسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناسة خلال العصر الوسيط ،تقديم محمد المنوني ،منشورات جامعة مولاي اسماعيل المغرب ١٩٩٧.

تاريخ المغرب الإسلامي (قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارةة دار الطليعة للطباعة والنشر ،لبنان،١٩٩٣.

مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط١، .١٩٩٨

١٧٤- - بونابي الطاهر :

التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (نشأته ،تياراته ،دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ، د ت ط.
١٧٥- بونار رابح:
المغرب العربي تاريخه وثقافته ،ج١ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،.١٩٨١
١٧٦- حركات ابراهيم :
المغرب عبر التاريخ،ج١ ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،المغرب،ط٢ ،١٩٨٤.
النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط،افريقيا الشرق،الدار البيضاء، المغرب،.١٩٩٦
١٧٩- حسن إبراهيم حسن:
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج٤،دار الجيل ،بيروت،لبنان مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،مصر ،ط٤ ،.١٩٩٧
١٨٠- حسن أحمد محمود
قيام دولة المرابطين،صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى،دار الكتاب الحديث،مصر،ط٢ ، .١٩٩٦
١٨١-حسن علي حسن:
الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس،عصر المرابطين والموحدين ،مكتبة الخانجي ،القاهرة،مصر ،ط١، .١٩٨٠
١٨٢-حمادة ماهر:
الوثائق السياسية والادارية في الاندلس وشمال افريقيا (٦٤-٨٩٧هـ(٦٨٣-١٤٩٢م)،مؤسسة الرسالة ،القاهرة،ط.١٩٨٠،١
١٨٣- حيدر كامل:
العمارة العربية الاسلامية ،نشوء المدارس وخصائصها في العصر العباسي ،دار الفكر اللبناني،بيروت،د ت ط.
١٨٤- خماش نجية:
دراسات في الآثار الاسلامية ،مطبعة الرياض،دمشق،.١٩٨٢

١٨٥- دندش عصمت:
الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين في عصر الطوائف الثاني(٥١٠-٥٤٦هـ)،دار الغرب الاسلامي،بيروت،١٩٨٨..

أضواء جديدة على المرابطين،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط١٩٩١،١.
دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا(٤٣٠-٥١٥هـ)،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط١، .١٩٨٨
١٨٧-دويدار حسن يوسف:
المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ،مطبعة الحسين الإسلامية ،مصر،ط١، .١٩٩٤
١٨٨- رشوان عبد الحميد حسين:
علم اجتماع المرأة ،المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية،مصر،.١٩٩٨
١٨٩- رفاعي أنور:
الاسلام في حضارته ونظمه،دار الفكر،دمشق، د ت ط
١٩٠- رواس قلعة جي أحمد عبد الفتاح:
مدخل إلى علم الجمال الإسلامي،دار قتيبة ،بيروت،دمشق،ط.١٩٩١،١
١٩٠- رؤوف عبد السلام عماد:
مدارس بغداد في العصر العباسي،مطبعة البصرة،بغداد،.١٩٦٦
١٩١- رياض زاهر:
شمال افريقيا في العصر الوسيط:قضايا و وثائق في التاريخ الإسلامي ،المركز العربي،بيروت،لبنان،ط ١ ، .١٩٩٤
١٩٢- زغلول سعد عبد الحميد:
تاريخ المغرب العربي،ج ٥، منشورات المعارف ،الاسكندرية ،مصر،.٢٠٠٠
١٩٣-سالم السيد عبد العزيز:
المغرب الكبير ،ج٢، العصر الإسلامي،دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨١.
المساجد والقصور في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية،١٩٨٦.
تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس،ط١ ، ١٩٦٩.

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية،مصر، د ت ط.
في تاريخ وحضارة الأندلس.
١٩٨- سعيدوني نصر الدين:
دراسات أندلسية ،مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ط١ ، ٢٠٠٣.
١٩٩- سيد الاهل عبد العزيز:
محي الدين بن عربي من شعره،دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط ١ ، ١٩٧٠ .
٢٠٠-سسالم سالم عصام:
جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)،(٨٩-٦٨٥م)(٧٨٥-١٢٨٧م)،دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان.١٩٨٤
٢٠١- سلطان عبد المنعم:
المجتمع المصري في العصر الفاطمي،دار المعارف ،مصر،.١٩٨٥
٢٠٢- شنوف عيسى:
يهود الجزائر ٢٠٠٠ سنة من الوجود ،دار المعرفة،الجزائر ، د ت ط .
٢٠٣- عباس إحسان:
تاريخ الأندلس عصر الطوائف ،دار الثقافة ،بيروت،لبنان،.١٩٦٢
٢٠٤- عبد المجيد محمد بحر:
- اليهود في الأندلس. المكتبة الثقافية. عدد ٢٣٧ . مصر ..١٩٧٠
٢٠٥- عبد المنعم حمدي:
مدينة سلا في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية،مصر ،.١٩٩٣
٢٠٦- عبد المنعم محمد رجب:
العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ،دار الكتاب المصري ،القاهرة،دار الكتاب اللبناني،بيروت، د ت ط .
٢٠٧- عبود أحمد:

التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيليا في عهد دول الطوائف،تقديم مونتغمري،مطابع الشويخ ،تطوان ،المغرب،.١٩٨٣

٢٠٨- عتيق عبد العزيز :

الأدب العربي في الأندلس،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،.١٩٧٦

٢٠٩- عثمان عبد الكريم:

النظام السياسي في الإسلام،دار الارشاد،بيروت،لبنان،ط ١ ، .١٩٦٨

٢١٠- عكاشة ثروت:

القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ،دار الشروق،بيروت،لبنان،ط ١ ، .١٩٩٤

٢١١- عكاوي خضر رحاب:

الموجز في تاريخ الطب.

٢١٢- علام علي عبد الله:

الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي،دار المعارف،مصر ،.١٩٧١

٢١٣- عنان عبد الله:

الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال،مؤسسة الخانجي ،القاهرة،ط٢ ،١٩٦٨.

عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج٢ ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،.١٩٦٤

٢١٥- عيسى أحمد :

تاريخ البيمارستانات في الإسلام،المطبعة الهاشمية ،دمشق،.١٩٣٩

٢١٦- عيسى عبد الحميد محمد:

تاريخ التعليم في الأندلس،إشراف سواريث فرنانديث،تقديم عبد الغني عبود ،دار الفكر العربي ،القاهرة،ط ١، .١٩٨٢

٢١٧- فرحات يوسف:

علماء العرب،تراد مكسيم،شركة مساهمة سيو سرية، د ت ط .

٢١٨- فروخ عمر:

تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة، ج٦ ،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١ ، .١٩٨٣

٢١٩- فيصل شكري:
المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم لملايين، بيروت، لبنان، ط ١ ، ١٩٨١.
٢٢٠- فرحات حلمية،السبتي عبد الأحد:
المدينة في العصر الوسيط ،قضايا و وثائق في تاريخ المغرب الإسلامي ،المركز الثقافي العربي،لبنان،ط١ ، ١٩٩٤.
٢٢١- فيسه موريس جون:
أحوال النصارى في خلافة بني العباس ،دار الشروق،بيروت،ط١ ، ١٩٩٠.
٢٢٢- قاسم عبد قاسم:
اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني ،المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر،بيروت،ط١ ، ١٩٨٠.
٢٢٣- قاسم الطويل مريم:
مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر(٤٠٣/٤٨٣هـ)(١٠١٣/١٠٩٠م)،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١ ، ١٩٩٤.
٢٢٤- كحالة عمر رضا:
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،ج٢ ، دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٦٨.
٢٢٥- كنون عبد الله:
النبوغ المغربي في الأدب العربي ،ج١ ، ،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني،بيروت،ط٢ ، ١٩٦١.
٢٢٦- كواتي مسعود:
اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين،دار هومة ،الجزائر، د ت -
-لعرج محمود عبد العزيز: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان. دراسة تاريخية وأثريةفي عمرانها وعمرانها وعمارتها وفنونها.مكتبة الزهراء.القاهرة.ط.٢٠٠٦.
٢٢٧- محمد أحمد أبو الفضل:
شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥/٦٨٦هـ)(١١٢١/١٢٨٧م)(دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ١٩٩٦.
٢٢٨- محمد مسعد مصطفى سامية :

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من (٤٨٤ إلى ٦٢٠ هـ/ من ١٠٩٢ إلى ١٢٢٣م)، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ط١ ،٢٠٠٣.

٢٢٩- محمود أحمد حسن:

قيام دولة المرابطين (صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ،دار الكتاب الحديث،مصر، ط ٢ ، ١٩٩٦.

٢٣٠- مصطفى شاكر:

موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ،ج١ ، دار العلم للملايين ،بيروت، ١٩٩٣.

٢٣١- ملين محمد الرشيد:

عصر المنصور الموحدي ،مطبعة الشمال الافريقي ،الرباط ،المغرب ، د ت ط .

٢٣٢- موسى أحمد غرا الدين:

النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،دار الشروق ،القاهرة، بيروت ،ط١ ، ١٩٨٥.

٢٣٣- موسى عمر عز الدين:

الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان، ط ١ ، ١٩٩١.

٢٣٤- مؤنس حسين:

فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(٧١١-٧٥٦م) ،الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة،ط ١ ، ١٩٥٩.

موسوعة تاريخ الأندلس ،ج٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، ط ١ ، ١٩٩٥.

فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، مصر، ١٩٤٧.

٢٣٧- نويهض عادل:

معجم أعلام الجزائر،المكتب التجاري للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط١ ، ١٩٧١.

٢٣٨- هويدي يحي:

تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ،ج١ ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، ١٩٦٥

المراجع المعربة:

٢٣٩- ارنولد سير توماس:تراث الاسلام،تر:جرجيس فتح الله ،دار الطليعة ،بيروت ،ط١٩٧٢،٢

٢٤٠-اشباخ يوسف،تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين،ج٢ ،تر:عبد الله عنان،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،القاهرة،ط٢ .١٩٥٨

٢٤١- برنشفيك روبار:تاريخ افريقية في العهد الحفصي في القرن ١٣م إلى نهاية القرن ١٥م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي،ج١ ،دار الغرب السلامي ،بيروت، الطبعة الأولى،.١٩٨٠

٢٤٢- بلاثيوس آثين ،ابن غربي حياته ومذهبه ،ترجمة ،عبد الرحمن بدوي ،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة،.١٩٦٥

٢٤٣- بل ألفرد:الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح حتى اليوم تر:عبد الرحمن البدوي،دار الغرب السلامي ،بيروت،ط٣ ، .١٩٨٧

٢٤٤-جوزيف ماك كيب:مدينة المسلمين في اسبانيا ،تر:محمد تقي الدين الهلالي،مكتبة المعارف،الرباط،المغرب،ط٢، .١٩٨٥

٢٤٥- روجي ادريسي الهادي :الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م ،ترجمة حمادي الساحلي.دار الغرب الاسلامي ،بيروت،لبنان،ط١٩٩٢.،

٢٤٦- فارمر هج:تاريخ الموسيقى العربية ،تر:حسين نصار،مراجعة عبد العزيز الاصواني، دار الطباعة الحديثة،مصر،د ت ط.

٢٤٧- كرباج يوسف وفليب فارج:المسيحيون واليهود في التاريخ السلامي العربي والتركي ،تر:بشير السباعي،سينا للنشر ،القاهرة،مصر،ط١ ،.١٩٩٤

٢٤٨-كرباخال مومول:افريقيا ،ترجمة :محمد حجي،محمد زنيبر محمد الاخضر،أحمد التوفيق،مكتبة المعارف،الرباط ،المغرب،.١٩٨٤

٢٤٩- كونل ارنست :الفن الإسلامي ،تر:أحمد موسى،دار صادر ،بيروت .١٩٦٦

٢٥٠- هوبكنز :النظم الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح حتى اليوم ،ترجمة عبد الرحمن بدوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،،ط٣، .١٩٨٧

٢٥١- هونكةزيغريد:شمس العرب تشرق على الغرب ،تر،فاروق بيضون ،كمال دسوقي راجعه مارون عيسى الخوري،دار صادر ،بيروت، الآفاق،بيروت،ط٢، ٢٠٠٠م.

المراجع الأجنبية

252-Andre julien (charle) : Histoire de l'Afrique du nord (des origines à **1930).**Edition Payot arrivages. Paris **1994.**

253-Assakti de malga : Un manuel Hispanique du Hisba, librairenest. Laraux, Paris **1963.**

254 - Bel Alfred : la religion musulmane en berbéris esquisse d'histoire et de Sociologie et religieuse, tome 1, lebrairie oriental, panlgen. Paris **1938.**

255 - Bourouiba Rachid : Abd Al m flan beau des Almohades **S.N.E.P.** Alger, **1974**

256 - Caillé jauqes : La ville de rebat jusqu'au protectorat français volume I .
Edition d'art et d'histoire. Paris.

257 - Dhima Atallah : les Etats de l'occident musulmane aux **XIII, XIV, XV** Siècle. Office des publications universitaires. ALGER.

258 - Dozy Rinhart : supplément aux dictionnaires arabes librairie de Liban, Maroc, **1995.**

٢٥٩- Levi provençal : Documents irrédits d'histoire Almohade librairie oriental.Paris**, 1928.**

L'epagne musulmane, tome 03. Mai sonneurs et la rousse,Paris France **1999.**

- Pichault. P : le costume traditionnel magrébine « le barnous, la djellaba). Edition par marcel philibert. Alger 1973.

- Piquet Victor : Autour de mounement musulmane, librairie oriental et ameraine. Paris 1949.

262- Plusieurs Ecrivins : l'histoire du monde : le moyen age, imprimer, grafica, editional, Italy 1991.

263- Meaki, budjett: the morish empire, suan sonuensheura a Colin, London, 1899.

264- Terrasse Henri: Histoire du Maroc (des origines à l'établissement du protectorat français). Edition Atlanti des Casablanca 1949.

265- Terrasse Henri et Basset Henri : Sanctuaires et forteresses almohade, mai sonneure et la rousse, Paris France 2001.

266- year bat : juifs et chrétiens sous l'islam, face au défi intégrités. Berg. International éditeur, Paris 1994.

الرسائل الجامعية:

٢٦٨-الجوة محمد الصالح:

أثر الأندلسيين في الأدب المغربي،رسالة دكتوراه ،معهد اللغة والأدب العربي ،جامعة الجزائر ،.١٩٨٧

٢٦٩- بوطارن مبارك:العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري ،رسالة ماجستير ،قسم التاريخ والآثار المصرية ،جامعة الاسكندرية ،١٩٩١م.

٢٧٠- بلغيث محمد الأمين:

الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر،١٩٨٦-.١٩٨٧

٢٧١- مزاري توفيق عبد الصمد:

التنظيمات العسكرية المغربية في عهد المرابطين والموحدين ،رسالة ماجستير ،قسم التاريخ ،سنة ١٩٩٩/.٢٠٠٠

٢٧٢- حميدي مليكة:

المرأة المغربية في عهد المرابطين (٤٤٨هـ/٥٤١ هـ)(١٠٥٦م/١١٤٦م) ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر،.٢٠٠١

٢٧٣- ديب صفية:التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ،رسالة ماجستير ،الجزائر،.٢٠٠١

٢٧٤- قريبز محمد:

الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ،رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الانسانية ،قسم اللغة العربية،الجزائر ١٩٨٦

الدوريات بالعربية:

٢٥٢-الحماد محمد عبد الله:التخطيط العمراني لمدن الاندلس الاسلامية من"الاندلس قرون من التقلبات والعطاءات،القسم الثالث:الحضارة والعمارة والفنون ،مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض،ط١، .١٩٩٦

٢٥٣- الكحلاوي محمد:عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم من"الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات،القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون.
٢٥٤-الكشو رضا،أمثال شعبية تونسية،مجلة التراث الشعبي تصدر عن دار الجاحظ للنشر،وزارة الثقافة والاعلام،العدد الثالث ،ـالسنة ١٣ ، ١٩٨٢.
٢٥٥- بوتشيش ابراهيم القادري:
أ- ظاهرة التسول في الغرب السلامي خلال القرن السادس الهجري ،مجلة التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور،منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر أفريل ٢٠٠١.
ب- مسألة بناء الكناس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين من منتصف القرن ١١ إلى منتصف القرن ١٢ م ،مجلة الغرب المسيحي والغرب الإسلامي ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ،الرباط ،ط١ ، ١٩٩٥.
٢٥٧- حاجيات عبد الحميد :تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الاوسط ،مجلة الدراسات التاريخية ،معهد التاريخ ،الجزائر،العدد ١٠ ، ١٩٩٧م.
٢٥٨- دندش عصمت:علاقة الاندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات أهل الذمة)إلى القرن السابع الهجري ،مجلة الغرب المسيحي والغرب السلامي ،نفس العدد والجزء.
٢٥٩- شانيدلين ريموند: اليهود في اسبانيا المسلمة ،تر:مريم عبد الباقي"الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ،ج٢، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،لبنان،ط٢ ،١٩٩٩.
٢٦٠-عباس احسان:في أخبار الغناء والمغنيين في الأندلس ،مجلة الأبحاث ،ج١، سنة ١٦ ،آذار ،دار الكتاب ،بيروت،.١٩٦٣
٢٦١- عزت خالد محمد :تخطيط وعمارة المدن السلامية ،كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر عن وزارة الاوقاف ،قطر ،العدد ٥٨ ،ربيع ١٤١٨ ،السنة ١٧.
٢٦٢- غيشار بير : التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين ،تر:مصطفى الرقي ،من الحضارة العربية السلامية في الأندلس ،ج٢، نفس العدد.
٢٦٣- فيغيرا ماريا ج: اصلح المعالي عن المنزلة الاجتماعية لنساء الاندلس ،تر:فخري صالح ،مراجعة :نوال حشيتو كمال،من الحضارة العربية الاسلامية ،ج٢ ، نفس العدد.

٢٦٤- لعرج، محمود عبد العزيز،المدارس الاسلامية في العصور الوسطى دواعي انشائها وظروف تطورها وانتشارها ،مجلة الدراسات الانسانية تصدر عن كلية العلوم الانسانية ،العدد ٠١ ،السنة ٢٠٠١، الجزائر.
*العمران الاسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات إجتماعية حولية الوؤرخ.يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين العدد ٣-٤ السنة ٢٠٠٥.
٢٦٥- نشاط مصطفى:الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية ،مجلة الغرب السلامي والغرب المسيحي ،نفس العدد.
٢٦٦- محمد قجة:الشيخ محي الدين بن عربي وأثره الحضاري في الحوض المتوسط من ثقافتنا للدراسات والبحوث ،مجلة علمية فصلية متخصصة في العودة الحضارية السلامية ،المجلد ١ ، ع ٢ ،مؤسسة الفكر الإسلامي طهران ،إيران ، سنة ٢٠٠٤.
٢٦٧-فهد محمد بدري:الحياة اليومية في المدينة العراقية ،المدينة والحياة المدنية ،ج٢، بغداد ،١٩٨٨.

الدوريات بالأجنبية

١- Harkat Brahim : La communité chrétienne et celle d'origine chrétienne en Espagne musulmane et l'occident, chrétien au moyen age, publication de la faculté des lettres rabat. 1995

المعاجم والقواميس العربية:

٢٧٥- البدوي خليل:
موسوعة شهيرات النساء،دار أسامة للنشر،الاردن ،ط١ ،١٩٩٨.
٢٧٨- الزركلي خير الدين:
الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمترجمين المشرفين ،دار العلم لملايين ،ط٧ ، ١٩٨٦.
٢٧٩- الغنيمي مقلد عبد الفتاح:
موسوعة المغرب العربي،المجلد ٢ ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٤.
٢٨٠- الموسوعة العربية الميسرة ،مج٢ ،دار الجيل،بيروت،ط٢ ، ٢٠٠٢.
٢٨١- قدامة أحمد :

قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات ،دار النفائس
٢٨٢- غالب عبد الرحيم :
موسوعة العمارة السلامية،دار صادر ،بيروت،لبنان،.١٩٨٨
٢٨٣- مسعود جبران:
الرائد(معجم لغوي عصري)،دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان ،ط١ ،١٩٦٤.

قواميس بالأجنبية

- Yves thiraval : la rousse : dictionnaires de civilisation musulmane, aubin imprimeur, ligugé. Paris, France 1995.

الملاحق

ملحق رقم :٠٣

رسالة المرتضى أبو حفص عمر(٦٤٠هـ/٦٤٦هـ)(١٢٤٢م/١٢٤٨)

إلى البابا إنوصان الرابع

فإنه سبقت منا إليكم مراجعات عن كتبكم المؤثرة الواصلة إلينا وأرسلنا نحوكم من الجواب عنها ما تتمنا به بركم و وفينا،وعنوناكم إنا نوجب لمنصبكم الذي أبرز في ملتكم على المناصب وأقر لرتبتكم فيه أهل دينكم بالشفوف على سائل ما لهم من المراتب فأنتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون،وبالعناية الجميلة محظوظون ،نؤكد من أسباب المواصلة لكم ما حقه أن يؤكد... كما أنه في المدة التي قضى له فيها لدينا بالمقام ،لم تزل نتعهده أثناءها بالإحسان والأنعام.

ملحق رقم :٠١

مرسوم أصدره الرشيد بإسكان المهاجرين الذين لجأوا إلى مراكش وبقية مدن الاندلس بعد سقوط بلنسية وشقر وشاطبة بيد الاسبان،وهو من انشاء:القاضي أبي المطرف بن عميرة،وذلك في شعبان(٦٣٧هـ/١٢٣٩م)

هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين...للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من ساير بلا الشرق مجراهم...ويلتمس لهم مكانا للقرار ومنزلا لالقاء عصى ا.....وعند ذلك أذن لهم،أعلى الله تعالى إذ أنه جدد مجده ويمنه في النقلة إلى رباط الفتح عمره الله تعالى...أولى من قبل ويحملكم إنشاء الله تعالى وخير البلاد ما حمل فإنه مناخ التاجر والفلاح..."

محمد ماهر حمادة:الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا(٦٤-٨٩٧هـ)(٦٨٣-١٤٩٢م)

ص: ٤٨١-٤٨٢.

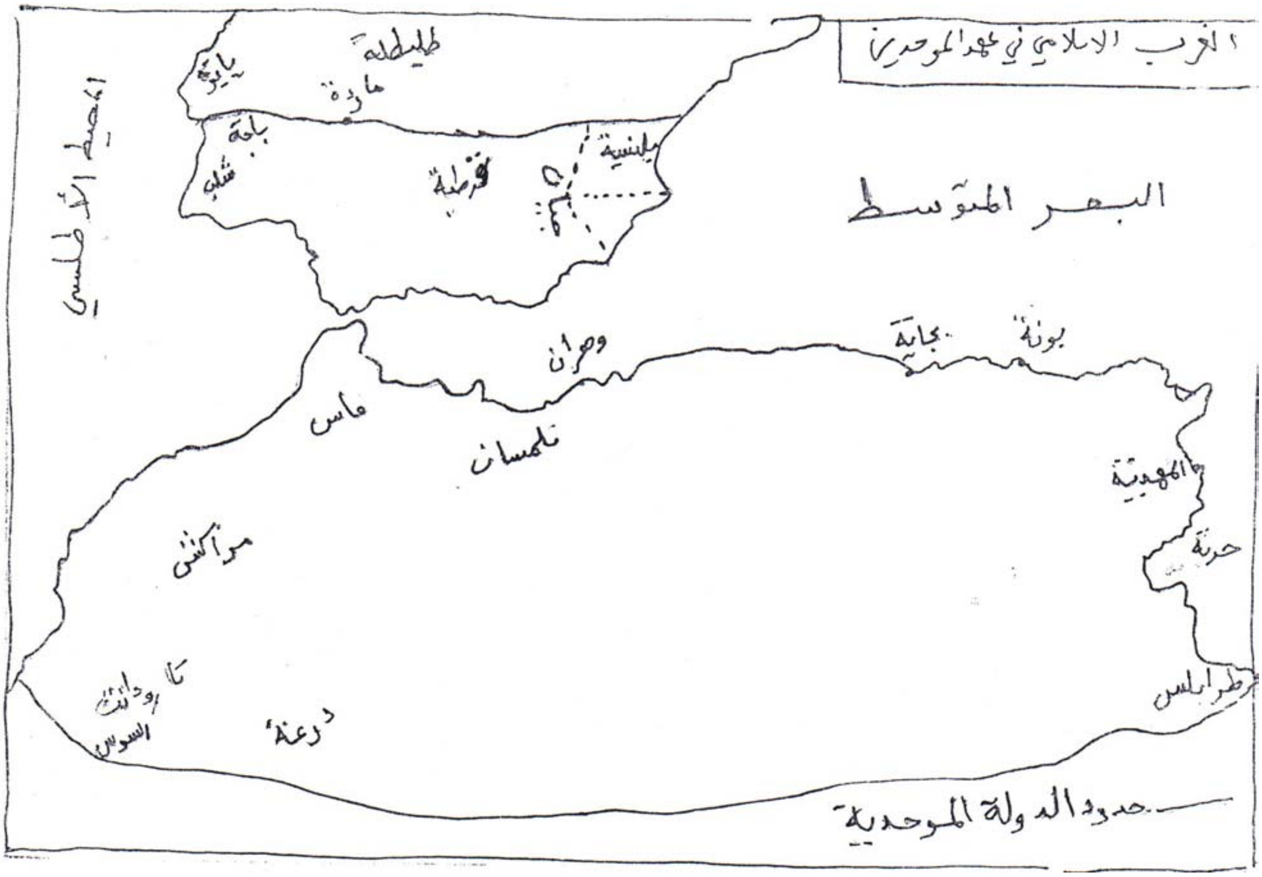
ملحق رقم :٠٢

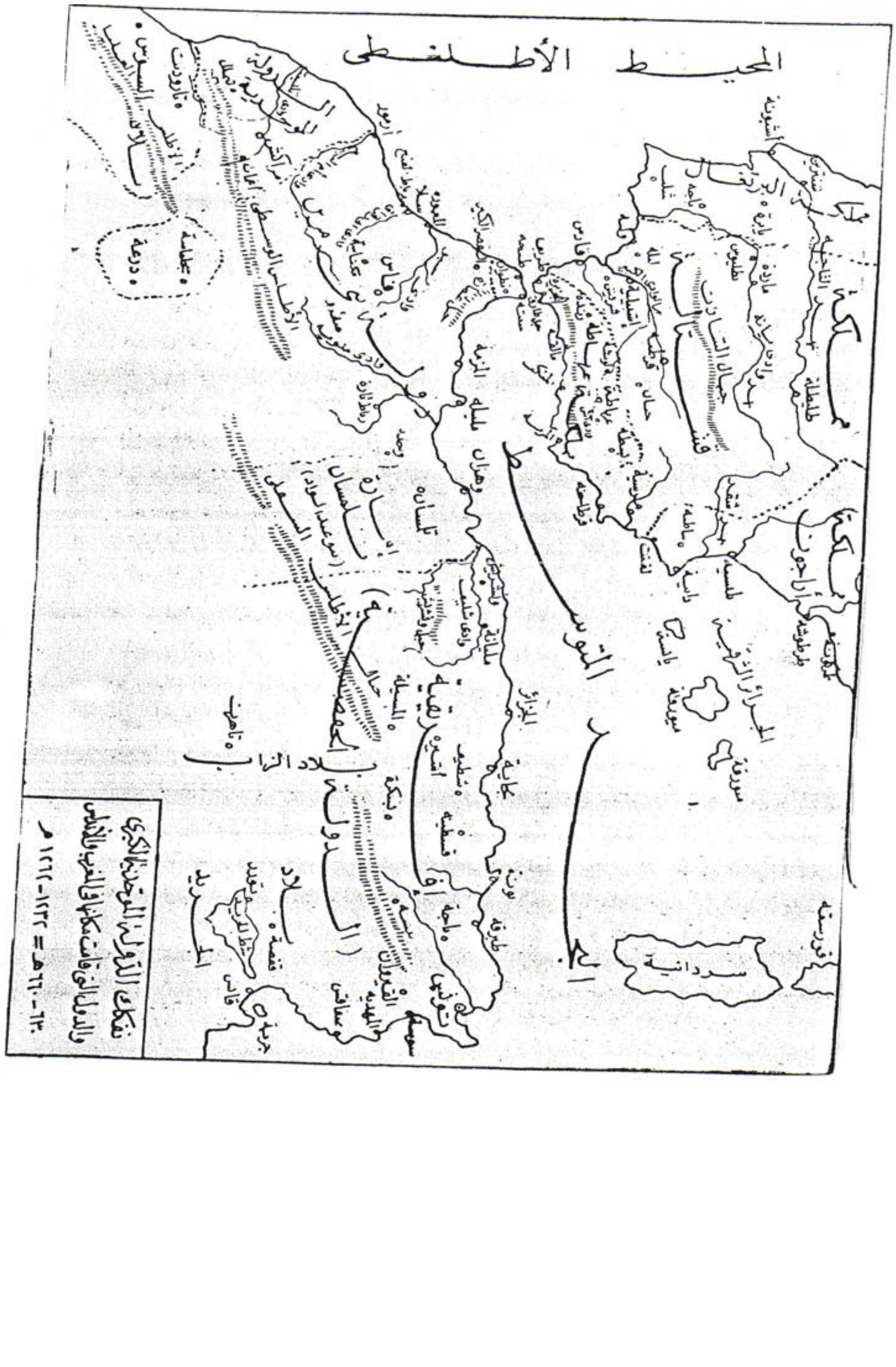
شعر يحرض فيه ابن طفيل العرب للانضمام إلى صفوف الموحدين للجهاد في الأندلس

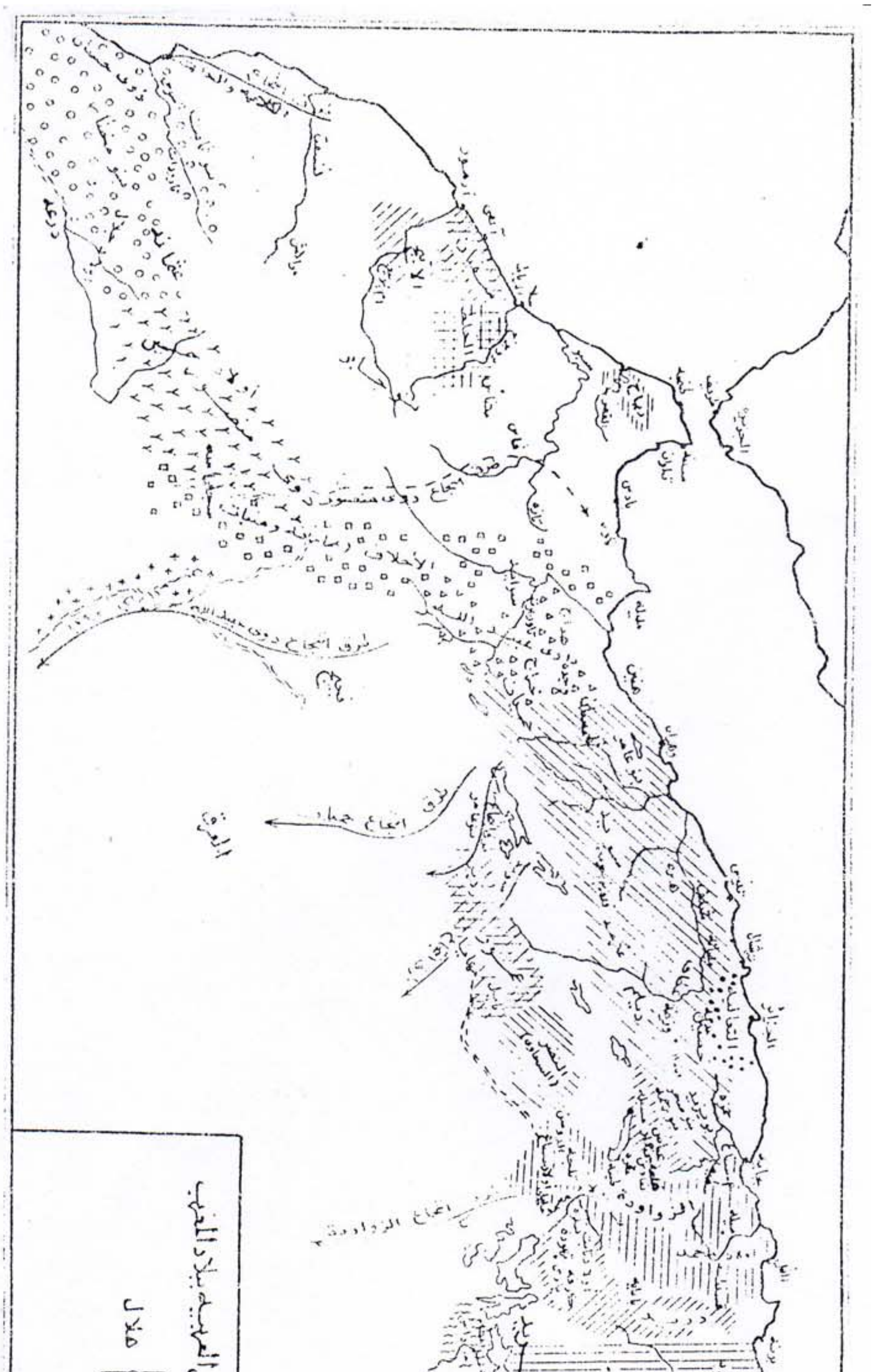
أقيموا صدور الخيل نحو المـــغارب	لغزو الأعادي واقتناء الرغائـب
وأذكوا المذاكي العاديات على العدى	فقد عرضت للحرب جرد اللاهب
فلا تقتني الآمال إلا مـن القـــــنا	ولا تكتب العليا بغير الكتـــائب
ولا يبلغ الغايـات إلى مصمـــــم	على الهول ركاب ظهور المصاعب
يرى غمرة الهيجاء أعذب مشرب	وإن اعرضت زرق حمام المشارب
ويأنف إلا مكسبا من حمـــــاسه	ويعرض عزا عن جميع المكاسب
ألا فابعثوها همــــــــة عربية	تحف بأطراف القنا والقواضـــب
افرسان قيس من هلال بن عامـــر	وما جمعت من طاعن ومضارب
لكم قبة للمجد أشدوا عمـــــادها	بطاعة امر الله من كل جانب
وقوموا لنصرة الدين قومة ثائـــر	وفيئوا إلى التحقيق فيئة راغب
نريد لكم ما نبتغي لنفوســـــنا	ونؤثركم زلفى بأعلى المراتب
فلا تزهد في نيل حظـــكم الذي	لكم فيه فوز من جميع المعاطب
لكم نصرة الإسلام بدأ فنصره	عليكم وهذا عوده جد راجب
فقوموا بما قامت أوائلكم به	ولا تغفلوا احياء تلك المناقب
وقد جعل الله النبـــــي واله	ومهدية منكم بلا عيب عائب
وفزتم بتخصيص الخليفة بعده	ونسبته الدنيا بزلفى الأقارب
وطائفة المهدي منكم وابها	لتنحوا عليكم باتصال المناسب
ومن ذا الذي يسموا ليبلغ شأوكم	إذا كنتم فوق النجوم الثواقب
خصصنا لكم والنصح في الدين واجب	بما لكم فيه صلاح العواقب
وخاطبكم عنا بيان محصحص	يشق سناه داجيات الغياصب
هو الأمر أمر الله متج ومسعد	لكل منيب ناصح الجيب تائب

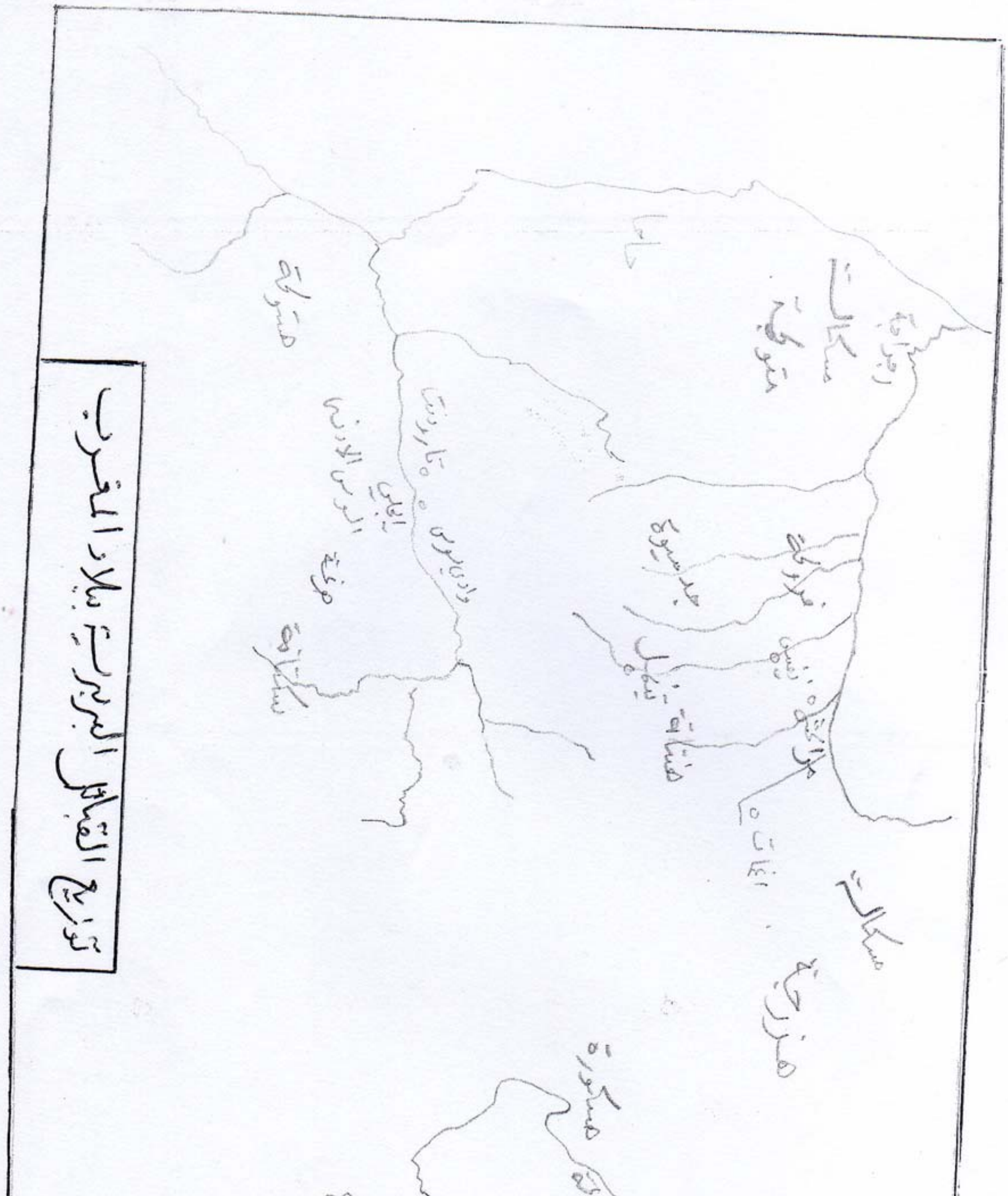
ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة ص ٤٠٢

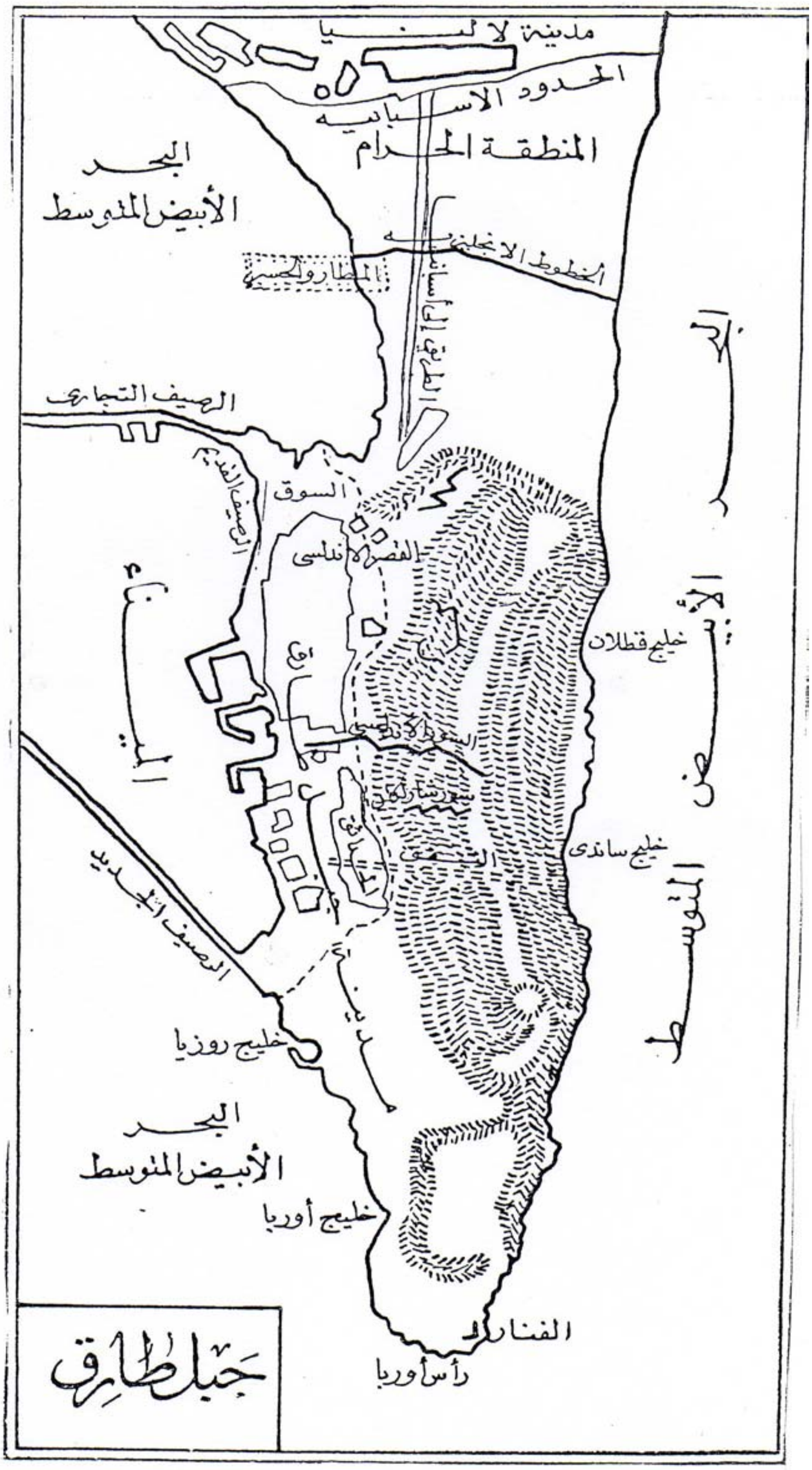
الخرائط


المغرب الاسلامي في عهد الموحدين
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
طليطلة
ماردة
باجة
شلب
قرطبة
بلنسية
وهران
بجاية
بونة
فاس
تلمسان
المهدية
مراكش
جربة
طرابلس
تارودانت
السوس
درعة
حدود الدولة الموحدية


المحيط الأطلنطي
سردانية


توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب

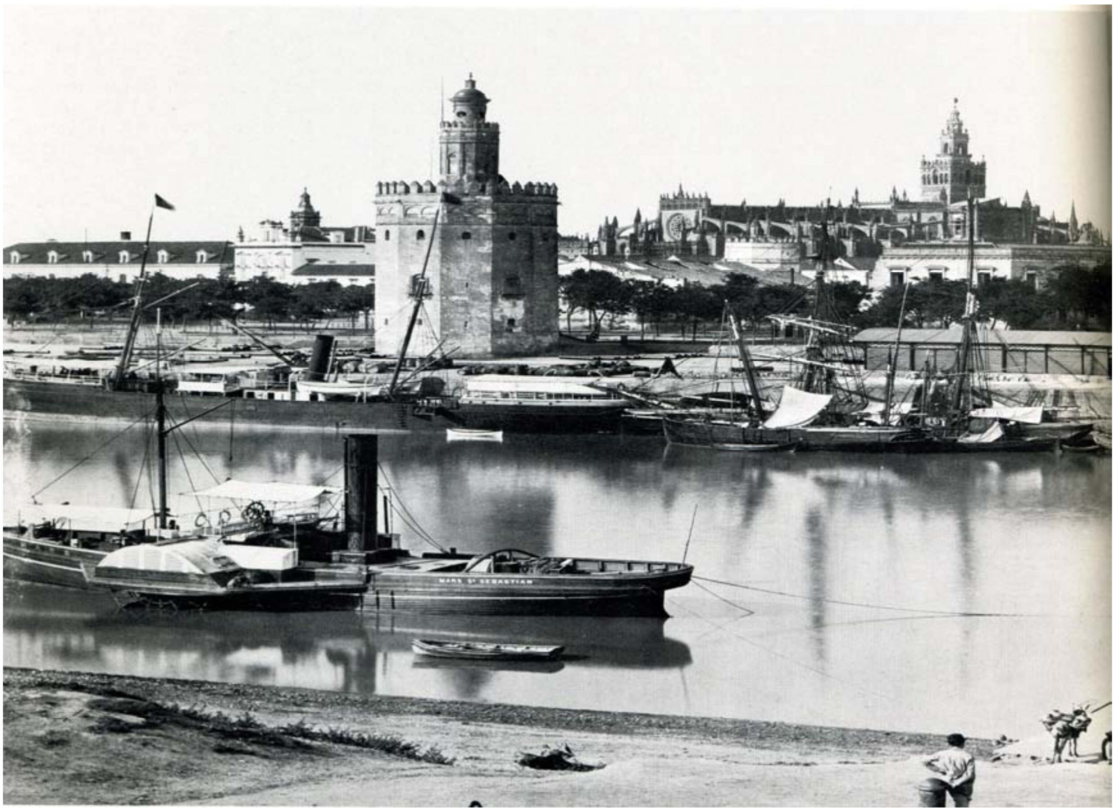

توزيع القبائل البربرية ببلاد المغرب
رجراجة
مسكالة
متوجة
حاحا
جدميوة
هنتاتة
تينمل
نفيس
مراكش
اغمات
مسكالة
هزرجة
هسكورة
وادي درعة
وادي سوس
تارودنت
ايجلي
السوس الادنى
هشتوكة
سكتانة


مدينة لالينيا
الحدود الاسبانيه
المنطقة الحرام
البحر
الأبيض المتوسط
الخطوط الانجليزيه
المطار والجسر
الطريق الاسباني
الصيف التجاري
الرصيف القديم
السوق
القصر الاندلسي
خليج قطلان
خليج ساندي
خليج روزيا
الرصيف الجديد
البحر
الأبيض المتوسط
خليج أوربا
الفنار
رأس أوربا
جبل طارق

الصور



جانب من الأسوار الموحدية وأحد أبراجها
L´architecture maure en andalousie p 135



برج الذهب
L´architecture maure en andalousie p 136



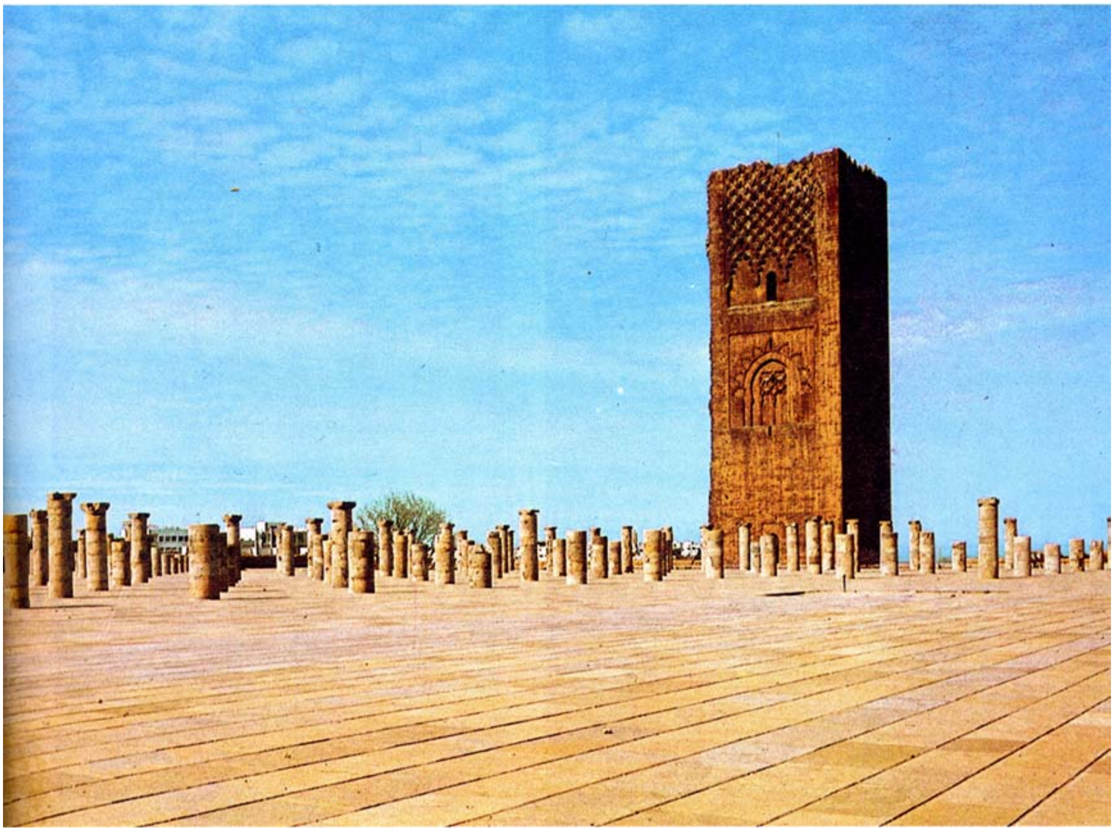
منارة مسجد إشبيليا – لاخرالدا
L´architecture maure en andalousie p 155



منارة مسجد حسان بالرباط
Maghreb Medieval p 89



مسجد الكتبية ـ نظرة جانبية ـ
Maghreb Medieval p 86



صومعة حسان في الرباط
طه الولي : المساجد في الإسلام ص ٨١٤



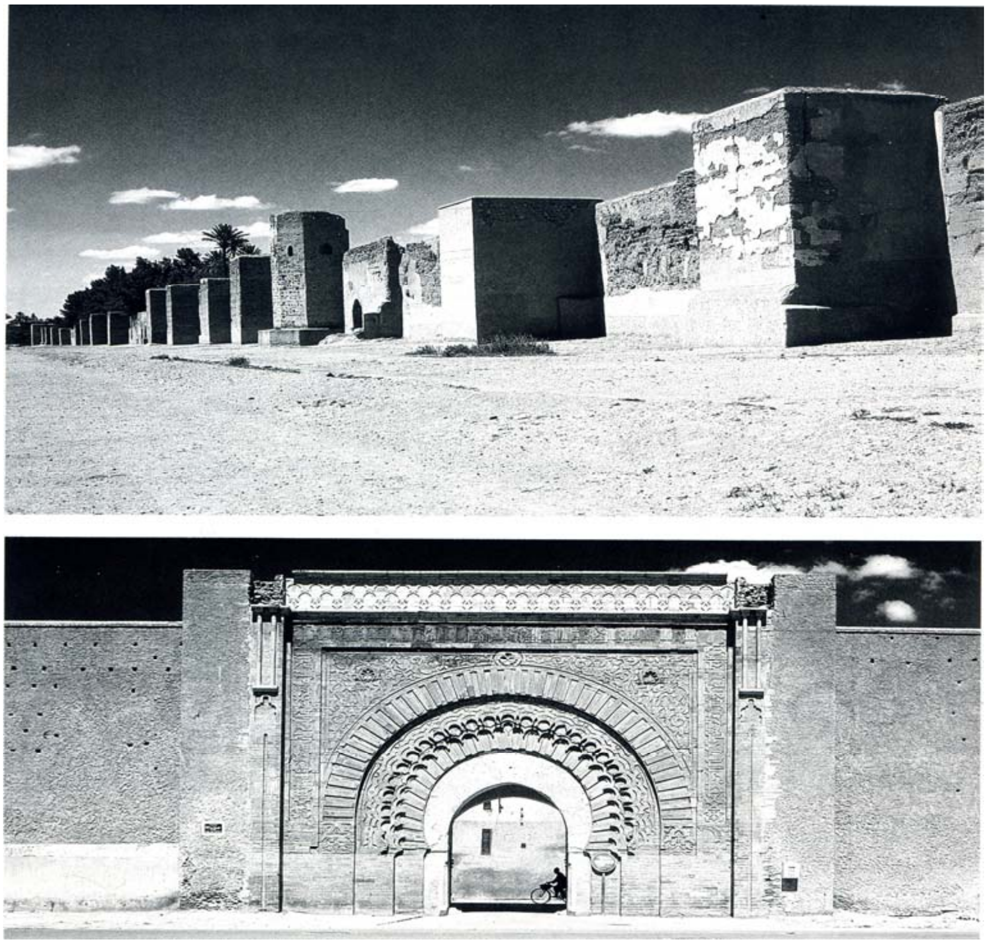
مدرسة العباد بتلمسان
Lucien golvin la madrassa medievale p 202



مسجد الكتبية
Maghreb Medieval p 87



أقمشة مدينة المرية
L´architecture maure en andalousie p 152



أسوار وأبواب موحدية
Maghreb Medieval   p 108

الفهارس

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الميم

فهرس القبائل والشعوب

فهرس المهن والحرف

الحياكة	الطبيب
الخاء	الطحان
الخباز	العين
الخراز	العطار
الخياطة	الغين
خدمة الأوعية	الغناء
الدال	الفاء
الدلال	الفخار
الزاي	الفقيه
زخرفة المعادن	الفلاح

القاف	
القاضي	
الميم	
المؤذن	
المعلم	
النون	
النجار	
النشار	
الواو	
الواعظ	
الوزير	

فهرس المناطق والبلدان

جيان ٢١٩.٢٤	الصين ٥٦
الخاء خبير ٦٦	**الطاء**
الدال	طرابلس ٥١.٥٨
دانية ٤٣	طريانة ٢١٦
درعة ١٩ دمشق ٤١	طليطلة ٧٢
رمباط ١٤١	طنجة ٢٠.٥١
الراء	**العين**
رباط الفتح ٢٠٨.٢٠٤.٢٠٣.٩٥.٥٥	عمان ٤٢
الزاي	**الغين**
زويلة ٥٩	غانة ١٠٦
السين	غرناطة ٢٤.٢٦.٥٢.٦٥.١٦٩.٢٠٥.١٣٢
سبتة١٦٨.١٠٨.٧٩.٢٩.١٤	**الفاء**
سجلماسة ٣٦.٣٨.٤٩.٥٠.١٠٦.١٠٧	فاس
	١٨.٢٠.٤١.٤٣.٥١.١٠٦.١٠٧.١٥٦.١٧٠
	١٩١.٢٠٥.٢٠٨
	فلسطين ٦٦
	القاف
	قابس ٢٢

قرطبة ٢٣.٢٤.٦٥.١٠٦.١٥٠.٢١٣	وادي العبيد ٣٠
قرنونة ٢٤	وادي غدات ٣٣
قسنطينة ٢١.٤٩	وادي ملوية ٥١
قشتالة ٧٤.٧٩.٢٢٥	وجدة ٥٦
قصوزتوات ٥٠	ورقلة ٤٩
قفصة ٢٢.٢٣	وهران ٢٠.٧٩.١٤٩
قنتورية ١٧٧	

الكاف

اللام

الميم

فهـــــــرس المحتــــــويات:

- مقدمة:

ηǽƴƭǸǯǩƗ ηǩƿƴǩƗ ǰǕ ηøƲǽƺǨơ ƝƶǛǲ: ǨƱƴǫ

čĒ......................................ŭǯƣƪǯǪǩ ηǲǸĞǯǩƗ ƸDžǨǲǗǩƗ:ğƿäƗ ǨdžĂǩƗ